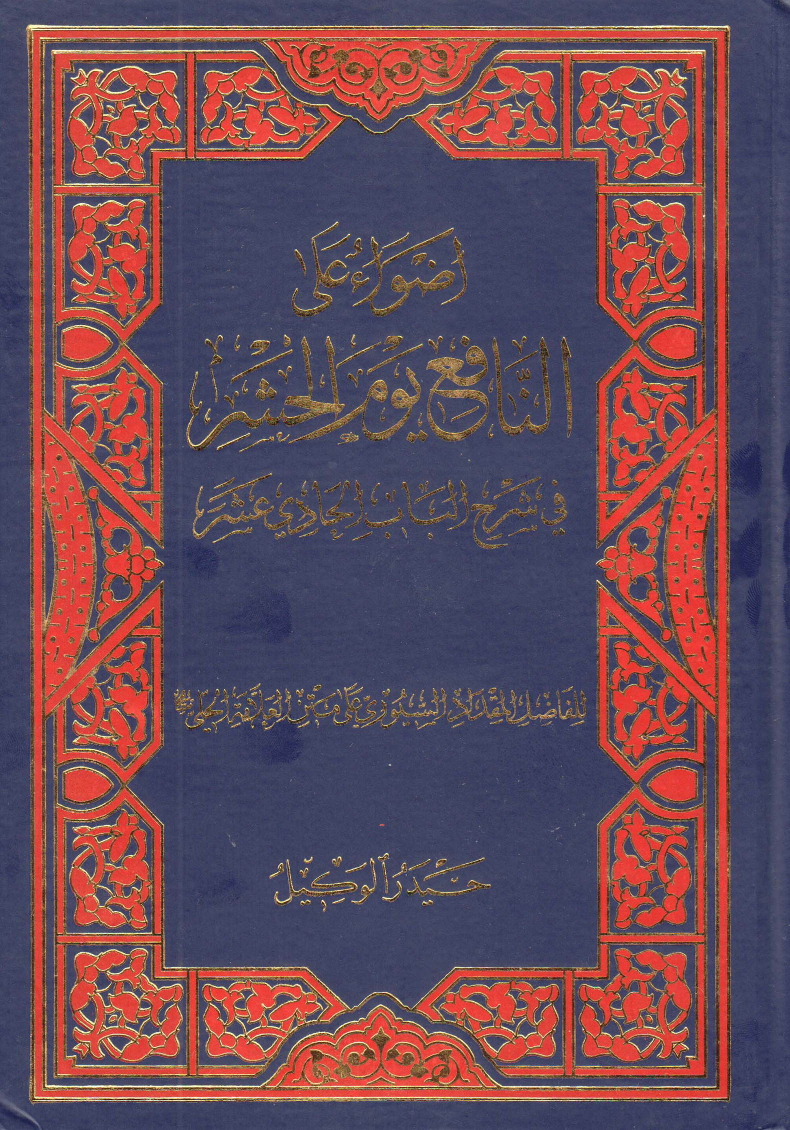

أضواء على
النافع يوم الحشر
في شرح الباب الحادي عشر
للفاضل المقداد السيوري على متن العلامة الحلي
حيدر آل الوكيل



أضواء على
النافع يوم الحشر
في شرح الباب الحادي عشر



للفاضل المقداد السيوري على متن العلامة الحلي

حيدر آل الوكيل

المختصات	الوكيل، حيدر، ١٩٧١م -
العنوان و المؤلف :	اضواء على النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر للفاضل المقداد السيوري على متن العلامة الحلي / حيدر الوكيل.
الناشر	قم، باقيات، ١٤٣٤ق = ٢٠١٣م
عدد الصفحات	٤٢٤ص
الايداع الدولي	ISBN 978 - 600 - 213 - 098 - 3
الموضوع	العلامة الحلي، حسن بن يوسف، ٦٤٨ـ٧٢٦ق ـ الباب الحادي عشر ـ نقدٌ و تفسير
الموضوع	فاضل مقداد، مقداد بن عبدالله، ٨٢٦ق ـ كلام الشيعة الامامية (القرن ٨ق).
التسلسل الرقمي :	١٣٩٢ ٢٠٢١٩ ب ٨ع ٥ / BP ٢١٠
التسلسل الديويي :	٢٩٧ / ٤١٧٢
رقم المكتبة الوطنية :	٣١٥٧٧٥٤



اضواء على النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر

حيدر الوكيل

- الناشر: باقيات
- المطبعة: وفا
- الطبعة: الاولى ـ ١٤٣٤ هـ. ق
- العدد: ١٠٠٠ نسخة
- رقم الايداع الدولي: ٣ ـ ٠٩٨ ـ ٢١٣ ـ ٦٠٠ ـ ٩٧٨

باقيات (للطباعة و النشر)، ايران، قم، شارع معلم، زقاق ١٥، هاتف: ٣٧٧٤٣٩٠٠ (٠٢٥) ـ جوال: ٠٩١٢ ٢٥٢ ٥٦٢٥

Email: Vafaprint110@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين الى قيام يوم الدين.

تمثل العقيدة اهم مفاصل الفكر وعليها تعتمد بقية الجوانب المعرفية المرتبطة بالعمل، والمعارف الاسلامية هي مهمة المبلغ الاسلامي الّتي اولاها جانبا كبيرا من الاهمية فاستفاضت النصوص القرانية والمعصومية في بيانها وقد حفظ لنا الاعلام المتقدمون الكثير منها بما وفروا لنا من رؤية واضحة لجملة المعارف الاسلامية الغراء.

وقد بذل علماء الاسلام جهودا كبيرة في اثراء البحث الكلامي استدلالا او تحليلا او ردا للشبه ومن هنا نشأت المدارس والاراء المختلفة، وقد اصاب الشيعة الامامية بسهم وافر من النتاج الكلامي.

وقد مر علم الكلام باربعة ادوار[1] ثالثها هو الدور الّذي بدء بالخواجة المحقق نصير الدين الطوسي ﵀ وتميز هذا الدور بالانفتاح على الفلسفة المشائية فحاول الاستفادة من بعض معطياتها كتقسيم الوجود الى الواجب والممكن، وامتناع اعادة المعدوم، كما تصدى لرد بعض نتائجها

---

(١) انظر اطلالة على علم الكلام.

كالقول بقدم العالم.

وكان للعلامة الحلي الحسن بن يوسف‏ﷺ وهو تلميذ المحقق الطوسي‏ﷺ والشارح لاقواله، الدور الكبير في نشر هذا المنهج الكلامي اذ هو بالاضافة الى شرح بعض كتب استاذه، فقد كتب كتبا كثيرة بمستويات مختلفة روجت هذا المنهج حتى صار هذا المنهج هو المنهج المدرسي السائد عند الشيعة قرونا متطاولة.

كتبه الكلامية

وهي كثيرة منها

١ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد.

٢ـ معارج الفهم في شرح النظم.

٣ـ الرسالة السعدية.

٤ـ نهج الحق.

٥ـ مناهج اليقين.

٦ـ نهج المسترشدين.

٧ـ نهاية الاقدام في علم الكلام.

٨ـ انوار الملكوت في شرح الياقوت.

٩ـ الباب الحادي عشر، وهو فصل الحقه بكتاب منهاج الصلاح كما ستعرفه.

ومن أبرز من سلك مسلك العلامة الحلي والمحقق الطوسي‏ﷺ هو الشيخ الفاضل المقداد السيوري‏ﷺ، فكتب الكثير من الكتب الكلامية المهمة، ومنها:

١ـ اللوامع الإلهية.
٢ـ الأنوار الجلاليّة في شرح الفصول النصيرية.
٣ـ النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر.
٤ـ إرشاد الطالبين الى نهج المسترشدين.

وقد إحتل شرح الفاضل على باب العلامة مكانة مهمة لإختصاره وجلالة المؤلِّفَين العلمية فصار من كتب الدرس الحوزوي لطلاب العقيدة، ولما كانت مطالبه مختصرة والعقيدة مما يُطلب فيها العلم عن الدليل، كان هذا الشرح ومتنه محطا لانظار الشارحين من المهتمين بعلم الكلام مما اثرى البحث العقائدي بمجموعة من الشروح وثمار افكار الباحثين، وها انا ذا ادلو بدلوي في الدلاء محاولا التشبه باهل العلم والتشبث بمعالم العقيدة الحقة فوضعت هذه التعليقة تذكيرا لنفسي ونفعا لاخواني، واسال الله تعالى التوفيق لما دعا اليه من سبيله نعم المولى ونعم النصير.

النجف الاشرف
حيدر الوكيل
٢٧ / محرم الحرام / ١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف[1]

الحمد لله الّذي دل على وجوب وجوده افتقار الممكنات، وعلى قدرته وعلمه إحكام المصنوعات، المتعالي عن مشابهة الجسمانيات، المنزه بجلال قدسه عن مناسبة الناقصات، نحمده حمدا يملأ أقطار الأرض والسموات، ونشكره شكرا على نعمه المتظاهرات المتواترات، ونستعينه على دفع البأساء، وكشف الضراء في جميع الحالات.

والصلاة على نبيه محمدﷺ صاحب الآيات والبينات، المكمل بطريقته وشريعته سائر الكمالات، وعلى آله الهادين من الشبه والضلالات، <الّذين> أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من الزلات، صلاة تتعاقب عليهم، كتعاقب الآنات[2].

---

(١) هو الفاضل المقداد السيوري؆ شارح الباب.

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي دلنا على وجوده حدوث الحادثات، وعلى وحدانيته انتظام الارضين والسماوات، الواحد الاحد، الفرد الصمد، وصلى الله على سيد رسله، وتمام حجته، محمد واله، باب الله الّذي منه يؤتى، والادلاء على توحيده، والقادة الى سبيله.

هذه تعليقة على الباب الحادي عشر، وشرح الفاضل المقداد؆ قصدت فيها الى زيادة البيان لتنبيه الطالبين لعلم العقيدة وصون اذهانهم من الخطأ والالتباس في المعارف ←

أما بعد، فإنّ الله تعالى لم يخلق العالم عبثا فيكون من اللاعبين بل لغاية وحكمة متحققة للناظرين، وقد نص على تلك الغاية بالتعيين فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1] فوجب على كل من هو في زمرة العاقلين، إجابة رب العالمين، ولما كان ذلك متعذرا بدون معرفته

←

الدينية الاصولية فاضفت اليها بعض النصوص المعصومية، عن الحجج الالهية، ليعرف القارئ الدينَ من منابعه الاصلية ومن المبلغين به عن الله تعالى كما اضفت بعض البيانات من كتب الاصحاب الاخرى، او من كتب المخالفين اثرءا لمعرفة القارئ، واثباتا للحجة، فإنّ اصبت فشكرا لله تعالى على ما انعم، وان اخطأت فاسال الله تعالى العفو والمغفرة، اسال الله تعالى ان يوفقنا الى الحق وييسر لنا سبيله.

(١) سورة الذاريات ـ ٥٦، وفي علل الشرايع ج ١ ص ١٣: "عن ابي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: خلقهم ليأمرهم بالعبادة" وروى العامة مثله عن علي عليه السلام انظر تفسير القرطبي ج١٥ ص ٧٧: "وقال علي رضي الله عنه: أي وما خلقت الجن والانس إلا لآمرهم بالعبادة".

اما ما يقال من ان معنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ هنا هو ليعرفون فلم يرد به نص من طرقنا اما العامة فقد ارسله القرطبي عن مجاهد فلا عبرة به.

اما ما رواه الصدوق عن ابي عبد الله عليه السلام:"قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس ان الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه أستغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الّذي يجب عليهم طاعته".

– علل الشرائع – الشيخ الصدوق ج ١ ص ٩.

فانها لم ترد في تفسير الاية الكريمة، اضافة الى ان الامام عليه السلام فسر معرفة الله تعالى بمعرفة الامام الّذي هو الدليل الى الله تعالى ومعرفة ما يريده من العباد فتنبه.

باليقين، وجب على كل عارف مكلف تنبيه الغافلين، وإرشاد الضالين، بتقرير مقدمات ذوات أفهام وتبيين. فمن تلك المقدمات المقدمة الموسومة بالباب الحادي عشر من تصانيف شيخنا، وإمامنا، العالم، الأعلم، الأفضل، الأكمل، سلطان أرباب التحقيق، أستاذ أولي التنقيح والتدقيق، مقرر المباحث العقلية، مهذب الدلائل الشرعية آية الله في العالمين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، جمال الملة والدين: أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي، قدس الله روحه، ونور ضريحه. فإنّها مع وجازة لفظها، كثيرة العلم، ومع اختصار تقريرها كبيرة الغنم، وكان قد سلف مني في سالف الزمان، أن أكتب شيئا يعين على حلها بتقرير الدلائل والبرهان، إجابة لالتماس بعض الأخوان، ثم عاقتني عن إتمامه عوائق الحدثان ومصادمات الدهر الخوان إذا كان صادا للمرء عن بلوغ إرادته، وحائلا بينه وبين طلبته ثم اتفق الاجتماع والمذاكرة في بعض الأسفار، مع تراكم الأشغال وتشويش الأفكار، فالتمس مني بعض السادات الأجلاء، أن أعيد النظر والتذكر لما كنت قد كتبت أولا، والمراجعة إلى ما كنت قد جمعت، فأجبت ملتمسه، إذ قد أوجب الله تعالى علي إجابته.

هذا مع قلة البضاعة، وكثرة الشواغل المنافية للاستطاعة، وها أنا أشرع في ذلك مستمدا من الله تعالى المعونة عليه، ومتقربا به إليه وسميته (النافع يوم الحشر في شرح باب الحادي عشر) وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

المقدمة

في بيان وجوب معرفة أصول الدين، وفيها أمور: الأمر الأول في بيان وجه تسمية هذا الكتاب ومعاني الوجوب والأصول والدين.

قال: قدس الله روحه، (الباب الحادي عشر، فيما يجب على عامة المكلفين من معرفة أصول الدين).(١)

أقول: إنما سمي هذا الباب: الحادي عشر لأن المصنف اختصر (مصباح المتهجد) الّذي وضعه الشيخ أبو جعفر الطوسي‌رحمه الله في العبادات والأدعية، ورتب ذلك المختصر على عشرة أبواب، وسماه كتاب (منهاج الصلاح في مختصر المصباح). ولما كان ذلك الكتاب في فن العمل، والعبادات، والدعاء، استدعى ذلك إلى معرفة المعبود والمدعو، فأضاف إليه هذا الباب.

(١) التسمية باصول الدين من اصطلاحات المتكلمين ولم يستقر امر الامامية منهم على كونها الخمسة المعروفة اعني (التوحيد والعدل والنبوة والامامة والمعاد) الا بعد عصور المعصومين‌عليهم السلام ولم يتضح لنا المعيار في ادخال ما ادخلوه فيها وخروج ما اخرجوه منها، ومتابعتنا لهم هنا متابعة للمتن وتنظيما للابحاث الكلامية على ما هو المتعارف.

وعن السيد المرتضى علم الهدى‌رحمه الله: "وسأل (أدام الله تسديده) عن عدد أصول الدين، وكيف القول فيه؟ الجواب: وبالله التوفيق أن الّذي سطره المتكلمون في عدد أصول الدين أنها خمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولم يذكروا النبوة. فإذا قيل: كيف أخللتم بها؟

←

→

قالوا: هي داخلة في أبواب العدل من حيث كانت لطفا، كدخول الألطاف والأعواض وما يجري مجرى ذلك.

فقيل لهم: فالوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضا من باب الألطاف، ويدخل في باب العدل كدخول النبوة، ثم ذكرتم هذه الأصول مفصلة، ولم تكتفوا بدخولها في جملة أبواب العدل مجملة، وحيث فصلتم المجمل ولم تكتفوا بالاجمال فألا فعلتم ذلك بالنبوة؟

وهذا سؤال رابع، وبها اقتصر بعض المتأخرين على أن أصول الدين اثنان التوحيد والعدل، وجعل باقي الأصول المذكورة داخلا في أبواب العدل.

فمن أراد الاجمال اقتصر على أصلين التوحيد والعدل، فالنبوة والامامة الّتي هي واجبة عندنا ومن كبار الأصول، وهما داخلتان في أبواب العدل.

ومن أراد التفصيل والشرح وجب أن يضيف إلى ما ذكروه من الأصول الخمسة أصلين: النبوة، والامامة. وإلا ما كان مخلا ببعض الأصول، وهذا بين لمن تأمله" - رسائل المرتضى - الشريف المرتضى ج ١ ص ١٦٥.

اقول: ما ذكره السيد الشريف المرتضى ﷺ هو قول المعتزلة فاننا نجد ان القاضي عبد الجبار المعتزلي (ت ٤١٥) له كتاب اسمه "شرح الاصول الخمسة" وهي بعينها الّتي عدها سيدنا الشريف هنا، بل حتى رجوعها الى التوحيد والعدل ودخول غيرها في ذينك الاصلين هو من مختارات ذلك الفاضل المعتزلي حيث بنى عليه كتابه المغني، مما يؤكد عدم وجود اصطلاح لاصحابنا انذاك في اصول الدين.

ونجد ان في اصول الكافي ابواب التوحيد والحجة جمع الكلام بين مباحث النبوة والامامة، ولم يذكر العدل ولا المعاد.

وفي اشارة السبق للشيخ ابي المجد الحلبي وفي الكافي للحلبي مقدمة في العقائد فصّلا القول في العدل بالاضافة الى التوحيد والنبوة والامامة، دون المعاد.

وتجد في غيرها تقسيمات مختلفة مما يؤكد عدم ثبوت الاصطلاح عندهم الى اخر

←

→

الدور الثاني لعلم الكلام وبعد ذلك وفي الدور الثالث وهو المبتدء بالخواجة الطوسي وتلميذه العلامة استقروا على جعل الاصول خمسة كما هو واضح لمن راجع كتب الكلام، والظاهر انهم حاولوا الجمع بين ما تقدمهم من جعل العدل والامامة من اصول الدين، وبين ما استقر عليه العامة وبعض اصحابنا من جعل المعاد او الوعد والوعيد من اصول الدين فكانت حصيلة جمع المباحث هو ما استقروا عليه في هذا الدور.

ولعل الملاك في جعل هذه الخمسة اصولا للدين هو ان بانتفائها ينتفي الدين ويرد عليه خروج المخالفين من الدين، لكنهم جعلوا العدل والامامة اصولا للمذهب حرصا على ادخال المخالفين في الاسلام! وليس بامانيهم انما هو الدين ان ثبت بالضرورة، اوالوضوح على مستوى الدليل، وابتناء سائر المعارف والفروع عليه، فالخارج عنه خارج عن الدين ولا كرامة، والتفريق بين اصول الدين واصول المذهب تأديا للمراد منظور فيه، قال العلامة المحقق البحراني﴿ في الشهاب الثاقب:"اعلم انه قد اشتهر بين جملة من متاخري اصحابنا ـ رضوان الله عليهم ـ تقسيم الضروري الى ضروري المذهب وضروري الدين، ومرادهم بضروري الدين هو ما اجمعت عليه الامة، كالصلاة والزكاة والحج ونحوها. وضروري المذهب هو ما اختصت ضروريته باهل مذهب مخصوص من تلك الامة، كتحريم المسح على الخفين، وتحليل المتعتين، ونحوهما مما علم ضروريته من مذهب اهل البيت﴿ خاصة.

قالوا: والكفر انما يلزم انكار الاول دون الثاني، ومسألة الامامة انما هي من قبيل الثاني دون الاول، فانكارها لا يستلزم الكفر، و قد استند جماعة ممن عاصرناهم عند وقوع البحث بيننا وبينهم في هذه المسألة الى ذلك.

اقول: وما ذكروه منظور فيه من وجوه: الاول: انه لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا عقل، ولا نقل ممن يعتمد عليه، بل الدليل قائم على خلافه، كما لا يخفى على من نظر في هذه الرسالة، ويغلب على الظن ان هذا الكلام ماخوذ من اصول العامة وقواعدهم، اتخذوه لاجل دفع الشنعة عن انفسهم بلزوم الكفر لهم بانكار الامامة،

←

قوله: (**فيما يجب على عامة المكلفين**):

الوجوب: في اللغة: الثبوت والسقوط[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾[٢]، واصطلاحا: الواجب: هو ما يذم تاركه على بعض الوجوه، وهو على قسمين: واجب عينا: وهو ما لا يسقط عن البعض بقيام البعض الآخر به، وواجب كفاية: وهو بخلافه، والمعرفة من القسم الأول: فلذلك قال "يجب على عامة المكلفين".

والمكلف: هو الإنسان[٣] ....

→

فاخذه غيرهم غفلة عن تحقيق الحال في ذلك المجال.

وذكر المحقق المذكور وجوها اخرى انهاها الى ثمانية، ثامنها: انه لا خلاف بين اؤلئك القائلين باسلام المخالفين في كفر الخوارج والنواصب بالمعنى الّذي ذكروه، لانكارهم بعض ما علم من ضروريات الدين الّذي هو حب مولانا امير المؤمنين و اولاده الميامين عليهم السلام فللقائل ان يقول: ان اردتم بضرورية محبتهم عليهم السلام من الدين انه مما اجتمعت عليه الامة، كما تقدم من تفسير ضروري الدين، فهذا باطل، لان هؤلاء المنكرين بعض الامة. وان اردتم بها ثبوتها من الدين بالدليل الواضح والبرهان اللائح من غير التفات الى خلاف من خالف، او وفاق من وافق، فهذا بعينه جار في مسألة الامامة...". الشهاب الثاقب في بيان معنى الناصب للفقيه المحدث المحقق الشيخ يوسف البحراني رحمه الله ص ٧٦ و ٧٧ و ٨٠.

(١) الوجوب مشترك لفظي بين الثبوت والسقوط، وهو من الاضداد والاضداد هي كل لفظ وضع للمعنى وضده كالجون والمولى.

(٢) الحج: ٣٦.

(٣) لا ريب ان الجن مكلفون ايضا وتقييده هنا بالانسان لبيان الاصطلاح من جهة ولان الانسان هو محل الابتلاء من جهة اخرى.

الحي، البالغ[١]، العاقل، فالميت، والصبي، والمجنون ليس بمكلفين.

والأصول: جمع الأصل: وهو ما يبتنى عليه غيره.

والدين: لغة: الجزاء، ومنه قول النبيﷺ: كما تدين تدان.

واصطلاحا: وهو الطريقة، والشريعة وهو المراد هنا، وسمي هذا الفن أصول الدين لأن سائر العلوم الدينية من الحديث، والفقه، والتفسير مبتنية عليه فإنّها متوقفة على صدق الرسول، وصدق الرسول متوقف على ثبوت المرسل وصفاته وعدله وامتناع القبح عليه.

وعلم الأصول، وهو ما يبحث فيه عن وحدانية الله تعالى، وصفاته وعدله ونبوة الأنبياء، والإقرار بما جاء به النبيﷺ وإمامة الأئمةعليهم السلام، والمعاد.

---

(١) في اشتراط التكليف بالعقائد بالبلوغ نظر، وحاصله ان العقيدة لا سيما في مفرداتها الاساسية كالتوحيد والنبوة والامامة ترتبط ببيان الواقع فقضية "الله موجود" او "الله واحد" او محمد نبي "او على امام" لا ترتبط بالتكليف باكثر من ادراك الواقع فالصبي المميز يدرك الكثير من الواقعيات مثل "الام موجودة" و "الاب فلان" و"النجف موجودة" وغيرها بل يدرك الاعتباريات مثل "بغداد عاصمة العراق" وغيرها الكثير فإنّ ادرك ان الله تعالى موجود واحد وان محمداﷺ رسول الله و ان علياعليه السلام امام بالحق، فالانسان حينئذ مكلف بالاعتقاد بذلك والتدين به وعدم انكاره، وليس الامر هنا كما في الاحكام الفرعية لرجوعها الى التعبد، اما هذا السنخ من العقائد فهو يرجع الى ادراك الواقعيات فلا مجال للانكار.

قال: (أجمع العلماء كافة على وجوب معرفة الله تعالى، وصفاته الثبوتية والسلبية وما يصح عليه وما يمتنع عنه والنبوة والإمامة والمعاد[١]).

أقول: إتفق أهل الحل والعقد[٢] من أمة محمدﷺ على وجوب هذه المعارف وإجماعهم حجة اتفاقا، أما عندنا فلدخول المعصومعليه السلام فيهم[٣]، وأما عند الغير فلقولهﷺ: (لا تجتمع أمتي على خطأ)[٤].

---

(١) لابد من الالتزام بان المراد هو المعرفة الاجمالية لا التفصيلية والا لخرج عامة الناس عن الاسلام وهو ما لا نظن باحد الالتزام به. والمراد بالمعرفة الاجمالية المعرفة باصول المسائل عن طريق الادلة الواضحة جدا الّتي لم تخف على العجائز والاعراب.

(٢) فسر الشارح العلماء باهل الحل والعقد وهو تفسير بالاخفى لعدم وضوح المراد باهل الحل والعقد لا سيما مع مخالفة العامة في الامامة والعدل الا ان يقال بخروجهم من امة محمدﷺ و لا نظن بانه مراده لا سيما مع ايراده لاقوال العامة وتبني بعضها كما في بعض اقوال المعتزلة حتى سميت الشيعة والمعتزلة بالعدلية، كما خالفوا اخرين وناقشوهم.

(٣) هذا اشهر ملاكات الاجماع والا فهناك اقوال بغير هذا الملاك.

(٤) لم اجده بهذا اللفظ في مصادر الحديث عند العامة نعم ذكره الرازي في المحصول ج ٤ ص ٩٢ وقال انه باطل.

وقد ورد بالفاظ اخرى منها:

١ـ حدثنا عبد الله حدثنى أبى ثنا يونس قال ثنا ليث عن أبى وهب الخولانى عن رجل قد سماه عن أبى بصرة الغفاري صاحب رسول اللهﷺ ان رسول اللهﷺ قال سألت ربى عزوجل أربعا فاعطاني ثلاثا ومنعنى واحدة سألت الله عزوجل ان لا يجمع أمتى على ضلالة فاعطانيها وسألت الله عزوجل ان لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الامم

←

←

قبلهم فاعطانيها وسألت الله عزوجل ان لا يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها - مسند احمد - الامام احمد بن حنبل ج ٦ ص ٣٩٦،

٢ـ (اخبرنا) عبد الله بن صالح حدثني معاوية عن عروة بن رويم عن عمرو بن قيس ان رسول الله ﷺ قال ان الله ادرك بى الاجل المرحوم واختصر لي اختصارا فنحن الاخرون ونحن السابقون يوم القيامة واني قائل قولا غير فخر ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله وانا حبيب الله ومعي لواء الحمد يوم القيامة وان الله عزوجل وعدني في امتي واجارهم من ثلاث لا يعمهم بسنة ولا يستأصلهم عدو ولا يجمعهم على ضلالة - سنن الدارمى - عبدالله بن بهرام الدارمي ج ١ ص ٢٩،

٣ـ حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي. ثنا الوليد بن مسلم. ثنا معان ابن رفاعة السلامى. حدثنى أبو خلف الاعمى، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول "إن أمتى لا تجتمع على ضلالة. فإذا رأيتم اختلافا، فعليكم بالسواد الاعظم".

في الزوائد: في إسناده أبو خلف الاعمى، واسمه حازم بن عطاء، وهو ضعيف. وقد جاء الحديث بطرق، في كلها نظر. قاله شيخنا العراقى في تخريج أحاديث البيضاوى.

- سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد القزويني ج ٢ ص ١٣٠٣،

٤ـ حدثنا محمد بن عوف الطائى، ثنا محمد بن إسماعيل، حدثنى أبى، قال ابن عوف: وقرأت في أصل إسماعيل، قال: حدثنى ضمضم، عن شريح، عن أبى مالك يعنى الاشعري قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله أجاركم من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة). - سنن أبي داود - ابن الأشعث السجستاني ج ٢ ص ٣٠٢.

اما من طرقنا فهو موجود ايضا بالفاظ مقاربة منها: في رسالة الامام الهادي عليه السلام لاهل الاهواز في الجبر والتفويض الواردة في تحف العقول ص ٤٥٨. والاحتجاج ج٢ ص ٢٥١.

←

→

ومنها في حديث طويل في الخصال: "حدثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسني قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن حفص الخثعمي قال: حدثنا الحسن بن عبد الواحد قال: حدثني أحمد بن التغلبي قال: حدثني أحمد بن عبد الحميد قال: حدثني حفص ابن منصور العطار قال: حدثنا أبو سعيد الوراق، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: لما كان من أمر أبي بكر وبيعة الناس له وفعلهم بعلي بن أبي طالب عليه السلام ما كان لم يزل أبو بكر يظهر له الانبساط ويرى منه انقباضا فكبر ذلك على أبي بكر فأحب لقاءه واستخراج ما عنده والمعذرة إليه لما اجتمع الناس عليه وتقليدهم إياه أمر الامة وقلة رغبته في ذلك وزهده فيه، أتاه في وقت غفلة وطلب منه الخلوة، وقال له:

والله يا أبا الحسن ما كان هذا الامر مواطاة مني، ولا رغبة فيما وقعت فيه، و لا حرصا عليه ولا ثقة بنفسي فيما تحتاج إليه الامة ولا قوة لي لمال ولا كثرة العشيرة ولا ابتزاز له دون غيري فمالك تضمر علي ما لم أستحقه منك وتظهر لي الكراهة فيما صرت إليه وتنظر إلي بعين السأمة مني؟

قال: فقال له عليه السلام: فما حملك عليه إذا لم ترغب فيه ولا حرصت عليه ولا وثقت بنفسك في القيام به، وبما يحتاج منك فيه؟

فقال أبو بكر: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله "إن الله لا يجمع امتي على ضلال" ولما رأيت اجتماعهم اتبعت حديث النبي صلى الله عليه وآله وأحلت أن يكون اجتماعهم على خلاف الهدى وأعطيتهم قود الاجابة ولو علمت أن أحدا يتخلف لامتنعت.

قال: فقال علي عليه السلام: أما ما ذكرت من حديث النبي صلى الله عليه وآله "إن الله لا يجمع امتي على ضلال" أفكنت من الامة أو لم أكن؟

قال: بلى.

قال: وكذلك العصابة الممتنعة عليك من سلمان وعمار وأبي ذر والمقداد وابن عبادة ومن معه من الانصار؟

←

والدليل على وجوب المعرفة(١) سندا للإجماع على وجهين: عقلي، وسمعي، أما الدليل العقلي، فلوجهين:

الأول: أنها دافعة للخوف الحاصل للإنسان من الاختلاف، ودفع



قال: كل من الامة.

فقال علي عليه السلام: فكيف تحتج بحديث النبي صلى الله عليه وآله وأمثال هؤلاء قد تخلفوا عنك وليس للامة فيهم طعن ولا في صحبة الرسول صلى الله عليه وآله ونصيحته منهم تقصير.

قال: ما علمت بتخلفهم إلا من بعد إبرام الامر وخفت إن دفعت عني الامر أن يتفاقم إلى أن يرجع الناس مرتدين عن الدين وكان ممارستكم إلي إن أجبتم أهون مؤونة على الدين وأبقى له من ضرب الناس بعضهم ببعض فيرجعوا كفارا، وعلمت أنك لست بدوني في الابقاء عليهم وعلى أديانهم.

قال علي عليه السلام: أجل ولكن أخبرني عن الّذي يستحق هذا الامر بما يستحقه؟

فقال أبو بكر: بالنصيحة، والوفاء، ورفع المداهنة والمحاباة، وحسن السيرة، وإظهار العدل، والعلم بالكتاب والسنة وفصل الخطاب، مع الزهد في الدنيا وقلة الرغبة فيها وانصاف المظلوم من الظالم القريب والبعيد. ثم سكت

فقال علي عليه السلام: أنشدك بالله يا أبا بكر أفي نفسك تجد هذه الخصال أوفي؟ قال: بل فيك يا أبا الحسن.... والحديث طويل". - الخصال- الشيخ الصدوق ص ٥٤٨.

والحاصل ان هذا المضمون صادر عن مشكاة العصمة لكن الامام داخل في امة النبي صلى الله عليه وآله فالحجة راجعة لدخوله في الامة فلا اشكال ولا ينافي شيئا من عقيدتنا والنص الوارد في الخصال يؤكد ذلك.

(١) الواجب هو قبول التعريف كما نصت عليه الاخبار الشريفة منها: "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس لله على خلقه أن يعرفوا قبل أن يعرفهم، وللخلق على الله أن يعرفهم، ولله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوه" التوحيد - الشيخ الصدوق ص ٤١٢. ومن هنا فالمعرفة واجب عيني على من وصلت اليه الدعوة والبلاغ الديني.

الخوف واجب، لأنه ألم، نفساني يمكن دفعه، فيحكم العقل بوجوب دفعه، فيجب دفعه[١].

---

(١) هنا مسالتان

الاولى: هل النظر واجب؟

الثانية: هل المعرفة واجبة؟

وللاجابة نقدم الامور التالية:

الاول: ما المراد بالنظر؟ والجواب انهم عرفوه بتعريفات مختلفة منها: "ملاحظة المعقول لتحصيل المجهول"، وغيره وافاضوا في شرح التعريفات والنقض عليها او الانتصار لها وهذا تجده مفصلا في كتب المنطق فراجع، والحاصل ان النظر هو (عملية التفكير) والتعاريف تشرح وتبيّن هذه العملية.

الثاني: ان النظر مشروط بامرين

الشرط الاول: العقل، لوضوح ان المجنون لا شئ عليه.

الشرط الثاني: العلم باختلاف الناس، ليخرج عن حد المستضعف، فعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من عرف اختلاف الناس فليس بمستضعف. الكافي للكليني ج٢ ـ ص ٤٠٥.

فاذا توفر الشرطان وجب النظر لدفع الضرر المحتمل حيث يدعي بعض اهل الفكر وجود حياة اخرى فيها عقاب عظيم او ثواب كريم.

ودفع الضرر عن النفس امر عقلي بل فطري فلا بد من الفحص لمعرفة الحق من سواه.

تنبيه: ان مجال النظر حسب مقتضى الدليل هو النظر في دعوى النبوة اما ما سواها فيثبت بثبوتها و يُتعقل بواسطها، فالدليل العقلي المستقل اعني وجوب دفع الضرر يحصل من دعوى النبوة ويؤمن الانسان عند النظر فإنّ ثبت بالاعجاز مثلا صدق دعوى النبي لم يحتج الى العقل كمستقل في تحصيل المعارف بل هو ـ حينئذ ـ الة للمعرفة...

←

→

هل المعرفة واجبة؟

تقدم ان النظر واجب بعد العلم باختلاف الناس والقدرة العقلية على التميز، ولكن هل المعرفة بعد النظر واجبة؟

والجواب ان المعرفة تحصل من النظر قسرا ولكن الكلام في هل انها مطابقة للواقع ام لا؟ وعلى فرض عدم المطابقة فهل يستحق صاحبها العقاب ام لا؟

وبعد ان عرفت ان الملاك في وجوب النظر هو العقل والعلم بالاختلاف فمع توفرهما لا بد من عدم التقصير في طلب الحق ولا الانغماس في حضيض التعصب والتقليد بل لابد ان يكون الباحث باحثا عن الحقيقة طالبا للنجاة حريصا على الوصول الى الحق.

ومن هنا حث الائمة الهداةعليهم السلام على اخذ العلم من اهله وبينوا امر العلم واهميته وما ينفع في اخذه منها:

١ـ عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد اللهعليه السلام يقول: كان أمير المؤمنينعليه السلام يقول: يا طالب العلم إن العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، واذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأشياء والامور، ويده الرحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمته السلامة، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، و سلاحه لين الكلمة، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، و ماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، وماؤه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبة الأخيار.

٢ـ عن أبي جعفرعليه السلام في قول الله عزوجل: "فلينظر الإنسان إلى طعامه" قال: قلت ما طعامه؟ قال: علمه الّذي يأخذه، عمن يأخذه.

فإنّ طلب الباحث العلم ولم يقصر في طلبه هداه الله تعالى الى الحق بمنه وكرمه، قال تعالى:"<والّذين> جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين".

تنبيه

الجاهل بالحق اما ان يكون قاصرا فهو داخل في المستضعفين، واما مقصرا وهذا لا

←

الثاني: أن شكر المنعم واجب، ولا يتم إلا بالمعرفة[١].

اما أنه واجب، فلإستحقاق الذم عند العقلاء بتركه.

وأما أنه لا يتم إلا بالمعرفة فلأن الشكر إنما يكون بما يناسب حال المشكور، فهو مسبوق بمعرفته وإلا لم يكن شكرا، والباري تعالى منعم، فيجب شكره، فتجب معرفته.

ولما كان التكليف واجبا في الحكمة كما سيأتي، وجب معرفة مبلغه وهو النبي صلى الله عليه وآله وحافظه وهو الإمام عليه السلام، ومعرفة المعاد لاستلزام التكليف وجوب الجزاء.

وأما الدليل السمعي فلوجهين:

←

عذر له في جهله فليبحث بجد وليتق الله تعالى ولينظر ماذا يقدم غدا بين يدي الله تعالى من عذر وهو سبحانه لا تخفى عليه خافيه.

(١) المعرفة لا تحصل الا بعد التبليغ الالهي بواسطة الحجج عليهم السلام ومجرد وجود النعم لا لا يفي بوجوب المعرفة الا على المستوى الاخلاقي الّذي يمكن للانسان تخطيه والتكبر عن الاعتراف به، والمعرفة بالله سبحانه وتعالى لا تحصل بالعقل فقط والانسان المجرد عن تبليغ السماء ضال لا يصل الى الحق ابدا والدليل عليه ما ورد في الاخبار الشريفة من ان الناس بعد الانقطاع عن الحجة بعد ادم عليه السلام بقوا ضلالا لا مؤمنين ولا كافرين، وما دل على ان لو بقي في الارض رجلان لكان احدهما الحجة الى غير ذلك مما دل على عدم خلو الارض من الحجة ابدا، والحاصل ان المعرفة منوطة بامرين:

الاول: التبليغ الالهي. والثاني: ادراك العقل لصدق الحجة.

فلا التبليغ يفي بالمعرفة لغير العاقل، ولا العاقل يتوصل بعقله فقط الى المعرفة.

الأول: قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[١]، والأمر للوجوب.

والثاني: لما نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٢]، قال النبيﷺ: (ويل لمن لاكها بين لحييه ثم لم يتدبرها)[٣].

رتب الذم على تقدير عدم تدبرها أي عدم الاستدلال بما تضمنته الآية عن ذكر الأجرام السماوية والأرضية لما فيها من آثار الصنع والقدرة والعلم على وجود صانعها، وقدرته وعلمه، فيكون النظر والاستدلال واجبا[٤] وهو المطلوب.

---

(١) سورة محمد اية ـ ١٩.

(٢) ال عمران: ١٩٠.

(٣) لم اجده في المصادر الحديثية نعم استشهد به الآمدي من العامة في كتابه الاحكام ج٤ ص ٢٢٣ على نفس المطلب هنا فلعله من اخبارهم، وكذا نقله الطبرسي والبيضاوي وارسلاه فالخبر عامي مرسل لا ينبغي الاعتماد عليه.

(٤) لا ينافي ما تقدم من ان الواجب هو قبول التعريف بل يؤيده فقول الرسول الاعظمﷺ تطبيق لتلك القاعدة اعني التعريف من الله تعالى والقبول من العبد. والعقل دوره دور المدرك للحق بعد التعريف لا انه يصل بنفسه، ويؤيده خبر ابن السكيت:"فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال: فقالعليه السلام: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه، قال: فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب"، الكافي الشريف ج١ ص ٢٥.

قال: (كل ذلك بالدليل[١] لا بالتقليد).

أقول: الدليل ـ لغة ـ هو المرشد والدال، واصطلاحا هو ما يلزم من

---

(١) قال الشيخ صفي الدين الطريحي‌ﷺ: "وهو قد يكون: عقليا محضا: كقولك: «العالم ممكن، وكل ممكن حادث، فالعالم حادث».

وقد يكون مركبا من العقل والنقل، وذلك: اما ان تكون مقدماته بعضها عقلي وبعضها نقلي: كقولك: الوضوء عمل، ولكل عمل لا بد من نيته لقوله‌عليه السلام: «انما الاعمال بالنيات».

او تكون كلها نقلية لكنها منتهية الى العقل: كقولك: «تارك الامر عاص»؛ لقوله تعالى: «افعصيت امري»، وكل عاص يستحق النار؛ لقوله تعالى: «ومن يعص الله ورسوله فإنّ له نار جهنم».

ولا يرتكب من النقليات المحضة والا جاء الدور" ـ مطارح النظر، للشيخ صفي الدين الطريحي، ص ٢٦ ـ ٢٧.

هذا هو المعروف بين المحصلين ونضيف اليه:

١ـ ان الدليل النقلي وهو النص من القرآن او السنة، يفيد تحصيل ثلاثة انحاء من المسائل الاعتقاديه:

الاول: تقرير الدليل العقلي.

الثاني: الاخبار عن الغيب.

الثالث: الامور التاريخية.

وجميع هذه الاقسام مما تكفل به الحجج المعصومون‌عليهم السلام اما من خلال تبيان النص القراني، او ابتداءا، لذا فالنصوص الدينية تفي بجميع اقسام المعارف.

اما العقل فدوره ادراك ما يبلغه الحجج‌عليهم السلام فهو لا يستقل بالمعرفة وحده، وعلى هذا اجماع الامامية ونصوصهم، واما خلاف بعض المتاخرين فلا يضر لوضوح وقوعهم ←

→

في الشبهة الناشئة من عدم مراجعة الاخبار الشريفة واستيلاء الفكر الفلسفي.

ولشيخنا الفاضل المحقق الشيخ حسن الميلاني (دامت بركاته) بيان نافع في المقام، قال:" اذا كان هناك من يثبت علمه وكماله وعدالته بمعجزاته ومطالعة سيرته علي حد انه يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، وآخر ليس له ذلك ولا يجترء علي مثل هذا الادعاء الا بفضيحة نفسه، فالرجوع الي الثاني دون الاول خلاف بداهة العقل والبرهان.

ان قلتم: انه يلزم الدور من لزوم الرجوع الي الانبياء قبل اثبات وجود الله تعالي، قلنا: لا يلزم الدور اصلا لان السفراء الالهيون يثبتون كلا من وجود الله وسفارتهم وكمالهم بارائة معجزاتهم في مرحلة واحدة، ولا توقف هناك لاحد الامور علي الآخر اصلا.

ان قلتم: انا ما كنا في زمن معجزات الانبياءعليهم السلام، نقول: لا يشترط في ذلك كوننا في زمنهم بل العبرة بذلك هو وجود الادلة المتواترة الدالة علي حقانيتهم كوجود مولانا امير المؤمنينعليه السلام وهو يقول: ما لله آية أكبر مني.

ويأتي الفرق بين المعجزات وساير خوارق العادات.

وليعلم أيضا أنه لا يمكن التعارض بين المعارف الوحيانية مع احكام العقل أصلا، وإن وجدنا شيئا منها يخالف ما عندنا أو عند امثالنا من أهل الفكر والتفلسف مما نحسبه عقليا فليس الا من جهلنا المركب وغلبة الوهم علينا وهو واضح". انظر تحرير النافع يوم الحشر للشيخ الميلاني.

ومن النصوص: ١ـ "عن محمد بن حكيم قال: قلت لابي عبد اللهعليه السلام: المعرفة من صنع من هي؟ قال: من صنع الله، ليس للعباد فيها صنع" - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٦٣،

٢ـ و"عن عبد الاعلى قال: قلت لابي عبد اللهعليه السلام: أصلحك الله هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ قال: فقال: لا، قلت: فهل كلفوا المعرفة؟ قال: لا، على الله البيان "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها"" - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٦٣،

←

العلم به العلم بشيء آخر[(١)].

ولما وجبت المعرفة وجبت أن تكون بالنظر والاستدلال، لأنها ليست ضرورية، لأن المعلوم الضروري هو الّذي لا يختلف فيه العقلاء[(٢)]،

←

٣ـ "عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل" - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٥،

٤ـ "قال ابن السكيت لأبي الحسن عليه السلام لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم، وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيى لهم الموتى، وأبرء الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهم. وإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام وأظنه قال: الشعر فأتاهم من عند الله من واعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم، قال: فقال ابن السكيت: تالله ما رأيت مثلك قط فما الحجة على الخلق اليوم؟ قال: فقال عليه السلام: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه والكاذب على الله فيكذبه، قال: فقال ابن السكيت: هذا والله هو الجواب" - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٤.

والاجماع: قال الشيخ المفيد: "اتفقت الامامية على أن العقل محتاج في علمه ونتائجه إلى السمع و أنه غير منفك عن سمع ينبه العاقل على كيفية الاستدلال، وأنه لابد في أول التكليف وابتدائه في العالم من رسول، ووافقهم في ذلك أصحاب الحديث" - أوائل المقالات- الشيخ المفيد ص ٤٤.

(١) هذا التعريف هو تعريف الدلالة لا الدليل.

(٢) الضروري هو ما يحصل في العقل دون فكر ونظر بل بمجرد الانتباه والتفات

←

بل يحصل العلم بأدنى سبب من توجه العقل إليه، والاحساس به، كالحكم بأن الواحد نصف الاثنين، وأن النار حارة، والشمس مضيئة، وأن لنا خوفا وغضبا وقوة وضعفا غير ذلك.

والمعرفة ليس كذلك لوقوع الخلاف فيها، ولعدم حصولها بمجرد توجه العقل إليها، ولعدم كونها حسية، فتعين الأول لانحصار العلم في الضروري والنظري فيكون النظر والاستدلال واجبا، لأن ما لا يتم الواجب المطلق إلا به، وكان مقدورا عليه فهو واجب، لأنه إذا لم يجب ما يتوقف عليه الواجب المطلق، فإما أن يبقى الواجب على وجوبه أولا. فمن الأول: يلزم تكليف ما لا يطاق، وهو محال كما سيأتي(١).

ومن الثاني: يلزم خروج الواجب المطلق عن كونه واجبا مطلقا وهو محال أيضا.

والنظر: هو ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى أمر آخر.

وبيان ذلك: هو أن النفس تتصور المطلوب أولا، ثم تحصل المقدمات الصالحة للاستدلال عليه، ثم ترتبها ترتيبا يؤدي إلى العلم به.

→

النفس الى المعنى ـ تصوريا كان او تصديقيا ـ فما ذكره الشارح الفاضل هو بمنزلة اللازم.

والظاهر ان عدم الاختلاف ليس ملاكا ولا لازما للضروري بعد ان اختلف العقلاء في الضروريات حتى الاولية كما ذكره الشيخ اصف محسني(دام ظله). انظر صراط الحق الجزء الاول الفائدة الثالثة.

(١) سياتي في مباحث العدل الفصل الرابع في قوله "يقبح التكليف بالمستحيل".

ولا يجوز[١] معرفة الله تعالى بالتقليد.

والتقليد: هو قبول قول الغير من غير دليل[٢]، وإنما قلنا ذلك لوجهين:

---

(١) التقليد ان حصلت به المعرفة فلا معنى لعدم الجواز هنا، وان لم تحصل به المعرفة فالاولى ان يعبر بما يفيد مراده كأن يقول "ولا تحصل المعرفة بالتقليد".

(٢) المراد من غير استدلال على مفردات العقيدة فيؤمن بان: كل الف يساوي باء دون اقامة الدليل عليها، نعم قد يكون الاخرون من اهل التخصص فيكون الرجوع اليهم في معرفة تفاصيل الاستدلال والتنبيه على الاخطاء فهو من جهة رجوع الى المتخصص ومن جهة يحصل العلم او الظن عن الدليل لا بمجرد متابعة قول المتخصص، ومن هنا فلا تقليد في العقيدة بالمعني الفقهي في التقليد بل على العامي متابعة سبل الاستدلال للتوصل من خلالها الى الحق و لا يتابع قول المتخصص محضا، نعم قد يحصل عند العامي ظن او علم من قول المتكلم ولكنه حينئذ تقليد ناشئ من تواكل غير المتخصصين او تقصيرهم في البحث وهو في الاصول غير صحيح ولا يعذر فاعله وفي التفاصيل الاعتقادية لا يعطي العلم.

تنبيه: المعرفة في المسائل الكلامية تكون على مستويين كلاهما استدلالي:

الاول: المستوى العام الّذي يخرج به الانسان من حد الكفر الى حريم الاسلام او الايمان، ومساحة هذه المعارف ضيقة ومركزة وواضحة على المستوى العام.

الثاني: المستوى التخصصي وهو الّذي يحتاجه الباحث في التفاصيل الاعتقادية او رد الشبه عن المعارف الدينية.

ومن هنا تظهر ضرورة التمايز ووضع الحدود بين المستوى المسموح بالتعاطي العام معه وما لا يسمح فيه بذلك، حيث نجد ـ اليوم ـ ان هناك انسياقا للتكلم في مختلف المفردات الكلامية بحجة عدم جواز التقليد فيها.

الأول: إنه إذا تساوى الناس في العلم، واختلفوا[١] في المعتقدات فأما أن يعتقد المكلف مجموع ما يعتقدونه فيلزم إجتماع المتناقضات، أو البعض دون بعض، فأما أن يكون لمرجح أو لا، فأنّ كان الأول فالمرجح هو الدليل، وإن كان الثاني فيلزم الترجيح بلا مرجح وهو محال[٢].

الثاني: إنه تعالى ذم التقليد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٣].

وحث على النظر والاستدلال بقوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[٤].

---

(١) قال استاذنا المحقق اية الله السيد محمد سعيد الحكيم(دام ظله): "ان كثرة الخلاف في الحق لا تنافي وضوحه، لا بمعنى وضوحه للمخالف فيه بل بمعنى وضوحه في حد نفسه، بحيث لو اراد الانسان الفحص عنه بالطرق العقلائية والنظر في ادلته، وتحكيم الوجدان فيها لوصل اليه، وانما لم يستوضحه المخالف لتفريطه في امره، اما لعدم اهتمامه بالبحث والفحص، او لوجود المانع عنده او للاستجابة للادلة ـ من مصالح مادية، او تعصب، او تقليد اعمى، او غير ذلك ـ يفقد الانسان به رشده ـ ويعطل عقله، ويخرج بسببه عن الطرق العقلائية المعول عليها ـ عنده وعند جميع العقلاء ـ في عامة الامور. ومن اجل ذلك لا يكون معذورا بين يدي الله تعالى، الّذي فرض الحق، واوضح حجته". اصول العقيدة، للسيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، ط ١، ص٢٠ ـ ٢١.

(٢) الترجيح بلا مرجح ليس محالا واللازم الفاسد هنا هو ان الترجيح بلا مرجح لا يحصل به الامان بعد ان كان النظر هو المؤمن.

(٣) الزخرف ـ ٢٣.

(٤) الاحقاف ـ ٤ وفي الاية حث على اتباع البيانات الالهية ففي الكافي الشريف عن أبي عبيدة قال: سألت أبا جعفرعليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ

←

قال: (فلا بد من ذكر ما لا يمكن جهله على أحد من المسلمين، ومن جهل شيئا من ذلك خرج عن ربقة المؤمنين، واستحق العقاب الدائم)[١].

أقول: لما وجبت المعارف المذكورة بالدليل السابق اقتضى ذلك

←

أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ قال: عنى بالكتاب التوراة والانجيل وأثارة من علم فإنما عنى بذلك علم أوصياء الانبياءعليهم السلام. الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٤٢٦.

(١) تقدم ان الالتزام بان دعوى ان الواجب الّذي به يتحقق الاسلام والايمان هو معرفة ما في هذا الكتاب من العقائد بالدليل مشكلة جدا ووجهنا ان يكون المراد هو المعرفة بها اجمالا لا بنحو التفصيل. هذا على ان بعض ما في هذه المقدمة مخالف لما بلغه الائمة الهداةعليهم السلام فالمصير اليه والاعتقاد به خطأ كبير كدليل الامكان وقدم الارادة وسياتي الكلام فيها في المحل المناسب.

ولابد لنا هنا ان نذكر ما يجب الاعتقاد به كما قررته الاخبار الشريفة ليعرف القارئ العزيز ـ بالمقارنة مع ما في المتن ـ وجه الحق والله الموفق.

عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: دخلت على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبعليهم السلام فلما بصربي قال لي: مرحبا بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقا، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله إني اريد أن أعرض عليك ديني، فإنّ كان مرضيا أثبت عليه حتى ألقى الله عزوجل: فقال: هات يا أبا القاسم، فقلت: إني أقول: إن الله تبارك وتعالى واحد، ليس كمثله شئ، خارج عن الحدين حد الابطال و حد التشبيه، وإنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسم الاجسام، ومصور الصور، وخالق الاعراض والجواهر، ورب كل شئ ومالكه وجاعلة ومحدثه، وإن محمدا عبده ورسوله خاتم

→

→

النبيين فلا نبي بعده إلى يوم القيامة وأقول: إن الامام والخليفة وولي الامر من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي ثم أنت يا مولاي، فقال عليه السلام: ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف من بعده، قال: فقلت: وكيف ذاك يا مولاي؟ قال: لانه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملا الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، قال: فقلت: أقررت، وأقول إن وليهم ولي الله، وعدوهم عدو الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، و أقول: إن المعراج حق، والمسألة في القبر حق، وإن الجنة حق، وإن النار حق، والصراط حق، والميزان حق، وإن الساعة آتية لاريب فيها، وإن الله يبعث من في القبور، وأقول: إن الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال علي بن محمد عليه السلام: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الّذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه، ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٨١ - الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٤١٩.

اما ادنى المعرفة الّتي هي المعيار والمرجع في الحكم باسلام الناس فقد ورد في الكافي الشريف باب بعنوان ادنى المعرفة واليك ما جاء فيه لتعرف (ما لا يمكن جهله على أحد من المسلمين، ومن جهل شيئا من ذلك خرج عن ربقة المؤمنين، واستحق العقاب الدائم).

١- عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن أدنى المعرفة فقال: الاقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنه ليس كمثله شئ.

٢- عن طاهر بن حاتم في حال استقامته أنه كتب إلى الرجل: ما الّذي لا يجتزء في معرفة الخالق بدونه؟ فكتب إليه: لم يزل عالما وسامعا وبصيرا وهو الفعال لما يريد. وسئل أبو جعفر عليه السلام عن الّذي لا يجتزء بدون ذلك من معرفة الخالق فقال: ليس كمثله

←

وجوبها على كل مسلم[١]، أي مقر بالشهادتين، ليصير بالمعرفة مؤمنا، لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[٢]، نفى عنهم الإيمان مع كونهم مقرين بالإلهية والرسالة لعدم كون ذلك بالنظر والاستدلال[٣]، وحيث أن الثواب مشروط بالإيمان كان الجاهل بهذه

→

شئ ولا يشبهه شئ، لم يزل عالما سميعا بصيرا.

٣- عن إبراهيم بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام: يقول إن أمر الله كله عجيب الا انه قد احتج عليكم بما قد عرفكم من نفسه. الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٨٦.

ولا يخفى ان هذا هو ادنى ما يجتزئ به من التوحيد.

(١) المعارف الاساسية تجب معرفتها على جميع البشر و لا يختص المسلم بضرورة معرفتها، بل ان الاسلام يدور مدارها فمن عرفها فهو مسلم ومن جهل بها فليس مسلما، واما المعارف الاخرى فهي وان افادت رقيا ايمانيا لكن لا تجب معرفتها لا على المسلم ولا على غيره، فالتقييد هنا بالمسلم مع ايجابه للمعرفة غير صحيح.

(٢) الحجرات ـ ١٤.

(٣) هذه دعوى دون دليل، وقد وردت في الكافي الشريف مضامين اخبار كثيرة تفيد ان الايمان هو استقرار النفس وسكونها للمعارف الحقة، والعمل ، منها ما:" عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: الايمان ما استقر في القلب وأفضى به إلى الله عز وجل وصدقه العمل بالطاعة لله والتسليم لامره والاسلام ما ظهر من قول أو فعل وهو الّذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها وبه حقنت الدماء وعليه جرت المواريث وجاز النكاح واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر واضيفوا إلى الايمان، والاسلام لا يشرك الايمان والايمان يشرك الاسلام وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة وكذلك الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان وقد قال الله

←

المعارف مستحقا للعقاب الدائم، لأن كل من لا يستحق الثواب أصلا مع

←

عز وجل: "قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم" فقول الله عز وجل أصدق القول قلت: فهل للمؤمن فضل على المسلم في شئ من الفضائل والاحكام والحدود وغير ذلك؟ فقال: لا، هما يجريان في ذلك مجرى واحد ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما وما يتقربان به إلى الله عز وجل، قلت: أليس الله عز وجل يقول: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها" وزعمت أنهم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج مع المؤمن؟ قال: أليس قد قال الله عز وجل: "يضاعفه له أضعافا كثيرة" فالمؤمنون هم <الّذين> يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لكل حسنة سبعون ضعفا، فهذا فضل المؤمن ويزيدة الله في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافا كثيرة ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير، قلت: أرأيت من دخل في الاسلام أليس هو داخلا في الايمان؟ فقال: لا ولكنه قد اضيف إلى الايمان وخرج من الكفر وسأضرب لك مثلا تعقل به فضل الايمان على الاسلام، أرأيت لو بصرت رجلا في المسجد أكنت تشهد أنك رأيته في الكعبة؟ قلت: لا يجوز لي ذلك، قال: فلو بصرت رجلا في الكعبة أكنت شاهدا أنه قد دخل المسجد الحرام، قلت: نعم، قال: وكيف ذلك؟ قلت: إنه لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد، فقال: قد أصبت وأحسنت، ثم قال: كذلك الايمان والاسلام ". ـ الكافي ج ٢ ص ٢٦.

اقول: ان الاستدلال مطلوب ولا بد منه لكنه في حدود ما يبينه المعصوم اذ لا بد للعقل من سمع يبين له طرق الاستدلال كما ذكره الشيخ المفيدﷺ وانه مما اجمعت عليه الامامية.

ونضيف هنا ان هناك استدلالا يدعو اليه العقل ابتداءا وهو ما تقدم بيانه في مبحث النظر فقلنا انه لابد من وصول البيان والعلم بالاختلاف والعقل ليجب على الانسان النظر، ثم بعد ذلك يكون النظر محصورا بدلالة الحجج.

اتصافه بشرائط التكليف، فهو مستحق للعقاب[1] بالاجماع.

والربقة: بكسر الراء وسكون الباء، حبل فيه عرى تربط فيها البهم، واستعاره المصنف هنا للحكم الجامع للمؤمنين، وهو واستحقاق الثواب الدائم والتعظيم.

---

(١) تقدم ان المكلف هو الانسان الحي البالغ العاقل، وهو بهذه القيود ثلاثة اقسام فهو اما ان يكون مؤمنا او كافرا او مستضعفا والمستضعف لا يستحق العقاب لعدم قيام الحجة عليه و لا يستحق الثواب لعدم فعله ما يستحق الثواب لاجله، لذا ورد في اخبارنا ان المستضعفين مرجون لامر الله تعالى.



التوحيد

الفصل الاول:
في اثبات واجب الوجود

قال: (وقد رتبت هذا الباب على فصول: الفصل الأول: في إثبات واجب الوجود لذاته تعالى.

فنقول: كل معقول إما أن يكون واجب الوجود في الخارج لذاته، وإما ممكن الوجود لذاته، وإما ممتنع الوجود لذاته).

أقول: المطلب الأقصى، والعمدة في هذا الفن هو إثبات الصانع تعالى، فلذلك ابتدأ به، وقدم لبيانه مقدمة في تقسيم المعقول، لتوقف الدليل الآتي على بيانها.

وتقريرها: أن كل معقول وهو الصورة الحاصلة في العقل[1]، إذا

---

(١) الصور الحاصلة في الذهن مخلوقة لنا فلا تكون الا للممكنات فلا يتم استدلال القوم، ودليلنا ان الاخبار الشريفة دلت على ان الباري لا يناله عقل ولا وهم ولا يُتصور وهذا المعنى متواتر في اخبارنا فراجع توحيد الصدوقﷺ تجد صدق ما نقول.
وبعبارة اخرى ان الدليل اعتمد على وجود صورة في الذهن ثم نسبتها الى التحقق الخارجي، وهنا نقول ان الصور الّتي ينالها الذهن على اقسام، فمنها: ما يناله كانطباع عن الواقع الخارجي كما في المحسوسات، ومنها ما يخترعها الذهن، فاما ما انتزعها الذهن من الخارج فلا معنى للكلام والاستدلال على خارجيتها واما ما اخترعها الذهن ←

نسبنا إليه الوجود الخارجي، فأما أن يصح اتصافه به لذاته أو لا، فإنّ لم

←

فمن المحال ان يكون الباري مصداقا لاحدها وعلى كل حال لايكون الباري مصداقا لتلكم الصور ومن هنا قلنا ان تلك الصور انما هي للممكن انتزاعا من الخارج المدرك لنا او اختراعا بما اودع في اذهاننا من قدرة على الابداع.

اما الباري فلا تناله الاذهان والعقول ولا الاوهام. وبهذا فلا يمكن ان يكون الواجب من ضمن مصاديق هذه الصور فسقط الدليل.

قد يقال: ان التصديق فرع التصور والتصديق بوجود الباري واجب علينا فلو كان تصوره ممتنعا امتنع التصديق به وهذا هو الكفر وجحود المولى سبحانه.

نقول: توجد في الذهن صورة لكن لا للمولى بحقيقته بل بما تحكم به العقول السليمة من عدم امكان معرفته فما نعرفه عنه هو اننا عاجزون عن معرفته تعالى وهذه المعرفة حصلنا عليها من تعريف الله تعالى لنا لا مما ندركه بعقولنا من انه ها هنا معقولا فاما ان يكون الوجود ثابت له بالضرورة اولا... الخ كما هو مفاد دليل الامكان.

وبعبارة اخرى ان الحصول في الذهن تارة يكون بما تدركه عقولنا باستقلالها فهذه هي الممكنات واخرى بتعريف الله تعالى لنا، والتعريف الالهي حصل لنا بافادتنا العجز عن معرفته تعالى بحقيقته وكنهه، وارشدنا الى النظر الى خلقه والتفكر في مصنوعاته دون ذاته وحقيقته، ومن هنا فكل ما حصل في الذهن ـ سوى الاشارة الذهنية المخرجة له سبحانه عن حد العدم ـ وهم وخيال وليس من الحكاية عن الذات المقدسة في شئ.

مزيد بيان: ان الصورة الذهنية وهي ما يميز الشيء عما عداه وهي الّتي تسمى بـ"المعقول" ايضا، تحصل باحد طريقين: احدهما: مما يستقل به العقل، والاخر لا يستقل به العقل، بل يعتمد على التعريف الالهي فقط وهو التعريف بالباري عز وجل، ومعه فلا سبيل الى معرفة اقتضاء تلك الذات ضرورة الوجود المعبر عنها بـ"الوجوب"، فالمعقول عند نسبته الى الوجود الخارجي اما ان يجب له ان ارادوا منه ما يشمل تلك الصورة فالدليل تحصيل للحاصل، وان ارادوا ما لا يعمها فالصور سواها للمكنات.

يصح اتصافه به لذاته فهو ممتنع الوجود لذاته كشريك الباري، وإن صح اتصافه به فأما أن يجب اتصافه به لذاته أو لا.

والأول: هو الواجب الوجود[١] لذاته، وهو الله تعالى، لا غير.

والثاني: هو ممكن الوجود لذاته، وهو ما عدا الواجب من الموجودات.

وإنما قيدنا الواجب بكونه لذاته، احترازا من الواجب لغيره، كوجوب وجود المعلول عند حصول علته التامة، فإنّه يجب وجوده، لكن لا لذاته، بل لوجود علته التامة.

و قيدنا الممتنع أيضا بكونه لذاته، احترازا من الممتنع لغيره، كامتناع وجود المعلول عند عدم علته. وهذان القسمان داخلان في قسم الممكن.

وأما الممكن[٢]، فلا يكون لغيره، فلا فائدة في قيده لذاته، إلا لبيان

---

(١) للواجب والممكن معان مختلفة، ولما كان البحث في الكتاب محل الكلام هو الامكان والوجوب في المصطلح المشائي فالمناسب ذكره حسب معطيات تلك المدرسة فنقول ان الواجب الوجود هو ما ينتج من فرض عدمه محال، اما الممكن فلا يلزم من فرض وجوده او عدمه محال.

(٢) لما كان قيد لذاته توضيحيا فهذا يعني ان القسمة من تقسيم الشيء الى نفسه وغيره. وبيان ذلك: ان المقسم هو المفهوم او الماهية والممكن ايضا هو المفهوم او الماهية، فالتقسيم غير دقيق لانه ينتج ان المفهوم ينقسم الى مفهوم فقط ومصاديق.

تنبيه: ان قصر النظر على المفهوم ينتج عنه ارتفاع الوجود والعدم عنه، وهذا نتيجة قصر النظر لا لانه امر واقعي فالواقع لا يرتفع فيه النقيضان لضرورة بطلان ارتفاعهما عن الواقع الخارجي.

ثم ان قصر النظر يمكن ان يعم ذات الواجب والممتنع فلا يجب الوجود ولا يمتنع.

قد يقال: ان الواجب لا ماهية له ليقصر النظر عليها.

←

أنه لا يكون إلا كذلك، لا للاحتراز.

ولنتم هذا البحث بذكر فائدتين[١]، يتوقف عليهما المباحث الآتية.

(الأولى): في خواص الواجب لذاته.

الأولى: أنه لا يكون واجبا لذاته ولغيره معا، وإلا لكان وجوده مرتفعا عند ارتفاع وجود ذلك الغير، فلا يكون واجبا لذاته، هذا خلف.

الثانية: أنه لا يكون وجوده ووجوبه زائدين عليه وإلا لافتقر إليهما، فيكون ممكنا.

الثالثة: أنه لا يكون صادقا عليه التركيب لأن المركب مفتقر إلى أجزائه المغايرة له، فيكون ممكنا، والممكن لا يكون واجبا لذاته.

الرابعة: أنه لا يكون جزءا من غيره، وإلا لكان منفعلا عن ذلك الغير، فيكون ممكنا.

الخامسة: أنه لا يكون صادقا على اثنين، كما يأتي في دلائل التوحيد[٢].

(الثانية): في خواص الممكن:

الأولى: أنه لا يكون أحد الطرفين أعني الوجود والعدم أولى به من الآخر، بل هما معا متساويان بالنسبة إليه: ككفتي الميزان فإنّ ترجح

←

فنقول: لو سلمنا ذلك فإنّ الممتنع له ماهية وقصر النظر عليها يجعلها لا موجودة ولا معدومة كالممكن.

ومن هنا ـ بطلان التقسيم ـ يظهر بطلان دليل الامكان لان هذا التقسيم مقدمة له.

(١) لا فائدة في ذكر هذه الخواص بعد بطلان الدليل في اصل ما اعتمده وفي النتيجة المترتبة عليه والله المستعان.

(٢) في بحث الصفات السلبية الصفة الخامسة "نفي الشريك عنه تعالى".

إحداهما فإنّه إنما يكون بالسبب الخارجي، لأنه لو كان أحدهما أولى به من الآخر، فإما أن يمكن وقوع الآخر، أو لا.

فإنّ كان الأول لم تكن الأولوية(١) كافية، وإن كان الثاني كان المفروض أولى به، فيصير الممكن أما واجبا، أو ممتنعا.

الثانية: أن الممكن محتاج إلى المؤثر، لأنه لما استوى الطرفان: أعني الوجود، والعدم بالنسبة إلى ذاته استحال ترجيح أحدهما على الآخر إلا لمرجح، والعلم به بديهي.

الثالثة: أن الممكن الباقي محتاج إلى المؤثر، وإنما قلنا ذلك لأن الامكان لازم لماهية الممكن ويستحيل رفعه عنه، وإلا لزم انقلابه من الامكان إلى الوجوب أو الامتناع.

وقد ثبت أن الاحتياج لازم(٢) للامكان، والامكان لازم لماهية الممكن ولازم اللازم لازم، فيكون الاحتياج لازما للممكن، وهو المطلوب.

---

(١) الاولوية على نحوين: الاول: الاولوية الذاتية "وهي الّتي تقتضيها ذات الممكن وماهيته" والثاني: الاولوية غير الذاتية "وهي الّتي لا تقتضيها ذات الممكن بل تكون له من غيره" والاولوية الذاتية يرد عليها ما ذكره الشارح المقداد وهو صحيح اما الاولوية الغيرية "وهي الّتي تأتي من ناحية العلة فلا اشكال فيها".

ودور العلة بالنسبة الى الممكن هي اخراجه من العدم الى الوجود اما حد التساوي الدائر على السنتهم فهو مجرد تحليل خيالي لا واقع له فلا شيء في الواقع يكون على حد التساوي بالنسبة الى الوجود والعدم لضرورة عدم ارتفاع النقيضين خارجا. فالاولوية الغيرية هي المتعينة بهذا البيان، ومنه يظهر ان العلة هي المرجح الّذي سيذكره في الخاصة الثانية من خواص الممكن.

(٢) اللزوم دائم ومفارق والمراد هنا الاول. انظر المنطق للعلامة المظفر في تقسيمات اللازم.

قال: (ولا شك في أن هنا موجودا بالضرورة، فإنّ كان واجبا لذاته فهو المطلوب[١]، وإن كان ممكنا افتقر إلى موجد يوجده بالضرورة، فإنّ كان الموجد واجبا لذاته فالمطلوب، وإن كان ممكنا افتقر إلى موجد آخر فإنّ كان الأول دار، وهو باطل بالضرورة وإن كان ممكنا آخر تسلسل، وهو باطل أيضا. لأن جميع آحاد تلك السلسة الجامعة لجميع الممكنات تكون ممكنة بالضرورة فتشترك في امتناع الوجود لذاتها فلا بد لها من موجد خارج عنها بالضرورة فيكون واجبا بالضرورة، وهو المطلوب).

أقول: للعلماء كافة في إثبات الصانع طريقان:

الأول: هو الاستدلال بآثاره المحوجة إلى السبب على وجوده، كما أشار إليه في الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ

---

(١) لا يتم هذا الدليل على وجود الباري فإنّ هذا الشق هو عين القول بان العالم هو الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وبعبارة اخرى لو اختار المادي هذا الشق من الترديد فماذا سينتج؟ اليس الناتج هو الوهية هذا العالم؟!

ولكن المتكلمين قالوا ان النسبة بين الممكن والحادث هي التساوي فكل ممكن حادث وكل حادث ممكن، وبهذا يكون رفع هذا الشق من الترديد.

ونقول ان هذا يعني احتياج الدليل الى الحدوث ليتم به الاستدلال.

وللكلام مفصلا حول برهان الامكان مجال اخر وقد تعرض له مفصلا العلامة الشيخ محمد جواد الخراساني‌ﷺ في هداية الامة، والعلامة الشيخ حسن الميلاني(دامت بركاته) في اصول المعرف الالهية ومعرفة الله بالله لا بالاوهام وغيرهم فراجع.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[(١)]، وهو طريق إبراهيم الخليل عليه السلام فإنّه استدل بالأفول[(٢)] الّذي هو الغيبة المستلزمة للحركة المستلزمة

---

(١) فصلت ـ ٥٣، تنبيه: الاية الكريمة لم ترد في مقام بيان وجوه الاستدلال بل نزلت في الامام الحجة صلوات الله عليه فعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ قال: خسف ومسخ وقذف، قال: قلت: حتى يتبين لهم؟ قال: دع ذا ذاك قيام القائم. الكافي - الشيخ الكليني ج ٨ ص ١٦٦.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ قال: يريهم في أنفسهم المسخ ويريهم في الافاق انتقاض الآفاق عليهم فيرون قدرة الله عز وجل في أنفسهم وفي الآفاق، قلت له: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ قال: خروج القائم هو الحق من عند الله عز وجل، يراه الخلق لا بد منه. - الكافي - الشيخ الكليني ج ٨ ص ٣٨١.

(٢) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ

←

للحدوث المستلزمة للصانع تعالى[١].

←

قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ ـ الانعام ٧٤ ـ ٨٣.

(١) في الحدوث والقدم

الحدوث هو المسبوقية بالعدم.

والقدم هو عدم المسبوقية بالعدم.

هذا هو الحدوث لغة واصطلاحا، وقد جرت عليه جملة من كلمات الائمة الهداة عليهم السلام ففي الخبر "عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، أنه دخل عليه رجل فقال له: يا ابن رسول الله ما الدليل على حدث العالم؟ قال: أنت لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك". - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٢٩٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٢٢، الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٤٣٣.

والاستدلال على حدوث العالم وقدم الباري عقلي فهنا مبحثان

الاول: في حدوث العالم، وقد تقدم في الخبر السابق استدلال الامام بالقضية الوجدانية وهي حدوث الانسان نفسه.

الثاني: في قدم الباري، "عن الحسين ابن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: إعلم - علمك الله الخير - أن الله تبارك وتعالى قديم، والقدم صفة دلت العاقل على أنه لا شئ قبله ولا شئ معه في ديموميته، فقد بان لنا بإقرار العامة مع معجزة الصفة لا شئ قبل الله ولا شئ مع الله في بقائه وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شئ وذلك أنه لو كان معه شئ فبقائه لم يجز أن يكون خالقا له لانه لم يزل معه: فكيف يكون خالقا لمن لم يزل معه، ولو كان قبله شئ كان الاول ذلك الشئ لا هذا، وكان الاول أولى بإن يكون خالقا للاول الثاني". - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٢٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٣٢، التوحيد- الشيخ الصدوق ص ١٨٦.

←

→

خواص الحادث والقديم

للحادث خواص، منها:

الاولى ـ التجزئ.

١ـ عن امير المؤمنين عليه السلام: "وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة انها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده" - الاحتجاج - الشيخ الطبرسي ج ١ ص ٢٩٦،

٢ـ عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إن لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول: هي هو أي أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول: هذه الصفات والاسماء لم تزل فإنّ "لم تزل" محتمل معنيين فإنّ قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شئ غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الّذي لم يزل. والاسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعني بها هو الله الّذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف وتأتلف المتجزئ فلا يقال: الله مؤتلف ولا الله قليل ولا كثير ولكنه القديم في ذاته، لان ما سوى الواحد متجزئ والله واحد لا متجزئ ولا متوهم بالقلة والكثرة وكل متجزئ أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له. فقولك. إن الله قدير خبرت أنه لا يعجزه شئ، فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك: عالم إنما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل سواه وإذا أفنى الله الاشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ولا يزال من لم يزل عالما. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١١٦، - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ١٩٣،

←

←

٣ـ "عن أبي بصير قال: جاء رجل إلى أبي جعفرعليه السلام فقال له: أخبرني عن ربك متى كان؟ فقال: ويلك إنما يقال لشئ لم يكن: متى كان، إن ربي تبارك وتعالى كان ولم يزل حيا بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كون، كيف ولا كان له أين، ولا كان في شئ، ولا كان على شئ، ولا ابتدع لمكانه مكانا ولا قوي بعد ما كون الاشياء ولا كان ضعيفا قبل أن يكون شيئا ولا كان مستوحشا قبل أن يبتدع شيئا ولا يشبه شيئا مذكورا ولا كان خلوا من الملك قبل إنشائه ولا يكون منه خلوا بعد ذهابه، لم يزل حيا بلا حياة وملكا قادرا قبل أن ينشئ شيئا وملكا جبارا بعد إنشائه للكون، فليس لكونه كيف ولا له أين ولا له حد ولا يعرف بشئ يشبهه ولا يهرم لطول البقاء ولا يصعق لشئ بل لخوفه تصعق الاشياء كلها كان حيا بلا حياة حادثة ولا كون موصوف ولا كيف محدود ولا أين موقوف عليه ولا مكان جاور شيئا، بل حي يعرف وملك لم يزل له القدرة والملك أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته، لا يحد ولا يبعض ولا يفنى"- الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ،٨٨

٤ـ عن الامام أمير المؤمنينعليه السلام: "ولا تناله التجزئة والتبعيض". بحار الأنوار، ٤/ ،٣١٩

٥ـ عن الامام سيد الشهداءعليه السلام: "يوحّد ولا يبعّض". بحار الأنوار، ٣٣/ ٤٢٣.

الثانية ـ الاضطرار.

"فقال أبو عبد اللهعليه السلام: أيها الرجل! ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم ولا حجة للجاهل يا أخا أهل مصر! تفهم عني فإنا لا نشك في الله أبدا أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان و يرجعان، قد اضطرا ليس لهما مكان إلا مكانهما، فإنّ كانا يقدران على أن يذهبا فلم يرجعان؟ وإن كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهارا والنهار ليلا؟ اضطرا والله يا أخا أهل مصر إلى دوامهما والّذي اضطرهما أحكم منهما وأكبر، فقال الزنديق: صدقت" - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٧٣. التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٢٩٥.

→

→

الثالثة ـ التحديد.

١ـ عن ابي حمزة قال: قال لي علي بن الحسين عليهما السلام: يا أبا حمزة إن الله لا يوصف بمحدودية، عظم ربنا عن الصفة فكيف يوصف بمحدودية من لا يحد ولا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير؟ - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٠٠،

٢ـ عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال: كتبت إلى الرجل عليه السلام: أن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة، فكتب عليه السلام بخطه: سبحان من لا يحد ولا يوصف، ليس كمثله شئ وهو السميع العليم - أو قال -: البصير. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ،١٠٢

٣ـ عن علي بن أبي حمزة، قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله جسم، صمدي نوري، معرفته ضرورة، يمن بها على من يشاء من خلقه، فقال عليه السلام: سبحان من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، لا يحد ولا يحس ولا يجس ولا تدركه [الابصار ولا] الحواس ولا يحيط به شئ ولا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ،١٠٤

٤ـ قال الامام امير المؤمنين عليه السلام: "كل معروف بنفسه مصنوع" نهج البلاغة ج٢ ص١١٩ ورواه الصدوق عن الامام الرضا عليه السلام في العيون ج٢ ص ١٣٦ والتوحيد ص ٣٥.

الرابعة ـ التغير.

"أن ابن أبي العوجاء حين كلمه أبو عبد الله عليه السلام عاد إليه في اليوم الثاني فجلس وهو ساكت لا ينطق، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كأنك جئت تعيد بعض ماكنا فيه، فقال: أردت ذاك يا ابن رسول الله فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أعجب هذا، تنكر الله وتشهد أني ابن رسول الله، فقال: العادة تحملني على ذلك، فقال له العالم عليه السلام: فما يمنعك من الكلام؟

←

←

قال: إجلالا لك ومهابة ما ينطلق لساني بين يديك فإني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني هيبة قط مثل ما تداخلني من هيبتك، قال: يكون ذلك، ولكن أفتح عليك بسؤال وأقبل عليه، فقال له: أمصنوع أنت أم غير مصنوع؟! فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء أنا غير مصنوع، فقال له العالمعليه السلام: فصف لي لو كنت مصنوعا كيف كنت تكون فبقي عبد الكريم مليا لا يحير جوابا، وولع بخشبة كانت بين يديه وهو يقول: طويل عريض عميق قصير متحرك ساكن، كل ذلك صفة خلقه فقال له العالمعليه السلام: فإنّ كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعا لما تجد في نفسك مما يحدث من هذه الامور، فقال له عبد الكريم: سألتني عن مسألة لم يسألني أحد عنها قبلك ولا يسألني إحد بعدك عن مثلها، فقال له أبو عبد اللهعليه السلام: هبك علمت أنك لم تسأل فيما مضى فما علمك أنك لا تسال فيما بعد، على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك لانك تزعم أن الاشياء من الاول سواء فكيف قدمت وأخرت. ثم قال: يا عبد الكريم أزيدك وضوحا أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل: هل في الكيس دينار؟ فنفيت كون الدينار في الكيس، فقال لك قائل: صف لي الدينار وكنت غير عالم بصفته، هل كان لك أن تنفي كون الدينار في الكيس وأنت لاتعلم؟ قال: لا، فقال أبو عبد اللهعليه السلام: فالعالم أكبر و أطول وأعرض من الكيس، فلعل في العالم صنعة لاتعلم صفة الصنعة من غير الصنعة فانقطع عبد الكريم، وأجاب إلى الاسلام بعض أصحابه، وبقي معه بعض. فعاد في اليوم الثالث فقال: أقلب السؤال؟ فقال له أبو عبد اللهعليه السلام: سل عما شئت، فقال: ما الدليل على حدث الاجسام؟ فقال: إني ما وجدت شيئا صغيرا ولا كبيرا إلا إذا ضم إليه مثله صار أكبر، وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الاولى ولو كان قديما ما زال ولا حال لان الّذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل، فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث، وفي كونه في الاولى دخوله في العدم، ولن يجتمع صفة الازل والعدم في شئ واحد فقال عبد الكريم: هبك علمت في جري الحالتين والزمانين على ما ذكرت واستدللت على

←

الثاني: هو أن ينظر في الوجود نفسه، ويقسمه إلى الواجب والممكن

←

حدوثها، فلو بقيت الاشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثها؟ فقال العالم عليه السلام: إنما نتكلم على هذا العالم الموضوع، فلو رفعناه ووضعنا عالما أخر كان لا شئ أدل على الحدث من رفعنا إياه ووضعنا غيره ولكن أجيبك من حيث قدرت أنك تلزمنا، ونقول: إن الاشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ما ضم شئ منه إلى مثله كان أكبر، وفي جواز التغير عليه خروجه من القدم كما بان في تغيره دخوله في الحدث، ليس لك وراءه شئ يا عبد الكريم، فانقطع وخزي." - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٢٩٦.

وللقديم خاصية مهمة

وهي ان لا شيئ من خواص الحادث فيه، فالقديم لا يتجزئ ولا يضطر ولا يحد فلا تعرف حقيقته ولا يوصف بحقيقة الوصف المدرك لنا و لا يتغير.

مزيد بيان

الحدوث هو الوجود بعد العدم، فـ "الحادث هو الموجود المسبوق بالعدم"- النكت الإعتقادية - الشيخ المفيد ص ١٦، وللمتكلمين بيان لهذا الدليل وهو حسب بيان الفاضل المقداد رحمه الله، قال: "وطريق المتكلمين هو حدوث العالم، وكل حادث لا بد له من محدث بالضرورة، فأما أن يكون الأول فيدور أو غيره فيتسلسل أو ينتهي إلى قديم لا يحتاج إلى سبب أصلا وهو المطلوب وهو الطريق الّذي استدل به إبراهيم عليه السلام".

ويستدلون على حدوث العالم بالتغيّر الحاصل فيه، والتغيّر هو لازم من لوازم الحدوث فإنّ وجد عرفنا الحادث، وهنا نجد روعة الاستدلال الوارد عن المعصومين عليهم السلام حيث تعددت لوازم الحدوث في كلامهم من تغيير واضطرار وتحديد وغيرها، مما يأخذ بعقل السامع الى الحقيقة الكبرى بوضوح.

حتى يشهد بوجود واجب صدر عنه جميع ما عداه من الممكنات وإليه الإشارة في التنزيل بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١]. والمصنف ذكر في هذا الباب الطريقين معا، فأشار إلى الأولى عند إثبات كونه قادرا وسيأتي[٢] بيانه.

وأما الثاني فهو المذكور هنا، وتقريره أن نقول: لو لم يكن الواجب تعالى موجودا، لزم إما الدور، أو التسلسل، واللازم بقسميه باطل، فالملزوم وهو عدم الواجب مثله في البطلان، فيحتاج هنا إلى بيان أمرين.

أحدهما: بيان لزوم الدور والتسلسل.

وثانيهما: بيان بطلانهما.

أما بيان الأمر الأول: فهو إن هاهنا ماهيات متصفة بالوجود الخارجي بالضرورة، فإنّ كان الواجب موجودا معها فهو المطلوب، وإن لم يكن موجودا يلزم اشتراكها بجملتها في الامكان، إذ لا واسطة بينهما، فلا بد لها من مؤثر حينئذ بالضرورة فمؤثرها إن كان واجبا فهو المطلوب، وإن كان ممكنا افتقر إلى مؤثر، فمؤثره إن كان ما فرضناه أولا لزم الدور، وإن كان ممكنا آخر غيره ننقل الكلام إليه، ونقول كما قلناه أولا، ويلزم التسلسل، فقد بان لزومهما.

وأما بيان الأمر الثاني: وهو بيان بطلانهما[٣] فنقول:

---

(١) فصلت ـ ٥٣

(٢) في الفصل الثاني عند بحثه في الصفات الثبوتية في قول المصنف "انه تعالى قادر مختار...".

(٣) يقول العلامة المحقق الميلاني(دامت بركاته) "إن التسلسل والدور في أمر الايجاد ←

→

محال موضوعي ولا نحتاج لابطالهما إلى إقامه الدليل على استلزامها المحال. مضافا إلى أن التسلسل لا يمكن إبطاله على مباني أصحاب مدرسة الفلسفة إن لم نقل إن بناء عقائدهم يكون على جواز التسلسل، فإنه مع القول ببطلان التسلسل يهدم بنيان معارفهم من الاساس. توضيح ذلك ـ كما يأتي مفصلا إن شاء اللّه تعالى ـ ان الادلة الّتي أقيمت على بطلان التسلسل تكون على قسمين، قسم منها يدل على بطلان التسلسل من حيث استحالة اللامتناهي مطلقا، وقسم آخر منها فلا يدل عليه من هذه الجهة. فالقسم الثاني منهما لا يتم في نفسه ويكون باطلا من رأسه، والقسم الاول، فليس لاهل الفلسفة أن يتمسكوا به لانهم لا يعترفون باستحالة مطلق اللامتناهي، بل اعترافهم بذلك يستلزم بطلان كل معارفهم المبتنية على أزلية العالم وقدم الموجودات وتحقق اللامتناهي في المقدار والعدد. وبالجملة، فإنهم إن اعترفوا باستحالة اللامتناهي على إطلاقه، فلا يستقر لهم حجر على حجر وينهدم اساس مطالبهم. وان لميقولوا به فلا دليل لهم على ابطال التسلسل وإثبات واجبهم".

تقول الفلسفة:

إنه تعالى واجد لما يعطيه من الخلقة وشؤونها وأطوارها، مليء بما يهبه ويجود به، وإن كانت أفهامنا من جهة اعتيادها بالمادة وأحكامها الجسمانية يصعب عليها تصور كيفية اتصافه تعالى ببعض ما: يفيض على خلقه من الصفات ونسبته إليه تعالى"ـ الطباطبايى، محمد حسين: تفسير الميزان، ٢ / ١٠٤

ونقول: إذا قلنا بأن الخالق تعالى "هو واجد لما يعطيه ومليء بما يهبه" فالالتزام باتصافه بصفات الاشياء ـ بل وعينية ذاتهما فضلا عن الصفات ـ يكون من الحكم العقلي البرهاني، ولا يصح لنا أن نقول: "إن ذلك يكون من جهة اعتياد أفهامنا بالمادة وأحكامها الجسمانية". فإنّ مع الاعتقاد بـ"وجوب السنخية بين العلة والمعلول"، أو "كون المعلول مرتبة من مراتب وجود العلة ورابطة بالنسبة إليها، وامتناع كون المعطي فاقدا" وأمثال ذلك من القواعد الفلسفية فامتناع القول بتنزه ذات الخالق عن الصفات

←

أما الدور: فهو عبارة عن توقف الشئ على ما يتوقف عليه كما يتوقف (أ) على (ب) و (ب) على (أ) وهو باطل بالضرورة إذ يلزم منه أن يكون الشئ الواحد موجودا ومعدوما معا، وهو محال.

وذلك لأنه إذا توقف (أ) على (ب) كان (أ) متوقفا على (ب) وعلى جميع ما يتوقف عليه (ب)، ومن جملة ما يتوقف عليه (ب) هو (أ) نفسه فيلزم توقفه على نفسه، والموقوف عليه متقدم على الموقوف، فيلزم تقدمه على نفسه، والمتقدم من حيث إنه متقدم يكون موجودا قبل المتأخر فيكون: (الألف) حينئذ موجودا قبل نفسه فيكون موجودا ومعدوما معا، وهو محال.

وأما التسلسل: فهو ترتب علل ومعلولات بحيث يكون السابق علة في وجود لاحقه وهو هكذا أيضا باطل لأن جميع آحاد تلك السلسلة الجامعة لجميع الممكنات تكون ممكنة لاتصافها بالاحتياج فتشترك بجملتها في الامكان فتفتقر إلى مؤثر، فمؤثرها إما نفسها، أو جزؤها، أو الخارج عنها، والأقسام كلها باطلة قطعا[1].

←

المادية المخلوقة أوضح من أن يخفى". معرفة الله بالله لا بالاوهام ص١٨و١٩من النسخة الكوميوترية.

تنبيه: يظهر من كلمات المحقق الطوسي والعلامة الحليّ ﭬ بطلان اللامتناهي في الخارج خلافا لمدرسة الحكمة المتعالية الّتي صرح اعلامها بتحققه.

(١) قال شيخنا المحقق الشيخ حسن الميلاني(دامت بركاته): "وأما التّسلسل فهو ترتّب علل ومعلولات بحيث يكون السّابق علّة في وجود لاحقه وهكذا، وهو أيضا باطل، لان اللا متناهي محال مطلقا". انظر تحرير النافع يوم الحشر للشيخ الميلاني.

أما الأول: فلاستحالة تأثير الشئ في نفسه، وإلا لزم تقدمه على نفسه، وهو باطل كما تقدم[١].

وأما الثاني: فلأنه لو كان المؤثر فيها جزؤها لزم أن يكون الشئ مؤثرا في نفسه، لأنه من جملتها، وفي علله أيضا، فيلزم تقدمه على نفسه وعلله، وهو أيضا باطل.

وأما الثالث: فلوجهين:

الوجه الأول: أنه يلزم أن يكون الخارج عنها واجبا، إذ الفرض اجتماع جملة الممكنات في تلك السلسلة، فلا يكون موجودا خارجا عنها إلا الواجب، إذ لا واسطة بينهما، فيلزم مطلوبنا.

الوجه الثاني: أنه لو كان المؤثر في كل واحد واحد من آحاد تلك السلسلة أمرا خارجا عنها، لزم اجتماع علتين على معلول واحد شخصي، وذلك محال لأن الفرض أن كل واحد من آحاد تلك السلسلة مؤثر في لاحقه، وقد فرض تأثير الخارج في كل واحد منها، فيلزم اجتماع علتين على معلول واحد شخصي، وهو محال، وإلا لزم استغناؤه عنهما حال احتياجه إليهما، فيجتمع النقيضان، وهو محال.

فبطل التسلسل مطلقا، وقد بان بطلان الدور، والتسلسل، فيلزم المطلوب، وهو وجود الواجب تعالى.

---

(١) تقدم في كلامه في ابطال الدور.

الفصل الثاني:
في صفاته الثبوتيه

الصفة الاولى: انه تعالى قادر مختار

قال: (الفصل الثاني في صفاته الثبوتية وهي ثمانية:

الأولى: إنه تعالى قادر مختار، لأن العالم محدث، لأن كل جسم لا ينفك عن الحوادث، أعني الحركة والسكون، وهما حادثان، لاستدعائهما المسبوقية بالغير، وما لا ينفك عن الحوادث فهو محدث بالضرورة، فيكون المؤثر فيه، وهو الله تعالى قادرا مختارا لأنه لو كان موجبا لم يتخلف أثره عنه بالضرورة، فيلزم إما قدم العالم، أو حدوث الله تعالى، وهما باطلان).

أقول: لما فرغ من إثبات الذات، شرع في إثبات الصفات[1]، وقدم

---

(١) شرع الشارح هنا ببيان معاني الصفات والدليل عليها ونحن نذكر المستفاد من الاخبار في معاني صفات الباري عز وجل فنقول:

معاني الصفات الالهية:

اكدت الروايات على ان معاني الصفات لاتدرك بحقيقتها وليس لنا معرفتها الا اننا ندرك انها ليست كصفاتنا فليس له جهلنا ولا علمنا ولا عجزنا ولا قدرتنا لا حياتنا ولا ←

→
موتنا و لاسمعنا ولا صممنا ولا بصرنا ولا عمانا وهكذا جل ربنا عن صفاتنا،لذلك فالائمة الهداةعليهم السلام بينوا اننا لانشترك معه سبحانه الا في اللفظ.

قال الامام الرضاعليه السلام: اعلم علمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفته الّتي دلت العاقل على أنه لا شئ قبله ولا شئ معه في ديموميته، فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة أنه لا شئ قبل الله ولا شئ مع الله في بقائه وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شئ وذلك أنه لو كان معه شئ في بقائه لم يجز أن يكون خالقا له لانه لم يزل معه، فكيف يكون خالقا لمن لم يزل معه ولو كان قبله شئ كان الاول ذلك الشئ لا هذا، وكان الاول أولى بأن يكون خالقا للاول ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم وتعبدهم وابتلاهم إلى أن يدعوه بها فسمى نفسه سميعا، بصيرا، قادرا، قائما، ناطقا، ظاهرا، باطنا لطيفا، خبيرا، قويا، عزيزا، حكيما، عليما وما أشبه هذه الاسماء، فلما رأى ذلك من أسمائه القالون المكذبون وقد سمعونا نحدث عن الله أنه لا شئ مثله ولا شئ من الخلق في حاله قالوا: أخبرونا ـ إذا زعمتم أنه لا مثل لله ولا شبه له ـ كيف شاركتموه في أسمائه الحسنى فتسميتم بجميعها؟ فإنّ في ذلك دليلا على أنكم مثله في حالاته كلها أو في بعضها دون بعض إذ جمعتم الاسماء الطيبة؟ قيل لهم: إن الله تبارك وتعالى ألزم العباد أسماء من أسمائه على اختلاف المعاني وذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين والدليل على ذلك قول الناس الجائز عندهم الشائع وهو الّذي خاطب الله به الخلق فكلمهم بما يعقلون ليكون عليهم حجة في تضييع ما ضيعوا فقد يقال للرجل: كلب وحمار وثور وسكرة وعلقمة وأسد كل ذلك على خلافه وحالاته لم تقع الاسامي على معانيها الّتي كانت بنيت عليه، لان الانسان ليس بأسد ولا كلب فافهم ذلك رحمك الله. وإنما سمي الله تعالى بالعلم بغير علم حادث علم به الاشياء، استعان به على حفظ ما يستقبل من أمره والروية فيما يخلق من خلقه، ويفسد ما مضى مما أفنى من خلقه مما لو لم يحضره ذلك العلم ويغيبه كان جاهل ضعيفا، كما أنا لو رأينا علماء الخلق إنما سموا
←

←

بالعلم لعلم حادث إذ كانوا فيه جهلة، وربما فارقهم العلم بالاشياء فعادوا إلى الجهل، وإنما سمي الله عالما لانه لا يجهل شيئا، فقد جمع الخالق والخلوق اسم العالم واختلف المعنى على ما رأيت. وسمي ربنا سميعا لا بخرت فيه يسمع به الصوت ولا يبصر به، كما أن خرتنا الَّذي به نسمع لا نقوى به على البصر ولكنه أخبر أنه لا يخفى عليه شئ من الاصوات، ليس على حد ما سمينا نحن، فقد جمعنا الاسم بالسمع واختلف المعنى. وهكذا البصر لا بخرت منه أبصر، كما أنا نبصر بخرت منا لا ننتفع به في غيره ولكن الله بصير لا يحتمل شخصا منظورا إليه، فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى. الكافي الشريف ج ١ ص ١٢٠.

القول الجامع في الصفات، و لاجل استيضاح الحق في مسألة الصفات لابد من تقديم امور:

الامر الاول: ان من الاخبار الشريفة ما افادت نفي الصفات عنه تعالى.

ومنها:

١ـ ومن خطبة لهعليه السلام "يذكر فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم" أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به. وكمال التصديق به توحيده. وكمال توحيده الاخلاص له. وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه. ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله. ومن جهله فقد أشار إليه. ومن أشار إليه فقد حده. ومن حده فقد عده. - نهج البلاغة - خطب الامام عليعليه السلام ج ١ ص ١٤،

٢ـ عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم قال: كتبت إلى أبي إبراهيمعليه السلام أسأله عن شئ من التوحيد، فكتب إلي بخطه: الحمد لله الملهم عباده حمده - وذكره...: و قمع وجوده جوائل الاوهام - ثم زاد فيه -: أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة

←

→

الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جميعا بالتثنية الممتنع منه الازل، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عده، ومن عده فقد أبطل أزله. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٤٠،

٣ـ ان المأمون لما اراد ان يستعمل الرضا عليه السلام جمع بني هاشم فقال لهم: انى اريد ان استعمل الرضا عليه السلام على هذا الامر من بعدى فحسده بنو هاشم وقالوا: اتولى رجلا جاهلا ليس له بصر بتدبير الخلافه؟ فابعث إليه رجلا ياتنا فترى من جهله ما تستدل به عليه فبعث إليه فاتاه فقال له بنو هاشم يا: أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علما نعبد الله عليه فصعد عليه السلام المنبر فقعد مليا لا يتكلم مطرقا ثم انتفض انتفاضه واستوى قائما وحمد الله تعالى.

واثنى عليه وصلى على نبيه وأهل بيته ثم قال: اول عباده الله تعالى معرفته واصل معرفه الله توحيده ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه لشهاده العقول ان كل صفه وموصوف مخلوق وشهاده كل موصوف ان له خالقا ليس بصفة ولا موصوف وشهاده كل صفه وموصوف بالاقتران وشهاده الاقتران بالحدوث وشهاده الحدوث بالامتناع من الازل الممتنع من الحدوث فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته ولا اياه وحده من اكتنهه ولا حقيقته اصاب من مثله. - عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٣٥.

الامر الثاني: من الاخبار ما اثبتت للباري صفاتا بمعان غير معانيها فينا.

١ـ عن عبد الاعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال ان يهوديا يقال له: سبحت جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! جئت أسألك عن ربك، فإنّ أنت أجبتني عما أسألك عنه وإلا رجعت، قال: سل عما شئت، قال: أين ربك؟ قال: هو في كل مكان وليس في شئ من المكان المحدود: قال: وكيف هو؟ قال: وكيف أصف ربي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٩٤ - بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ٥٢١،

←

→

٢ـ عن عبد الرحيم بن عتيك القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام: أن قوما بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط فإنّ رأيت - جعلني الله فداك - أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد؟ فكتب إلي: سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الّذي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المفترون على الله، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جل وعز فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه هو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٠٠،

٣ـ محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن ابي عمير، عن إبراهيم ابن عبد الحميد، عن ابي حمزة قال: قال لي علي بن الحسين عليهما السلام: يا أبا حمزة إن الله لا يوصف بمحدودية، عظم ربنا عن الصفة فكيف يوصف بمحدودية من لا يحد ولا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير؟ - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٠٠،

٤ـ عن إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين قالا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له أن محمدا صلى الله عليه وآله رأى ربه في صورة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة وقلنا: إن هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي يقولون: إنه أجوف إلى السرة والبقية صمد؟ فخر ساجدا لله ثم قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن يشبهوك بغيرك، اللهم لا أصفك إلا بما وصفت به نفسك ولا اشبهك بخلقك، أنت أهل لكل خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٠١.

←

←

الامر الثالث: ان من الاخبار ما نهت عن الكلام في الكيفية.

١ـ عن الحسين ابن المياح، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من نظر في الله كيف هو؟ هلك. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٩٣،

٢ـ عن زرارة بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن ملكا عظيم الشأن كان في مجلس له فتناول الرب تبارك وتعالى ففقد فما يدري أين هو. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٩٣،

٣ـ عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إياكم والتفكر في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٩٣،

٤ـ محمد بن أبي عبد الله رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن آدم لو أكل قلبك طائر لم يشبعه وبصرك لو وضع عليه خرق أبرة لغطاه تريد أن تعرف بهما ملكوت السماوات والارض، إن كنت صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فإنّ قدرت أن تملا عينيك منها فهو كما تقول. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٩٣،

٥ـ عن عبد الاعلى مولى آل سام، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال ان يهوديا يقال له: سبحت جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! جئت أسألك عن ربك، فإنّ أنت أجبتني عما أسألك عنه وإلا رجعت، قال: سل عما شئت، قال: أين ربك؟ قال: هو في كل مكان وليس في شئ من المكان المحدود: قال: وكيف هو؟ قال: وكيف أصف ربي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه، قال: فمن أين يعلم أنك نبي الله؟ قال: فما بقي حوله حجر ولا غير ذلك إلا تكلم بلسان عربي مبين يا سبحت إنه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال سبحت: ما رأيت كاليوم امرا أبين من هذا، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٩٤،

٦ـ عن عبد الرحمن بن عتيك القصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شئ من الصفة فرفع يده إلى السماء ثم قال: تعالى الجبار، من تعاطي ما ثم هلك. - الكافي - الشيخ

←

→

الكليني ج ١ ص ٩٤،

٧ـ عن الجعفري قال: سمعت أبا الحسنعليه السلام يقول: مالي رأيتك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟ فقال: إنه خالي، فقال: إنه يقول في الله قولا عظيما، يصف الله ولا يوصف.... ـ الكافي الشريف ج ٢ ص ٣٧٤.

الامر الرابع: ان من الاخبار ما ارجعت الصفات الى نفي نقائضها.

١ـ عن الفضل شاذان قال: سئل المأمون علي بن موسى الرضاعليهما السلام أن يكتب له محض الاسلام على سبيل الايجاز والاختصار فكتبعليه السلام له أن محض الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الها واحدا أحدا فردا صمدا، قيوما سميعا بصيرا قديرا قديما قائما باقيا، عالما لا يجهل، قادرا لا يعجز، غنيا لا يحتاج، عدلا لا يجور وأنه خالق كل شئ وليس كمثله شئ لا شبه له ولا ضد له ولا ند ولا كفؤ له.... - عيون أخبار الرضاعليه السلام - الشيخ الصدوق ج ١ ص ١٢٩،

٢ـ عن محمد بن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى بن جعفرعليهما السلام، فقلت له: يا ابن رسول الله علمني التوحيد فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك، واعلم أن الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولا شريكا، وإنه الحي الّذي لا يموت، والقادر الّذي لا يعجز، والقاهر الّذي لا يغلب، والحليم الّذي لا يعجل، والدائم الّذي لا يبيد، والباقي الّذي لا يفنى، والثابت الّذي لا يزول، والغني الّذي لا يفتقر، والعزيز الّذي لا يذل، والعالم الّذي لا يجهل، والعدل الّذي لايجور، والجواد الّذي لا يبخل، و إنه لا تقدره العقول، ولا تقع عليه الاوهام، ولا تحيط به الاقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شئ وهو السميع البصير، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ﴾، وهو الاول الّذي لا شئ قبله، والآخر الّذي لا شئ بعده، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث، تعالى عن صفات

←

→

المخلوقين علوا كبيرا. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ،٧٦

٣ـ عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: إن لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول: هي هو أي أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول: هذه الصفات والاسماء لم تزل فإنّ "لم تزل" محتمل معنيين فإنّ قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شئ غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الّذي لم يزل. والاسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعني بها هو الله الّذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف، وإنما يختلف وتأتلف المتجزئ فلا يقال: الله مؤتلف ولا الله قليل ولا كثير ولكنه القديم في ذاته، لان ما سوى الواحد متجزئ والله واحد لا متجزئ ولا متوهم بالقلة والكثرة وكل متجزئ أو متوهم بالقلة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له. فقولك. إن الله قدير خبرت أنه لا يعجزه شئ، فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك: عالم إنما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل سواه وإذا أفنى الله الاشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ولا يزال من لم يزل عالما. فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سميعا؟ فقال: لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالاسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس، وكذلك سميناه بصيرا لانه لا يخفى عليه ما يدرك بالابصار، من لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر لحظة المعين، وكذلك سميناه لطيفا لعلمه بالشئ اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك، وموضع النشوء منها، والعقل والشهوة للفساد والحدب على نسلها، وإقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار، فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف، وإنما الكيفية للمخلوق المكيف، وكذلك سمينا ربنا

←

→

قويا لا بقوة البطش المعروف من المخلوق ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصا كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزا، فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ولا ند ولا كيف ولا نهاية ولا تبصار بصر، ومحرم على القلوب أن تمثله، وعلى الاوهام أن تحده وعلى الضمائر أن تكونه، جل وعز عن أدات خلقه وسمات بريته وتعالى عن ذلك علوا كبيرا. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١١٦، والتوحيد- الشيخ الصدوق ص ١٩٣.

وقالت الفلاسفة وتبعهم بعض المتكلمين ان الصفات عين الذات، كما ادعى بعض الفلاسفة بان معاني الصفات في الله تعالى نفس معنيها فينا ولكنها فيه عين الذات وفينا عرض.

وهذه الدعاوى المتشتتة جعلت من مسألة الصفات مسألة شائكة صعبة.

والصحيح: ان الصفات المنفية عنه تعالى هي صفات خلقه فصفات الخلق عنه منفية فلا جهلنا فيه ولا يعلم بمثل علمنا ولا العجز ولا القدرة ولا الحياة ولا الموت ولا غيرها من الصفات المختلفة فينا لا يوجد لا من ملكاتها ولا من اعدامها فيه سبحانه وتعالى عن صفات خلقه.

وصفاته الّتي اثبتتها النصوص الشريفة قرآنا وسنة هي ثابتة له تعالى بمعان اخرى لا ندركها ولا يحق لنا الكلام عن كيفية اتصافه بها، وغاية ما ندركه هو سلب نقائضها وهذا السلب انما هو لقربه للادراك والا فإنّ الصفات الّتي عندنا من مقابلاتها جل ربنا ان يتصف بها ايضا.

ومن هنا فدعوى العينية ان رجعت الى نفي قديم سوى الله تعالى والى ان الباري لا تركب بينه وبين الصفة فيكون التعبير بالعينية مجرد اصطلاح لتقريب هذه المسلمات فلا اشكال، وعليه تحمل كلمات المتكلمين لا سيما مثل العلامة المحقق المجلسي (رحمه الله) وان اريد بها العينية الحقيقية فهي غير معقولة في نفسها ولا مدلول عليها في البيانات

←

الصفات الثبوتية، لأنها وجود، والسلب عدم، والوجود أشرف من العدم، والأشرف مقدم على غيره، وابتدأ بكونه قادرا لاستدعاء الصنع القدرة.

ولنذكر مقدمة تشتمل على تصور مفردات هذا البحث، فنقول:

القادر المختار هو الّذي إن شاء أن يفعل فعل، وإن شاء أن يترك ترك، مع وجود قصد وإرادة، والموجب بخلافه، والفرق بينهما من وجوه:

الأول: أن المختار يمكنه الفعل والترك معا بالنسبة إلى شئ واحد، والموجب بخلافه.

الثاني: إن فعل المختار مسبوق بالعلم والقصد، بخلاف الموجب.

الثالث: إن فعل المختار يجوز تأخره عنه، وفعل الموجب لا ينفك عنه، كالشمس في إشراقها، والنار في إحراقها.

والعالم كل موجود سوى الله تعالى.

والمحدث هو الّذي وجوده مسبوق بالغير، أو بالعدم.

والقديم بخلافه.

والجسم هو المتحيز الّذي يقبل القسمة في الجهات الثلاث.

والحيز والمكان شئ واحد، وهو الفراغ المتوهم الّذي تشغله الأجسام بالحصول فيه.

والحركة هي حصول الجسم في مكان بعد آخر.

والسكون هو حصول ثان في مكان واحد.

إذا تقرر هذا فنقول: كلما كان العالم محدثا، كان المؤثر فيه، وهو الله

→

المعصومية، فتركها في مقام البيان اولى".

تعالى قادرا مختارا، فهنا دعويان:

الأولى: إن العالم محدث.

الثانية: أنه يلزمه إختيار الصانع.

أما بيان الدعوى الأولى: فلأن المراد بالعالم عند المتكلمين هو السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وذلك إما أجسام أو أعراض، وكلاهما حادثان:

أما الأجسام: فلأنها لا تخلو من الحركة والسكون الحادثين: وكل ما لا يخلو من الحوادث، فهو الحادث.

أما أنه لا يخلو من الحركة والسكون، فلأن كل جسم لا بد له من مكان ضرورة، وحينئذ إما أن يكون لابثا فيه، وهو الساكن، أو منتقلا عنه، وهو المتحرك إذ لا واسطة بينهما بالضرورة.

وإما أنهما حادثان: فلأنهما مسبوقان بالغير، ولا شئ من القديم بمسبوق بالغير، فلا شئ من الحركة والسكون بقديم فيكونان حادثين إذ لا واسطة بين القديم والحادث.

أما إنهما مسبوقان بالغير، فلأن الحركة عبارة عن الحصول الأول في المكان الثاني، فيكون مسبوقا بالمكان الأول ضرورة، والسكون عبارة عن الحصول الثاني في المكان الأول، فيكون مسبوقا بالحصول الأول بالضرورة.

وأما أن كل ما لا يخلو من الحوادث، فهو حادث: فلأنه لو لم يكن حادثا لكان قديما وحينئذ إما أن يكون معه في تقدم شئ من تلك الحوادث اللازمة له، أو لا يكون، فإنّ كان الأول لزم اجتماع القدم والحدوث معا في شئ واحد، وهو محال، وإن كان الثاني يلزم بطلان ما علم بالضرورة، وهو امتناع انفكاك الحوادث عنه، وهو محال.

وأما الأعراض، فلأنها محتاجة في وجودها إلى الأجسام، والمحتاج إلى المحدث أولى بالحدوث.

وأما بيان الدعوى الثانية: فهو أن المحدث لما اتصفت ماهيته بالعدم تارة، وبالوجود أخرى كان ممكنا، فيفتقر إلى المؤثر: فإنّ كان مختارا، فهو المطلوب، وإن كان موجبا لم يتخلف أثره عنه، فيلزم قدم أثره، لكن ثبت حدوثه، فيلزم حدوث مؤثره للتلازم، وكلا الأمرين محال.

فقد بان أنه لو كان الله تعالى موجبا، لزم إما قدم العالم، أو حدوث الله تعالى، وهما باطلان(١)، فثبت أنه تعالى قادر ومختار(٢)، وهو المطلوب.

---

(١) والوجه في بطلانهما، اما الاول "قدم العالم" فانه باطل بالضرورة والوجدان فاننا نرى تعاقب الحوادث وجودا وانعداما فاين القدم؟

وفي الخبر عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، أنه دخل عليه رجل فقال له: يا ابن رسول الله ما الدليل على حدث العالم؟ قال: أنت لم تكن ثم كنت، وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك". - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٢٩٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٢٢، الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٤٣٣.

واما الثاني "حدوث الباري" فبطلانه ظاهر لعدم انقطاع السلسلة وقد عرفت ان التسلسل باطل.

(٢) "عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزوجل ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ فقال: هو واحد، أحدي الذات، بائن من خلقه، وبذاك وصف نفسه، وهو بكل شئ محيط بالاشراف والاحاطة والقدرة لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالاحاطة والعلم لا بالذات لان الاماكن محدودة تحويها حدود أربعة فإذا كان بالذات لزمه الحواية". توحيد- الشيخ الصدوق ص ١٣١.

وقال الشيخ الصدوق رحمه الله: "من الدليل على أن الله عزوجل قادر: أن العالم لما ثبت أنه ←

قال: (وقدرته تتعلق بجميع المقدورات[1]، لأن العلة المحوجة إليه الامكان[2] ونسبة ذاته إلى الجميع بالسوية، فتكون قدرته عامة).

أقول: لما ثبت كونه قادرا في الجملة شرع في بيان عموم قدرته

←

صنع الصانع ولم نجد أن يصنع الشئ من ليس بقادر عليه بدلالة أن المقعد لا يقع منه المشي والعاجز لا يتأتى له الفعل صح أن الّذي صنعه قادر، ولو جاز غير ذلك لجاز منا الطيران مع فقد ما يكون به من الآلة، ولصح لنا الادراك وإن عدمنا الحاسة. فلما كان إجازة هذا خروجا عن المعقول كان الاول مثله". التوحيد- الشيخ الصدوق ص ١٣٤.

(١) وبه نطقت نصوص الكتاب العزيز وهو دليل تام على عموم القدرة حيث لا يتوقف اثبات النبوة على عموم القدرة، فقد وردت عبارة ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ثلاثين مرة او اكثر في القران العزيز وما لا يحصى كثرة في الاخبار الشريفة، كما وردت بتعابير اخرى.

تنبيه: ان الصفة عندنا بمعنى سلب نقيضها، والتعبير بالسلب يقضي بالعموم، فليس بعاجز اعم من القادر وليس بجاهل اعم من عالم حيث اخذوا الصفات في الباري سبحانه بعين معانيها فينا لكن ادعوا انها فيه اتم، والحاصل ان العموم يثبت بما يثبت به المعنى اعنى سلب النقيض، وهو يرجع الى بيان المعصوم للصفة.

(٢) هذا مبني على ان علة الاحتياج للعلة هو الامكان، وقد انقسموا في هذه المسألة على اقوال اربعة:

١ـ الامكان

٢ـ الحدوث

٣ـ الامكان بشرط الحدوث

→

→

٤ـ الامكان والحدوث

وقد رجحوا الاول لوجهين:

"الاول: العقل اذا لحظ الماهية الممكنة واراد حمل الوجود أو العدم عليها افتقر في ذلك الى العلة وان لم ينظر شيئا آخر سوى الامكان والتساوي، اذ حكم العقل بالتساوي الذاتي كاف في الحكم بامتناع الرجحان الذاتي فاحتاج الى العلة من حيث هو ممكن وان لم يلحظ غيره، ولو فرضنا حادثا وجب وجوده وان كان فرضا محالا فإنّ العقل يحكم بعدم احتياجه الى المؤثر، فعلم ان علة الحاجة انما هي الامكان لا غير.

الثاني: ان الحدوث كيفية للوجود فيتأخر عنه تأخرا ذاتيا والوجود متأخر عن الايجاد والايجاد متأخر عن الاحتياج والاحتياج متأخر عن علة الاحتياج، فلو كان الحدوث علة الحاجة لزم تقدم الشيء على نفسه بمراتب وهو محال.

كشف المراد للعلامة الحلي ص / ٧٨.

والصحيح ان يقال ان قضية تساوي نسبة الممكن الى الوجود والعدم تعني ان العلة هي المخرجة للممكن من حد الاستواء ولا يخفى انها تخرج اما الى الوجود او الى العدم حيث هي متساوية النسبة اليهما معا وترجيح احدهما على الاخر هو ما تفعله العلة وفيه:

اولا: ان العدم لا علة له.

ثانيا: ان كون الممكن في حد الاستوء امر تحليلي تجريدي يأباه الواقع المبتني على امتناع ارتفاع النقيضين.

ثالثا: ان دور العلة هو اخراج الممكن من العدم الى الوجود أي انه كان معدوما فالبسته العلة ثوب الوجود ولا وجود لحد التساوي بالنسبة الى الوجود والعدم الا في الذهن.

والعاقل اذا راى شيئا لم يوجد من قبل أي كان معدوما ثم وجد سال بطبعه عن علته وان وجد شيئا من سمات الحدوث انتقل ذهنه الى السؤال عمن احدثه وهذا يعطي بوضوح ان علة الاحتياج الى العلة هو الحدوث لا الامكان.

←

وقد نازع فيه الحكماء حيث قالوا: لا يصدر عنه إلا واحد[1]، والثنوية

→

وبتعبير اخر ان السؤال عن علة الاحتياج الى العلة فيه لبس كبير اذ ان التساؤل عن العلة يكون بعد وجود الشيء او بعد ان يتصوره الانسان فيسال عن العلة الّتي تستطيع ايجاده مثلا، اما عدم الاحتياج الى العلة فهو مقتضى عدميتها، واما الموجود الابدي الازلي فهو مما لا يتصوره الانسان ولا يصل الى فهمه الا بمحاولات الفلاسفة في واجبهم المفروض، ومن هنا كانت الرسالات السماوية هي المتكفلة لبيان صفات خالق الاشياء وموجدها وربها سبحانه وتعالى ولما كان الدليل الوحيد الّذي ذكرته النصوص الشريفة قرآنا وسنة هو دليل الحدوث في صوره المختلفة فلا ريب انه دليل تام كما يشهد به الوجدان والعقل السليم.

اما الحجة الثانية فقد اجاب عنها جد الفاضل المقداد‌ﷺ فيما نقله عنه الفاضل، قال: "اورد جدي‌ﷺ على هذا الدليل بان القائل بان الحدوث علة الاحتياج لم يفسره بما فسروه، بل يفسره بانه خروج الماهية من العدم الى الوجود، وهو بهذا التفسير ليس متأخرا عن الوجود، لانه ليس صفة له بل للماهية، وعلى تقدير ان يكون مرادهم ما ذكروه لم يضره تاخره عن علة الاحتياج الّتي هي فاعلية، لانهم يريدون بالعلة العلة الغائية. ارشاد الطالبين الى نهج المسترشدين للشيخ الفاضل المقداد السيوري الحلي ص ١٥٧.

(١) وقيدوا الواحد بامور:

الاول: ان يكون شخصيا.

الثاني: ان يكون بسيطا.

الثالث: ان يكون موجبا.

وانما قالوا بذلك لما فرضوه من ضرورة السنخية بين العلة ومعلولها، والصحيح خلافة، اذ السنخية ان ارادوا بها المشابهة فلا يمكننا المساعدة عليها اذ جل الله عن الاشباه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وان ارادوا بالسنخية نحو خصوصية يصدر لاجلها

←

→

المعلول عن العلة، فلا محذور في تعدد الخصوصية في البارئ سبحانه، اضافة الى ان الله تعالى مختار ان شاء فعل وان شاء ترك فلا سبيل الى القول بانه تعالى علة موجبة الا جمودا على اوهام الفلاسفة.

وقد اجاب العلامة الحلي‏ﷺ عن هذه الشبهة وشرحه شارحه الفاضل فقالا: "قال: ويمكن استناد معلولين الى علة بسيطة. واحتجاج الفلاسفة بان الصدورين ان دخلا لزم التركيب والا لزم التسلسل، ضعيف.

لان الصدور امر اعتباري لا تحقق له في الخارج والا لزم التسلسل.

اقول: ذهب الحكماء الى ان الفاعل الواحد من جميع الجهات من غير تعدد الالات والقوابل لا يصدر عنه اكثر من واحد. وخالف في ذلك اكثر المتكلمين واختاره المصنف.

احتج الحكماء: بان الواحد حقا من جميع الوجوه لو صدر عنه اكثر من واحد لزم: اما التركيب في ذلك الواحد او التسلسل، واللازم بقسميه باطل فكذا الملزوم، بيان الملازمة: انه اذا صدر عنه اثنان مثلا كالف و ب، كان مفهوم صدور "أ" غير مفهوم صدور "ب" بدليل انا نعقل احدهما ونذهل عن الاخر، وكل امرين هذا شانهما فهما متغايران.

وحينئذ نقول: اذا تغاير الصدوران فاما ان يكونا داخلين في ماهيته، او خارجين عن ماهيته، او يكون احدهما داخلا والاخر خارجا.

فإن كان الاول لزم التركيب في ذلك الواحد البسيط، وكذا ان كان احدهما خارجا و الاخر داخلا.

وان كانا خارجين نقلنا الكلام اليهما وقلنا: ان صدور احد هذين الصدورين مغايرا لصدور الاخر، فاما ان يكونا داخلين، او احدهما داخلا والاخر خارجا وهكذا ويلزم التسلسل، فقد بانت الملازمة.

واما بطلان اللازم فظاهر، لان اجتماع البساطة والتركيب في الماهية الواحدة مستلزم

←

←

لاجتماع النقيضين، فيكون محالا، والتسلسل محال ايضا كما تقدم، وهما لازمان من جواز صدور اكثر من واحد عن العلة البسيطة، فيكون محالا وهو المطلوب.

والجواب من وجهين: الاول: من حيث النقض وهو انا نمنع القسمة وحصرها، فإنّ ذلك انما يتم على تقدير كون الصدورين موجودين في الخارج، فيقال فيهما: اما ان يكونا داخلين او خارجين الى اخر الكلام، اما اذا كانا مفهومين ذهنيين لا تحقق لهما في الخارج، فانا نختار حينئذ انهما خارجان، ولا يلزم التسلسل لعدم احتياجهما الى العلة.

ثم ان المصنف استدل على كون الصدور امرا اعتباريا لا وجود له في الخارج بانه لو كان موجودا في الخارج لزم التسلسل، واللازم باطل فكذا الملزوم.

بيان الملازمة: انه لا جائز ان يكون واجبا، لاستحالة تعدد الواجب واستحالة كونه عرضا، فيكون ممكنا، فيكون له صدور، وننقل الكلام الى صدوره ونقول فيه كما قلنا في الاول ويلزم التسلسل.

الثاني: من حيث المعارضة وهي هنا نقض اجمالي وذلك من وجهين:

الاول: انه يلزم ان لا يصدر عن ذلك البسيط شيء اصلا، وذلك لانكم تسلمون صدور امر واحد عن تلك العلة البسيطة، وحينئذ نقول: ذلك الواحد له صدور. فيكون مغايرا للعلة ولذلك الواحد، لكونه نسبة بينهما، فاما ان يكون داخلا في العلة او خارجا، فمن الاول يلزم التركيب، ومن الثاني يلزم التسلسل.

والثاني: انه لو صح ما ذكرتم لزم ان لا يسلب عن الواحد اكثر من واحد، وان لا يتصف الا بشيء واحد.

اما الاول فلأن سلب "أ" عن "ج" مغاير لسلب "ب" عنه، لانا نعقل احد السلبين ونغفل عن الاخر، فاما ان يكونا داخلين او خارجين... الخ.

واما الثاني فلأن اتصاف "أ" بـ"ب" غير اتصافه بـ"ج"، وهما ايضا متغايران لما قلنا، فاما ان يكونا داخلين او خارجين الى اخر الكلام ويلزم ما قلتم" ارشاد الطالبين الى نهج المسترشدين للفاضل السيوري ص ١٦٩.

حيث زعموا: أنه لا يقدر على الشر.

والنظام[١] ....

---

(١) "إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام: ورد بغداد وكان أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة وله في ذلك تصانيف عدة وكان أيضا متأدبا وله شعر دقيق المعاني على طريقة المتكلمين وأبو عثمان الجاحظ كثير الحكايات عنه أخبرني الازهري حدثنا عبيد الله بن محمد بن أحمد المقرئ حدثنا محمد بن يحيى النديم وأخبرني الحسين بن علي الصيمري حدثنا محمد بن عمران المرزباني أخبرني محمد بن يحيى حدثنا المبرد حدثني عمرو بن بحر الجاحظ قال سمعت النظام يقول: العلم شئ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه لك البعض على خطر، هذا آخر حديث الازهري وزاد المرزباني قال محمد بن يحيى فأخذ هذا المعنى منصور النمري فقلبه إلى الجود فقال يمدح آل زائدة:

الجود أخشن مسا يا بني مطـر ... من أن تبزكموه كـف مسـتلب
ما أعلم الناس أن البذل مكسبة ... للحمد لكنه يأتي على النشـب

أخبرني الصيمري قال قال لنا أبو عبيد الله المرزباني كان لابراهيم مذهب في ترقيق الشعر وتدقيق المعاني لم يسبق إليه ذهب فيه مذاهب أصحاب الكلام المدققين ومنه ما أنشدنيه عبد الله بن يحيى العسكري

وشـــادن ينطـــق بـــالطرف ... يقصـر عنـه منتهـى الوصـف
رق فلـــو بـــزت ســـرابيله ... علقـه الجـو مـن اللطـف
يجرحـــه اللحـــظ بتكـــراره ... ويشـتكي الايمـاء بـالطرف
أفديه من مغـرى بمـا سـاءني ... كأنـه يعلـم مـا أخفـي

حدثني عبيد الله بن أبي الفتح أخبرنا أبو بكر محمد بن حميد الصولي حدثنا مغيرة بن محمد حدثني أبي قال حضرت مجلسا فيه النظام وأبو الهذيل فانشد النظام

←

حيث إعتقد: أنه لا يقدر على القبيح[١].

والبلخي[٢] ....

←

رق فلـــو بـــزت ســـرابيله   علقـــه الجـــو مـــن اللطـــف

يجرحه اللحظ بتكراره ويشتكي الايماء بالطرف" - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ج ٦ ص ٩٤.

(١) قال الشارح الفاضل المقدادﷺ: "لما اثبت عموم قدرته شرع في بيان المذاهب الباطلة في هذا الباب وذكر حججها ونسخها، فمنها مذهب النظام وهو: ان الله تعالى لا قدرة له على القبيح، واستدل عليه بانه لو كان قادرا على القبيح لزم كونه جاهلا او محتاجا، واللازم محال بقسميه فكذا الملزوم.

بيان الملازمة: انه لو صح قدرته عليه لكان ممكنا بالنسبة اليه، والممكن لا يلزم من فرض وقوعه محال، فلنفرض ذلك القبيح واقعا، فاما ان يكون عالما بقبحه او لا.

فإنّ كان الثاني يلزم كونه تعالى جاهلا، وان كان الاول لزم احتياجه تعالى اليه، اذ لو لم يكن محتاجا اليه لما صدر عنه، لان الغني عن الشيء العالم بقبحه لا يفعله اذا كان حكيما، والباري تعالى حكيم فلو وقع منه لما كان ذلك الا لحاجة اليه، فقد بانت الملازمة.

واما بطلان محالية اللازم فلما ياتي من الدلالة على كونه تعالى عالما بكل المعلومات غني عما عداه.

والجواب: لا يلزم من كون الشيء مقدورا ان يكون واقعا، لجواز كون الشيء ممكنا لذاته غير واقع، والجهل والحاجة المذكوران لازمان لوقوع القبيح لا لمقدوريته، فإنّ الواحد منا قادر على القبيح و لا يقع منه، لعدم الداعي اليه، نعم يمتنع وقوع القبيح منه تعالى، لاستلزامه الجهل او الحاجة المستحيلان عليه." ارشاد الطالبين ص١٨٨ـ ١٨٩.

(٢) "عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم البلخي من متكلمي المعتزلة البغداديين صنف في الكلام كتبا كثيرة وأقام ببغداد مدة طويلة وانتشرت بها كتبه ثم عاد إلى بلخ

←

حيث منع قدرته على مثل مقدورنا[١].

والجبائيان[٢] ....

→

فأقام بها إلى حين وفاته أخبرني القاضى أبو عبد الله الصيمري حدثنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال كانت بيننا وبين أبي القاسم البلخي صداقة قديمة وكيدة وكان إذا ورد مدينة السلام قصد أبي وكثر عنده وإذا رجع إلى بلده لم تنقطع كتبه عنا وتوفى أبو القاسم ببلخ في أول شعبان سنة تسع عشرة وثلاثمائة" - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ج ٩ ص ٣٩٢.

(١) قال الشارح الفاضل المقدادﷺ: "اقول: من المذاهب الباطلة مذهب ابي القاسم الكعبي، ويقال له البلخي ايضا، وهو انه لا يقدر على مثل مقدور العبد، واستدل على ذلك: بان فعل العبد اما طاعة او سفه او عبث، لان هاما ان يقع لغرض او لا، والثاني عبث، والاول اما ان يقع موافقا للاوامر الشرعية او لا، والاول طاعة والثاني سفه، ففعل العبد لا يخلو عن احد هذه الثلاثة، فلو قدر الله تعالى على مثله لوصف فعله بالطاعة والسفه والعبث.

والاول يستلزم ان يكون له تعالى امر وهو محال، والاخيران قبيحان والقبيح مستحيل عليه، فلا يقدر على مثل مقدور العبد وهو المطلوب.

والجواب: ان المثلين ـ كما عرفت من قبل ـ هما المتحدان في الحقيقة، كحركة الحبل وحركة اليد، فإنّ حقيقة الحركة فيهما واحدة، فالفعلان متوافقان في الحقيقة، و لا يلزم من ذلك توافقهما في العوارض، والطاعة والسفه والعبث اوصاف عارضة للفعل لا توجب له مخالفة ذاتية." ارشاد الطالبين ص ١٩١ـ ١٩٢.

(٢) "عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفان وهو أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المتكلم شيخ المعتزلة ومصنف الكتب على مذاهبهم سكن بغداد إلى حين وفاته أخبرنا التنوخي قال سمعت أبا الحسن أحمد بن يوسف الازرق يقول سمعت أبا هاشم الجبائي يقول

←

حيث أحالا قدرته على عين مقدورنا[١].

←

سألني بعض أصحابنا عن مسألة فأجبته عنها فقال لي يا أبا هاشم لا تظنني لم أكن أعرف هذا فقلت له الصاحي بموضع رجلي السكران أعرف من السكران بموضع رجلي نفسه يعني أن العالم أعلم بمقدار ما يحسنه الجاهل من الجاهل بقدر ما يحسن وحدثني التنوخي عن أبي الحسن أحمد بن يوسف الازرق قال قال لي أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ولدت في سنة سبع وسبعين ومائتين وولد أبي أبو علي سنة خمس وثلاثين ومائتين ومات في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة قال أبو الحسن ومات أبو هاشم في رجب أو في شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد وتوليت دفنه في مقابر باب البستان من الجانب الشرقي حدثني عبيد الله بن أبي الفتح عن طلحة بن محمد بن جعفر أن أبا هاشم بن أبي علي الجبائي مات ببغداد في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة". - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ج ١١ ص ٥٦.

(١) ـ قال الشارح الفاضلﷺ: "اقول من المذاهب الباطلة مذهب الجبائيين ابو علي وابنه ابو هاشم وجماعة من المعتزلة، وهو انه تعالى لا يقدر على عين مقدور العبد وان قدر على مثله، وتابعهما على ذلك السيد المرتضى والشيخ ابو جعفر الطوسي.

واستدلوا على ذلك: بانه لو قدر على عين مقدور العبد اجتمع قادران على مقدور واحد، وهو باطل.

اما الشرطية فظاهرة، واما بطلان التالي فلانه لو اجتمع على مقدور واحد قادران اجتمع النقيضان، واللازم باطل فكذا الملزوم.

بيان الملازمة: ان المقدور من شأنه الوقوع عند داعي القادر عليه والبقاء على العدم عند وجود صارفه، فلو كان مقدور واحد واقعا من قادرين وفرضنا وجود داعي احدهما ووجود صارف الاخر في وقت واحد، لزم ان يوجد بالنظر الى الداعي وان يبقى على عدمه بالنظر الى الصارف، فيكون موجودا غير موجود، وهما متناقضان، هذا خلف.

←

والحق خلاف ذلك كله، والدليل على ما ادعيناه أنه قد انتفى المانع بالنسبة إلى ذاته وبالنسبة إلى المقدور، فيجب التعلق العام.

أما بيان الأول: فهو أن المقتضى لكونه تعالى قادرا هو ذاته، ونسبتها إلى الجميع متساوية لتجردها، فيكون مقتضاها أيضا متساوي النسبة وهو المطلوب.

وأما بيان الثاني: فلأن المقتضي لكون الشئ مقدورا هو إمكانه والامكان مشترك بين الكل، فيكون صفة المقدورية أيضا مشتركة بين الممكنات وهو المطلوب، وإذا انتفى بالنسبة إلى القادر وبالنسبة إلى المقدور وجب التعلق العام وهو المطلوب.

واعلم أنه لا يلزم من التعلق الوقوع، بل الواقع بقدرته تعالى هو البعض وإن كان قادرا على الكل، والأشاعرة وافقوا في عموم التعلق وادعوا معه الوقوع، و سيأتي[1] بيان ذلك إن شاء الله تعالى.

←

والجواب: ان كون المقدور مشتركا انما يمكن اذا اخذ غير مضاف الى احدهما، اما بعد الاضافة الى احدهما، فيمتنع فيه الاشتراك من حيث تلك الاضافة، فالمقدور غير المضاف يمكن اضافته الى كل واحد منهما على سبيل البدل، وهو المراد من كون مقدور احدهما مقدورا للاخر، وحينئذ لا يلزم اجتماع النقيضين لان بقاء المقدور على العدم عند وجود صارف معين ممنوع، بل عند ارتفاع مطلق الداعي ووجوب الصوارف كلها، وليس الامر كذلك فيما نحن فيه. ارشاد الطالبين ـ للفاضل المقداد.

(١) في مباحث العدل الفصل الرابع.

الصفة الثانية: انه تعالى عالم

قال: (الثانية: أنه تعالى عالم، لأنه فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكل من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة).

أقول: صفاته الثبوتية كونه تعالى عالما[1]، والعالم هو المتبين له

---

(١) ١ـ عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أرأيت ماكان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله؟ قال: فقال: بلى قبل أن يخلق السماوات والارض. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ،١٣٥

٢ـ عن منصور بن حازم، قال: سألته ـ يعني أبا عبد الله عليه السلام ـ هل يكون اليوم شئ لم يكن في علم الله عزوجل؟ قال: لا، بل كان في علمه قبل أن ينشئ السماوات والارض. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ،١٣٥

٣ـ عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن الله تباركت أسماؤه وتعالى في علو كنهه أحد، توحد بالتوحيد في توحيده، ثم أجراه على خلقه، فهو أحد، صمد، ملك قدوس، يعبده كل شئ ويصمد إليه، فوق الّذي عسينا أن نبلغ ربنا، وسع ربنا كل شئ علما. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ،١٣٥

٤ـ عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، قال: سألته أيعلم الله الشئ الّذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون أو لا يعلم إلا ما يكون؟ فقال: إن الله تعالى هو العالم بالاشياء قبل كون الاشياء، قال الله عزوجل: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية: ٢٩) وقال لاهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الانعام:

←

الأشياء[1] بحيث تكون حاضرة عنده غير غائبة عنه، والفعل المحكم المتقن هو المشتمل على أمور غريبة والمستجمع لخواص كثيرة، والدليل على كونه عالما وجهان:

الأول: أنه مختار، وكل مختار عالم، أما الصغرى: فقد مر بيانها، وأما الكبرى: فلأن فعل المختار تابع لقصده ويستحيل قصد شئ من دون العلم به.

الثاني: أنه فعل الأفعال المحكمة المتقنة وكل من كان كذلك فهو عالم.

أما أنه فعل ذلك فظاهر لمن تدبر مخلوقاته.

أما السماوية: فما يترتب على حركاتها من خواص الفصول الأربعة وكيفية نضد تلك الحركات، وأوضاعها وهو مبين في فنه.

وأما الأرضية: فما يظهر من حكمة المركبات الثلاث[2]، والأمور الغريبة الحاصلة فيها، والخواص العجيبة المشتملة عليها ولو يكن إلا في خلق الإنسان و الحكمة المودعة في إنشائه وترتيب خلقه وحواسه، وما يترتب عليها من المنافع كما أشار سبحانه بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي

←

٢٨) فقد علم الله عزوجل أنه لوردهم لعادوا لما نهوا عنه، وقال للملائكة لما قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٣٠) فلم يزل الله عزوجل علمه سابقا للاشياء قديما قبل أن يخلقها، فتبارك ربنا تعالى علوا كبيرا خلق الاشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، كذلك لم يزل ربنا عليما سميعا بصيرا. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ١٣٥.

(١) هذا هو معنى (العالم) فينا وتقدم ان الله تعالى يجل عن صفات الحوادث وما ندركه من معنى العلم في الباري سبحانه هو انه لا يخفى عليه شيء ولا يجهل شيئا.

(٢) الحيوان والنبات والمعدن.

أَنفُسِهِمْۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾[1] فإنّ من العجائب المودعة في بنية الإنسان أن كل عضو من أعضائه له قوى أربعة جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة.

أما الجاذبة: فحكمتها أن البدن لما كان دائما في التحليل افتقر إلى جاذبة تجذب بدل ما يتحلل منه.

وأما الماسكة: فلأن الغذاء المجذوب لزج، والعضو أيضا لزج فلا بد له من ماسكة حتى تفعل فيه الهاضمة.

وأما الهاضمة: فلأنها تغير الغذاء إلى ما يصلح أن يكون جزءا للمغتذي.

وأما الدافعة: فهي الّتي تدفع الغذاء الفاضل مما فعلته الهاضمة المهيأ لعضو أخر إليه.

وأما أن كل من فعل الفعل المحكم المتقن فعالم، فهو بديهي لمن زاول الأمور وتدبرها.

---

(١) الروم ـ ٨.

قال: (وعلمه يتعلق بكل معلوم[١] لتساوي نسبة جميع المعلومات إليه و لأنه حي، وكل حي يصح أن يعلم كل معلوم، فيجب له ذلك، لاستحالة افتقاره إلى غيره).

أقول: الباري تعالى عالم بكل ما يصح أن يكون معلوما، واجبا كان أو ممكنا، قديما كان أو حادثا، خلافا للحكماء حيث منعوا من علمه بالجزئيات على وجه جزئي، لتغيرها فيتغير العلم الذاتي.

قلنا المتغير هو التعلق الاعتباري لا العلم الذاتي.

والدليل على ما قلناه أنه يصح أن يعلم كل معلوم فيجب له ذلك.

أما أنه يصح أن يعلم كل معلوم فلأنه حي، وكل حي يصح أن يعلم بكل معلوم فيجب له ذلك، ونسبة هذه الصحة إلى جميع ما عداه نسبة متساوية ليتساوي نسبة المعلومات إليه.

وأما أنه اذا صح له شئ وجب له، فلأن صفاته تعالى ذاتية، والصفة الذاتية متى صحت وجبت، وإلا لافتقر في اتصاف الذات بها إلى الغير، فيكون الباري تعالى مفتقرا في علمه إلى غيره، وهو محال.

---

(١) والدليل على عموم العلم الكتاب العزيز ايضا فقد وردت عبارة ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ستة عشر مرة او اكثر وفي السنة ما لا يحصى كثرة وبغير هذا التعبير ايضا، وقد تقدم بعضها. وتقدم ايضا ان رجوع معاني الصفات الى سلب نقائضها يفيد العموم.

الصفة الثالثة: انه تعالى حي

قال: (الثالثة، أنه تعالى حي لأنه قادر عالم فيكون حيا بالضرورة).

أقول: من صفاته الثبوتية كونه تعالى حيا فقال الحكماء وأبو الحسين البصري[1] حياته عبارة عن صحة اتصافه بالقدرة والعلم.

وقالت الأشاعرة هي صفة زائدة على ذاته مغايرة لهذا الصحة.

والحق هو الأول إذ الأصل عدم الزائد، والباري تعالى ثبت أنه قادر عالم، فيكون حيا وهو المطلوب.

---

(١) "أبو الحسين البصري × شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف الكلامية، أبو الحسين، محمد ابن علي بن الطيب، البصري. كان فصيحا بليغا، عذب العبارة، يتوقد ذكاء. وله اطلاع كبير. حدث عن: هلال بن محمد بحديث رواه عنه أبو بكر الخطيب. توفي ببغداد في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأربع مئة وقد شاخ. أخذ عنه: أبو علي بن الوليد، وأبو القاسم بن التبان المعقول. أجارنا الله من البدع. وله كتاب "المعتمد في أصول الفقه"، من أجود الكتب، يغترف منه ابن خطيب الري. وله كتاب "تصفح الادلة" كبير" - سير أعلام النبلاء - الذهبي ج ١٧ ص ٥٨٧.

الصفة الرابعة: انه تعالى مريد وكاره

قال: (الرابعة: أنه تعالى مريد وكاره لأن تخصيص الأفعال بإيجادها في وقت دون آخر لا بد له من مخصص، وهو الإرادة ولأنه تعالى أمر ونهى، وهما يستلزمان الإرادة والكراهة بالضرورة).

أقول: إتفق المسلمون على وصفه بالإرادة ، واختلفوا في معناها.

فقال أبو الحسين البصري: هي عبارة عن علمه تعالى بما في الفعل من المصلحة الداعي إلى إيجاده.

وقال النجار: معناها أنه غير مغلوب ولا مكره، فمعناها إذن سلبي، ولكن هذا القائل أخذ لازم الشئ مكانه.

وقال البلخي: هي في أفعاله علمه بها[1]، وفي أفعال غيره أمره بها.

فإنّ أراد العلم المطلق فليس بإرادة كما سيأتي[2]، وأن أراد العلم المقيد بالمصلحة فهو كما قال أبو الحسين البصري وأما الأمر فهو مستلزم للإرادة لا نفسها.

---

(١) ارادته لشيء هي ايجاده له، هكذا بينه الحجج المعصومون وهي بذلك من صفات الفعل لا الذات وارجعاها الى العلم بمعنى " علم خاص " غير موافق لبيان الحجج عليهم السلام وسياتي مزيد بيان.

(٢) في هذا المبحث بعد اسطر قليلة.

وقالت الأشاعرة والكرامية وجماعة من المعتزلة: أنها صفة زائدة مغايرة للقدرة والعلم مخصصة للفعل، ثم اختلفوا، فقالت الأشاعرة ذلك الزائد معنى قديم وقالت المعتزلة والكرامية: هو معنى حادث، فالكرامية قالوا: هو قائم بذاته تعالى، والمعتزلة قالوا: لا في محل، وسيأتي[١] بطلان الزيادة.

فإذن الحق[٢] ما قاله أبو الحسين البصري، والدليل على ثبوت الإرادة من وجهين:

الأول: إن تخصيص الأفعال بالايجاد في وقت دون آخر وعلى وجه دون آخر مع تساوي الأوقات والأحوال بالنسبة إلى الفاعل والقابل لا بد له من مخصص، فذلك المخصص، أما القدرة الذاتية فهي متساوية النسبة فليست صالحة للتخصيص، ولأنها شأنها التأثير والايجاد من غير ترجيح، وأما العلم المطلق فذلك تابع لتعيين الممكن وتقدير صدوره فليس مخصصا وإلا لكان متبوعا.

وأما باقي الصفات فظاهر أنها ليست صالحة للتخصيص، فإذن المخصص هو علم خاص مقتض لتعيين الممكن ووجوب صدوره عنه، وهو العلم باشتماله على مصلحة لا تحصل إلا في ذلك الوقت، أو على ذلك الوجه وذلك هو الإرادة[٣].

---

(١) في مباحث الصفات السلبية عند قوله "فلو كانت صفاته زائدة على ذاته لكان ممكنا".

(٢) الحق هو ما بينه الائمة الهداة عليهم السلام وستعرف انهم قالوا ان الارادة من الله تعالى هي فعله. وقد جرى المصنف والشارح على مسلك المتكلمين واختار مسلك بعض المعتزلة، فتنبه.

(٣) ارجاع الارادة الى العلم يعني جعلها من صفات الذات وهذا ما اتفقت الاخبار عن ←

→

الائمة الاطهار على نفيه عن ساحة قدسه فقد صرحت اخبارهم المتواترة معنى بان ارادته سبحانه حادثة.

ومنها: ١ـ عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: لم يزل الله مريدا؟ قال: إن المريد لا يكون إلا لمراد معه، لم يزل [الله] عالما قادرا ثم أراد. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٠٩،

٢ـ عن بكير بن أعين قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: علم الله ومشيئته هما مختلفان أو متفقان؟ فقال: العلم ليس هو المشيئة ألا ترى أنك تقول: سأفعل كذا إن شاء الله ولا تقول: سأفعل كذا إن علم الله فقولك إن شاء الله دليل على أنه لم يشأ فإذا شاء كان الّذي شاء كما شاء وعلم الله السابق للمشيئة. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٠٩،

٣ـ عن صفوان بن يحيى قال: قلت لابي الحسن عليه السلام، أخبرني عن الارادة من الله ومن الخلق؟ قال: فقال: الارادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك لانه لا يروي (ولا يهم ولا يتفكر، وهذه الصفات منفية عنه وهي صفات الخلق، فإرادة الله، الفعل، لا غير ذلك يقول له: كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك، كما أنه لا كيف له. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١١٠،

٤ـ عن عمر بن اذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشيئة. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١١٠.

تنبيه: جعلت التشكيكات العقلية هذا الخبر الشريف من الاخبار المجملة العويصة.

وننبه الى ان سبب الاجمال هو ان الارادة فعل فتحتاج الى ارادة ايضا و الحل ان قالوا بانها ذاتية.

ولكن الصحيح ان الارادة من الله تعالى فعله ولكن لا تحتاج الى ارادة وذلك خصوصية الارادة.

ويمكن الاعبار بالارادة فينا نحن الكائنات الحادثة فإنّ القيام يحصل بالارادة منا ولكن

←

الثاني: أنه تعالى أمر بقوله: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(١)، ونهى بقوله: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾(٢)، والأمر بالشئ يستلزم إرادته ضرورة، والنهي عن الشئ يستلزم كراهته ضرورة، فالباري تعالى مريد وكاره وهو المطلوب.

فائدتان:

الأولى: كراهيته تعالى هي علمه باشتمال الفعل على المفسدة

←

الارادة تحصل بخصوصية كوننا قادرون لنا الاختيار.

٥ـ علي بن إبراهيم الهاشمي قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفرعليهما السلام يقول: لا يكون شئ إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى، قلت: ما معنى شاء؟ قال ابتداء الفعل، قلت: ما معنى قدر؟ قال: تقدير الشئ من طوله وعرضه، قلت: ما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه، فذلك الّذي لا مرد له. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٥٠،

٦ـ عن محمد بن أبي عمير، عن عمر بن اذينة، عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المشية محدثة. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٣٣٦.

قد يقال: ان المعنى الّذي قالت الاخبار بحدوثة يختلف عن المعنى الّذي قرر الشارح رجوعه الى العلم فنقول: لا ينبغي ايهام الطالب للعلم بجعل امر اصطلاحي واغفال ما ورد عن الائمة الهداةعليهم السلام والشارح ذكر البلخي وابا الحسين البصري والكرامية وترك بيان قول ائمته وهذا منهرحمه الله عجيب لا ينبغي متابعته عليه، بل في الاخبار نفي ارجاع الارادة الى العلم بتنبيه السائل ان العلم لا يصح نفيه عنه تعالى كما يصح نفي الارادة عنه.

و قد يقال ان الارادة غير المشيئة والحادث هو الارادة دون المشيئة فنقول: قال الامام الرضاعليه السلام: "واعلم ان الابداع والمشيه والاراده معناها واحد واسماؤها ثلاثه" عيون أخبار الرضاعليه السلام ج ٢ ص ١٥٤.

(١) الانعام: ٧٢.

(٢) الاسراء: ٣٢.

الصارفة عن إيجاده، كما أن أرادته هي علمه باشتماله على المصلحة الداعية إلى إيجاده.

الثانية: إرادته ليست زائدة على ما ذكرناه، وإلا لكانت إما معنى قديما كما قالت الأشاعرة فيلزم تعدد القدماء وقدم المراد، أو حادثا، فأما في ذاته كما قالت الكرامية فيكون محلا للحوادث وهو باطل كما سيأتي[١] إن شاء الله تعالى، وأما في غيره فيلزم رجوع حكمه إلى الغير لا إليه، وإما لا في محل كما تقول المعتزلة ففيه فسادان:

الأول: يلزم منه التسلسل، اذ الحادث مسبوق بإرادة المحدث فهي إذن حادثة، وننقل الكلام ويتسلسل[٢].

الثاني: استحالة وجود صفة لا في محل.

---

(١) عند قوله "انه تعالى ليس محلا للحوادث" في الفصل الثالث من مباحث الصفات السلبية.

(٢) تقدم ما يرد به الاشكال في تنبيهنا تعقيبا على الخبر "خلق الله الاشياء بالمشيئة...". والعمدة هو الجواب الثاني.

الصفة الخامسة: انه تعالى مدرك

قال: (الخامسة: أنه تعالى مدرك لأنه حي فيصح أن يدرك وقد ورد القرآن بثبوته له فيجب إثباته له).

أقول: قد دلت الدلائل النقلية على اتصافه تعالى بالإدراك[1] وهو زائد على العلم فإنا نجد تفرقة ضرورة بين علمنا بالسواد والبياض والصوت الهائل وبين إدراكنا لها، وتلك الزيادة راجعة إلى تأثر الحاسة، لكن قد دلت الدلائل العقلية على استحالة الحواس والآلات عليه تعالى فيستحيل ذلك الزائد عليه فإدراكه هو علمه تعالى حينئذ بالمدركات.

والدليل على صحة اتصافه به هو ما دل على كونه عالما بكل المعلومات من كونه حيا فيصح أن يدرك، وقد ورد القرآن بثبوته له فيجب إثباته له فإدراكه هو علمه بالمدركات، وذلك هو المطلوب.

---

(١) قال الامام الرضا صلوات الله عليه: "مدرك لا بمحسه" انظر عيون اخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص١٥٤ والامالي ص ٤٢٣.

تنبيه: تاتي "ادرك" بمعنى يقابل الفوت، والله تعالى هو المدرك بهذا المعنى ايضا ففي الدعاء بعد زيارة الامام امير المؤمنين عليه السلام: "يا مدرك كل فوت" المزار للمشهدي ص ٢٢٣، فالباري لا يفوته شيء.

الصفة السادسة: انه تعالى قديم ازلي باق ابدي

قال: (السادسة: أنه تعالى قديم، أزلي: باق، أبدي، لأنه واجب الوجود، فيستحيل العدم السابق واللاحق عليه).

أقول: هذه الصفات الأربع لازمة لوجوب وجوده[1].

فالقديم والأزلي: هو المصاحب لمجموع الأزمنة المحققة والمقدرة بالنسبة إلى جانب الماضي.

والباقي: هو المستمر الوجود المصاحب لجميع الأزمنة محققة كانت او مقدرة بالنسبة الى المستقبل.

والأبدي: هو المصاحب لجميع الأزمنة.

---

(١) وفي الخبر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال: "اعلم - علمك الله الخير - أن الله تبارك وتعالى قديم، والقدم صفة دلت العاقل على أنه لا شئ قبله ولا شئ معه في ديموميته، فقد بان لنا بإقرار العامة مع معجزة الصفة لا شئ قبل الله ولا شئ مع الله في بقائه وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شئ وذلك أنه لو كان معه شئ فبقائه لم يجز أن يكون خالقا له لانه لم يزل معه: فكيف يكون خالقا لمن لم يزل معه، ولو كان قبله شئ كان الاول ذلك الشئ لا هذا، وكان الاول أولى بإن يكون خالقا للاول الثاني" التوحيد- الشيخ الصدوق ص ١٨٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٣٢.

والسرمدي يعم الجميع.

والدليل على ذلك هو أنه قد ثبت أنه واجب الوجود فيستحيل عليه العدم مطلقا، سواء كان سابقا على تقدير أن لا يكون قديما أزليا، أو لاحقا على تقدير أن لا يكون باقيا أبديا وإذا استحال العدم المطلق عليه ثبت قدمه وأزليته وبقاؤه وأبديته وهو المطلوب.

الصفة السابعة: انه تعالى متكلم

(قال: السابعة: إنه تعالى متكلم بالاجماع، والمراد بالكلام الحروف والأصوات المسموعة المنتظمة، ومعنى أنه تعالى متكلم أنه يوجد الكلام في جسم من الأجسام، وتفسير الأشاعرة غير معقول).

أقول: من جملة صفاته تعالى كونه متكلما، وقد أجمع المسلمون على ذلك واختلفوا بعد ذلك في مقامات أربع:

الأول: في الطريق إلى ثبوت هذه الصفة، فقالت الأشاعرة هو العقل، وقالت المعتزلة هو السمع، وهو قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[1]، وهو الحق لعدم الدليل العقلي، وما ذكروه دليلا فليس بتام.

وقد أجمع الأنبياء على ذلك، وثبوت نبوتهم غير موقوف عليه[2] فيجب إثباته.

الثاني: في ماهية كلامه، فزعم الأشاعرة أنه معنى قديم قائم بذاته،

---

(١) سورة النساء: ١٦٤.

(٢) في بعض النسخ المطبوعة والحجرية اضافة: "لإمكان الاستدلال على النبوة بغير القرآن من المعجزات أو بالقرآن لا من حيث أنه كلام بل من حيث أنه معجز، ولا شك في تغاير المعجزين".

يعبر عنه بالعبارات المختلفة المتغيرة، مغاير للعلم والقدرة وليس بحرف ولا صوت، ولا امر ولا نهي ولا خبر ولا استخبار و لاغير ذلك من اساليب الكلام وقالت المعتزلة والكرامية والحنابلة هو الحروف والاصوات المركبة تركيبا مفهما والحق الاخير لوجهين:

الوجه الاول: ان المتبادر لافهام العقلاء هو ما ذكرناه ولذلك لا يصفون بالكلام من لم يتصف بذلك كالساكت والاخرس.

الوجه الثاني: ان ما ذكروه غير متصور، فإنّ المتصور اما القدرة الّتي تصدر عنها الحروف والاصوات، وقد قالوا هو غيرها، او العلم وقد قالوا هو غيره، وباقي الصفات ليست صالحة لمصدرية ما قالوه، واذا لم يكن متصورا لم يصح اثباته اذ التصديق مسبوق بالتصور.

الثالث: فيما تقوم به تلك الصفة، اما الاشاعرة فلقولهم بالمعنى قالوا انها قائم بذاته تعالى، واما القائلون بالحروف والصوت فقد اختلفوا، فقالت الحنابلة والكرامية: انه قائم بذاته تعالى، فعندهم هو المتكلم بالحرف والصوت، وقالت المعتزلة والامامية، وهو الحق، انه قائم بغيره لا بذاته كما اوجد الكلام في الشجرة فسمعه موسىعليه السلام.

ومعنى انه متكلم انه فعل الكلام لا قام به الكلام.

والدليل على ذلك انه امر ممكن والله تعالى قادر على كل الممكنات، واما ما ذكروه فممنوع، وسند المنع من وجهين:

الوجه الاول: انه لو كان المتكلم من قام به الكلام لكان الهواء الّذي تقوم به الحروف والاصوات متكلما، وهو باطل، لان اهل اللغة لا يسمون المتكلم الا من فعل الكلام، لا من قام به الكلام، ولهذا كان الصدى غير متكلم، وقالوا تكلم الجني على لسان المصروع لاعتقادهم ان الكلام

المسموع من المصروع فاعله الجني.

الوجه الثاني: ان الكلام اما المعنى وقد بان بطلانه، او الحروف والاصوات ولا يجوز قيامهما بذاته، والا لكان ذا حاسة لتوقف وجودهما على وجود آلتيهما ضرورة، فيكون الباري تعالى ذا حاسة وهو باطل.

الرابع: في قدمه وحدوثه، فقالت الأشاعرة بقدم المعنى، والحنابلة بقدم الحروف، وقالت المعتزلة بالحدوث، وهو الحق لوجوه:

الأول: أنه لو كان قديما لزم تعدد القدماء، وهو باطل، لأن القول بقدم غير الله تعالى كفر بالاجماع، ولهذا كفرت النصارى لإثباتهم قدم الأقنوم(١).

الثاني: أنه مركب من الأصوات والحروف الّتي يعدم السابق منها بوجود لاحقه، والقديم لا يجوز عليه العدم.

---

(١) اقنوم "في اللغة هو الاصل، وجمعه اقانيم، والاقانيم عند النصارى ثلاث صفات من صفات الله، وهي العلم والوجود والحياة، وعبروا عن الوجود (الاب) وعن الحياة (روح القدس)، وعن العلم (الكلمة)، وقالوا اقنوم الكلمة اتحد بعيسى، بمعنى ان الطبيعة الالهية اتحدت بالطبيعة الانسانية، بحيث تكون الاولى هي الجوهر الّذي به تقوم الثانية، ومن ثم كان معنى الاقنوم عند كتاب المسيحية هو الجوهر، وكان اول من استخدم هذا اللفظ بهذا المعنى افلوطين، وان كان ارسطو قد سبقه الى استخدامه ولكن بمعنى الحامل، وفي "الرسالة الى العبرانيين" يعبر بولس عن المسيح بانه الجوهر والحامل معا، أي بالمعنيين الارسطي والافلوطيني، فطبيعته الالهية هي حامل طبيعته الانسانية وجوهرها في نفس الوقت". المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة. النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر تحقيق وتعليق الشيخ مشتاق الزيدي ص ٢٧٤ هامش رقم (٣).

الثالث: أنه لو كان قديما لزم الكذب عليه، واللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة أنه أخبر بإرسال نوح عليه السلام في الأزل بقوله: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾[1]، ولم يرسله إذ لا سابق على الأزل فيكون كذبا.

الرابع: أنه يلزم منه العبث في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2]، إذ لا مكلف في الأزل، والعبث قبيح، فيمتنع عليه تعالى.

الخامس: قوله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ﴾[3]، والذكر هو القرآن لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[4]، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾[5]، وصفه بالحدوث فلا يكون قديما، فقول المصنف: "وتفسير الأشاعرة غير معقول" إشارة إلى ما ذكرناه في هذه المقامات[6].

---

(١) نوح: ١.

(٢) البقرة: ٤٣.

(٣) الانبياء: ٢.

(٤) الحجر: ٩.

(٥) الزخرف: ٤٤.

(٦) تذييل: من تفرعات هذه المسألة المهمة مسألة خلق القران او قدمه الّتي قامت على اساسها فتنة كبيرة بين المسلمين وكان من تعاليم الائمة الهداة عليهم السلام ابتعاد شيعتهم عن الخوض في هذه الفتنة وان بينوا وجه الحق في المسألة احيانا اخرى كما سيتضح من الاخبار الّتي سنعرضها للقارئ العزيز.

"عن محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، قال: كتب علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا عليهم السلام إلى بعض شيعته ببغداد: بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة فإنّ يفعل فقد أعظم بها نعمة وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الجدال

←

←

في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله عزوجل، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسما من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من <الّذين> يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون". التوحيد- للصدوق ص ٢٢٤.

وللشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عنه استدلال حول حدوث القران مستنده فيه خبر شريف ننقله بطوله: "قد جاء في الكتاب أن القرآن كلام الله ووحي الله وقول الله وكتاب الله، ولم يجئ فيه أنه مخلوق، وإنما امتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لان المخلوق في اللغة قد يكون مكذوبا، ويقال: كلام مخلوق أي مكذوب، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي كذبا، وقال تعالى حكاية عن منكري التوحيد: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ أي أفتعال وكذب، فمن زعم أن القرآن مخلوق بمعنى أنه مكذوب فقد كفر، ومن قال: إنه غير مخلوق بمعنى أنه غير مكذوب فقد صدق وقال الحق والصواب، ومن زعم أنه غير مخلوق بمعنى أنه غير محدث وغير منزل وغير محفوظ فقد أخطأ وقال غير الحق والصواب، وقد أجمع أهل الاسلام على ان القرآن كلام الله عزوجل على الحقيقة دون المجاز، وأن من قال غير ذلك فقد قال منكرا من القول وزورا، ووجدنا القرآن مفصلا وموصلا وبعضه غير بعض وبعضه قبل بعض كالناسخ الّذي يتأخر عن المنسوخ، فلو لم يكن ما هذه صفته حادثا بطلت الدلالة على حدوث المحدثات وتعذر إثبات محدثها بتناهيها وتفرقها وجتماعها. وشئ آخر وهو أن العقول قد شهدت والامة قد اجتمعت على أن الله عزوجل صادق في إخباره، وقد علم أن الكذب هو أن يخبر بكون ما لم يكن، وقد أخبر الله عزوجل عن فرعون وقوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ وعن نوح: أنه نادى ابنه وهو في معزل: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. فإنّ كان هذا القول وهذا الخبر قديما فهو قبل فرعون وقبل قوله ما أخبر عنه، وهذا هو الكذب، وإن لم يوجد إلا بعد أن قال فرعون ذلك فهو حادث

←

→

لانه كان بعد أن لم يكن. وأمر آخر وهو أن الله عزوجل قال: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ وقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ (٤) وماله مثل أو جاز أن يعدم بعد وجوده فحادث لا محالة.

وتصديق ذلك ما أخرجه شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه في جامعه، وحدثنا به، عن محمد بن الحسن الصفار عن العباس بن معروف، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي نجران، عن حماد بن عثمان، عن عبد الرحيم القصير، قال: كتبت على يدى عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك، اختلف الناس في أشياء قد كتبت بها إليك، فأن رأيت جعلني الله فداك أن تشرح لي جميع ما كتبت به إليك، اختلف الناس جعلت فداك بالعراق في المعرفة والجحود، فأخبرني جعلت فداك أهما مخلوقان؟ واختلفوا في القرآن، فزعم قوم: أن القرآن كلام الله غير مخلوق وقال آخرون: كلم الله مخلوق، وعن الاستطاعة أقبل الفعل أو مع الفعل؟ فإنّ إصحابنا قد اختلفوا فيه ورووا فيه، وعن الله تبارك وتعالى هل يوصف بالصورة أو بالتخطيط؟ فإنّ رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد، و عن الحركات أهي مخلوقة أو غير مخلوقة؟ وعن الايمان ما هو؟ فكتب عليه السلام على يدي عبد الملك ابن أعين: سألت عن المعرفة ماهي: فاعلم رحمك الله أن المعرفة من صنع الله عزوجل في القلب مخلوقة، والجحود صنع الله في القلب مخلوق، وليس للعباد فيهما من صنع ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب فبشهوتهم الايمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين، وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلالا، وذلك بتوفيق الله لهم وخذلان من خذله الله، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم، وسألت رحمك الله عن القرآن واختلاف الناس قبلكم، فإنّ القرآن كلام الله محدث غير مخلوق وغير أزلي مع الله تعالى ذكره، وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، كان الله عزوجل ولا شئ غير الله معروف ولا مجهول، كان عز وجل ولا متكلم ولا مريد ولا متحرك ولا فاعل عزوجل ربنا، فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث

←

الصفة الثامنة: انه تعالى صادق

قال: (الثامنة: إنه تعالى صادق، لأن الكذب قبيح بالضرورة والله تعالى منزه عنه، لاستحالة النقص عليه).

أقول: من صفاته الثبوتية كونه صادقا، والصدق هو الأخبار المطابق، والكذب هو الأخبار غير المطابق، لأنه لو لم يكن صادقا لكان كاذبا، وهو باطل، لأن الكذب قبيح ضرورة، فيلزم اتصاف الباري تعالى بالقبيح، وهو باطل لما يأتي(1)، وأيضا الكذب نقص والباري تعالى منزه عن النقص(2).

→

الفعل منه، عزوجل ربنا، والقرآن كلام الله غير مخلوق، فيه خبر من كان قبلكم وخبر ما يكون بعدكم انزل من عند الله على محمد رسول اللهﷺ". - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٢٢٥.

(١) في مبحث العدل.

(٢) يحسن هنا ان نضع امام القارئ الكريم كلاما جيدا للشارح في كتابه اللوامع الالهية، قال: "اعلم ان التحقيق في هذا المقام انه تعالى ليس له صفة كما قال وليهعليه السلام وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة انها غير الموصوف، وبشهادة كل موصوف انه غير الصفة، بل التعبير عن صفاته هو بالحقيقة تعبير عن ذاته، بمعنى ان مقتضيات الصفات منسوبة الى ذاته لا باعتبار صفة يقوم بها كالتمكن من الايجاد فانه باعتباره يقال: قادر، والكشف والظهور باعتباره يقال عالم لا باعتبار

←

←

قيام قدرة او علم بذاته " اللوامع الالهية ص ٢٠٧.

وننبه الى ان هناك مسألة لا ينبغي ان تغيب عن الباحث حول الصفات والذات الالهية وهي ان ادراك حقيقة الذات غير ممكن لاحد فلا يعلم ما هو الا هو سبحانه وتعالى، ولما كانت الصفة لها اعتباران كما افاده الشارح الفاضلﷺ احدها: باعتبار الذات، والاخر: باعتبار ما تتعلق به من المعلوم والمقدور، وهي بالاعتبار الثاني اعتبارات يقصد بها التعبير عن الذات من خلال الكمالات المدركة لنا، واما بالاعتبار الاول فالذات مجهولة غاية الجهل لا تدرك ولا يتوصل اليها عقل ذو عقل مهما بلغ من كمال.

اما دعوى ان الكلام في المفهوم وهو مدرك واما ما هو مورد الامتناع فهو المصداق فهذا ما لايمكننا المساعدة عليه لامور:

الاول: ان المفاهيم هي الوسيلة الوحيدة للاتصال بالخارج والكشف عن حقيقته كما هو مفاد تعريف العلم بانه الصورة الحاصلة من الشيء في الذهن، واما المصداق فلا يمكن التوصل اليه او التعاطي معه ولا يفرق في ذلك بين القديم والحادث، الواجب والممكن.

الثاني: ان الفلسفة المعاصرة (الحكمة المتعالية) تعتقد بوجود سبيل اخر للارتباط بالخارج من خلال حضور المعلوم بنفسه لدى العالم دون توسط الصورة وهو المسمى بالعلم الحضوري، ثم انهم قالوا ان العلم الحضوري هو للوجود بالوجود ومن هنا انطلقت هذه المدرسة الفلسفية الى القول بامكان ادراك الذات المقدسة بهذا اللون من الادراك، وما ورد من امتناع ادراك الذات فهو حق لكن المقصود منه ان الذات المقدسة لا تدرك بالعلم الحصولي، ومن ثم صرح السيد الطباطبائي في الميزان بامكان ذلك الادراك، فانظر الميزان اخر سورة النجم، وعلى هذا فالمصداق مدرك بنفسه عندهم بالعلم الحضوري، وبنفي العلم الحضوري لا يبقى مجال لهذه التخرصات.

الفصل الثالث:
في صفاته السلبية

الصفة الاولى: انه تعالى ليس بمركب

(الفصل الثالث في صفاته السلبية وهي سبع: قال: الأولى: أنه تعالى ليس بمركب[1]، وإلا لكان مفتقرا إلى أجزائه، والمفتقر ممكن).

أقول: لما فرغ من الثبوتية، شرع في السلبية، وتسمى الأولى صفات الاكرام، والثانية صفات الجلال، وإن شئت كان مجموع صفاته، صفات جلال[2]، فإنّ إثبات قدرته، باعتبار سلب العجز عنه، وإثبات العلم باعتبار

---

(١) عن الامام الرضا عن ابائه عن علي صلوات الله عليهم في حديث طويل: "(الواحد، الاحد) الاحد معناه أنه واحد في ذاته ليس بذي أبعاض ولا أجزاء ولا أعضاء". التوحيد- الشيخ الصدوق ص ١٩٦.

(٢) تنبيه: رجوع الصفات الذاتية الى المعاني السلبية ناشىء من الجهل بحقيقة الذات وصفاتها، مع الاعتراف بوجود صفة تليق بشأنه تعالى فهو حي عالم قادر بحياة وعلم وقدرة لا ندرك معنيها كما تقدم بيانه.

وليس كذلك الامر في الصفات الّتي سماها المتكلمون بالصفات السلبية او صفات الجلال فإنّ الامر لا يتعلق بما يمكننا ادراكه بل يتعداه الى حكاية الواقع فالباري ليس ←

سلب الجهل عنه، وكذا باقي الصفات.

وفي الحقيقة المعقول لنا من صفاته ليس إلا السلوب والإضافات[١].

وأما كنه ذاته وصفاته فمحجوب عن نظر العقول ولا يعلم ما هو إلا

←

جسما و لا مركبا في الواقع.

(١) هذا هو الحق وهو دين الامامية ورأيهم ونصوص الائمة الهداة عليهم السلام عليه والعجب كل العجب من ابتعاد جملة من الاعلام عنه والخروج عن مؤداه الى اراء واهية لم تؤخذ من مشكاة ال محمد عليهم السلام بل نسبه بعض المتاخرين الى الصابئة واخرون الى المعتزلة ولا والله لا الصابئة والمعتزلة ولا غيرهم تدرك حلومهم ما بينه الائمة الهداة من معنى الصفات، ورجوعها الى السلبية متفرع عن عدم ادراكها واما دعوى ان الّذي لايدرك هو مصداق الذات فمجازفة في القول اذ ان المصاديق ايا كانت لاتدرك بنفسها وانما بواسطة المفاهيم المتوسطة بين الانسان والخارج كما تقدم.

والحاصل ان معرفة حقيقة الصفة هو مما لا تقول به الشيعة فإنّ قال به بعضهم فهو سهو منه او خطأ لا يصح متابعته عليه ابدا.

راي الشيعة تبعا لائمتهم في الصفات

وللبيان نذكر امور

الاول: الصفات الّتي ندركها لا يتصف بها الباري ابدا لقوله تعالى: " ليس كمثله شئ " وقد مرت رواية عن الامام الرضا عليه السلام بيّن فيها الامام اننا نشترك مع الباري في اللفظ دون المعنى فراجع.

الثاني: لا يجوز وصف الباري الا بما وصف به نفسه او وصفه به حججه عليهم السلام.

الثالث: لا يمكن ادراك الذات المقدسة بحال لا للراسخين ولا لغيرهم.

الرابع: ان الصفات الثبوتية ترجع في معانيها الى نفي اضدادها ولا مجال للعقل اكثر من هذا الادراك، وقد تقدم ما ينفع في بيان الحق في الصفات الالهية المقدسة.

هو[1].

وقد ذكر المصنف هنا سبعا.

الأولى: أنه ليس بمركب، والمركب هو ما له جزء، ونقيضه البسيط، وهو ما لا جز له.

ثم التركيب قد يكون خارجيا كتركيب الأجسام من الجواهر الأفراد، وقد يكون ذهنيا: كتركيب الماهيات والحدود من الأجناس والفصول.

والمركب بكلا المعنيين: مفتقر إلى جزئه، لامتناع تحققه وتشخصه خارجا وذهنا بدون جزئه، وجزؤه غيره لأنه يسلب عنه فيقال: الجزء ليس بكل، وما يسلب عنه الشئ فهو مغاير له، فيكون المركب مفتقرا إلى الغير فيكون ممكنا، فلو كان الباري جلت عظمته مركبا، لكان ممكنا وهو محال.

---

(١) عن الحسين بن مياح، عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من نظر في الله كيف هو هلك. وهناك اخبار كثيرة متواترة معنى دالة على المطلوب وسيأتيك البحث مفصلا.

الصفة الثانية: انه تعالى ليس بجسم و لا عرض

قال: (الثانية: أنه تعالى ليس بجسم ولا عرض وإلا لافتقر إلى المكان، ولامتنع انفكاكه من الحوادث فيكون حادثا وهو محال).

أقول: الباري تعالى ليس بجسم خلافا للمجسمة[1]، والجسم هو ما

---

(١) عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق حين سأله: ما هو؟ قال: هو شئ بخلاف الاشياء ارجع بقولي إلى إثبات معنى وأنه شئ بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الاوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الازمان، فقال له السائل: فتقول: إنه سميع بصير؟ قال: هو سميع بصير: سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه، ليس قولي: إنه سميع يسمع بنفسه وبصير يبصر بنفسه أنه شئ والنفس شئ آخر ولكن أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولا وإفهاما لك إذ كنت سائلا، فأقول: إنه سميع بكله لا أن الكل منه له بعض ولكني أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك الا إلى أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى. قال له السائل: فما هو؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو الرب وهو المعبود وهو الله وليس قولي: الله إثبات هذه الحروف: ألف ولام وهاء، ولا راء، ولا باء ولكن ارجع إلى معنى وشئ خالق الأشياء وصانعها ونعت هذه الحروف وهو المعنى سمي به الله والرحمن والرحيم والعزيز وأشباه ذلك من أسمائه وهو المعبود عزوجل. قال له السائل: فإنا لم نجد موهوما إلا مخلوقا، قال أبو عبد الله عليه السلام: لو كان ذلك كما تقول ←

له طول وعرض وعمق، والعرض هو الحال في الجسم ولا وجود له بدونه، والدليل على كونه ليس بجسم ولا عرض وجهان:

الأول: أنه لو كان أحدهما لكان ممكنا، واللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة إنا نعلم بالضرورة أن كل جسم فهو مفتقر إلى

→

لكان التوحيد عنا مرتفعا لأنا لم نكلف غير موهوم ولكنا نقول: كل موهوم بالحواس مدرك به تحده الحواس وتمثله فهو مخلوق، إذ كان النفي هو الإبطال والعدم، والجهة الثانية: التشبيه إذ كان التشبيه هو صفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار إليهم أنهم مصنوعون وأن صانعهم غيرهم وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيها بهم في ظاهر التركيب والتأليف وفيما يجري عليهم من حدوثهم بعد إذ لم يكونوا وتنقلهم من صغر إلى كبر وسواد إلى بياض وقوة إلى ضعف وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لبيانها ووجودها. قال له السائل: فقد حددته إذ أثبت وجوده، قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحده ولكني أثبته إذا لم يكن بين النفي والإثبات منزلة. قال له السائل: فله إنية ومائية؟ قال: نعم لا يثبت الشئ إلا بإنية ومائية. قال له السائل: فله كيفية؟ قال: لا لأن الكيفية جهة الصفة والإحاطة ولكن لابد من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه لأن من نفاه فقد أنكره ودفع ربوبيته وأبطله ومن شبهه بغيره فقد أثبته بصفة المخلوقين المصنوعين <الّذين> لا يستحقون الربوبية ولكن لابد من إثبات أن له كيفية لا يستحقها غيره ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره. قال السائل: فيعاني الأشياء بنفسه؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: هو أجل من أن يعاني الأشياء بمباشرة ومعالجة لان ذلك صفة المخلوق الّذي لا تجيئ الاشياء له إلا بالمباشرة والمعالجة، وهو متعال نافذ الإرادة والمشيئة، فعال لما يشاء. الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٨٣. وانظر الكافي ج ١ ص ١٠٤ و١٠٦ و٥٥٠.

المكان، وكل عرض فهو مفتقر إلى المحل، والمكان والمحل غيرهما، فيفتقران إلى غيرهما، والمفتقر إلى غيره ممكن، فلو كان الباري تعالى جسما أو عرضا لكان ممكنا.

الثاني: أنه لو كان جسما لكان حادثا وهو محال.

بيان الملازمة أن كل جسم فهو لا يخلو من الحوادث، وكل ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث وقد تقدم بيانه، فلو كان جسما لكان حادثا لكنه قديم فيجتمع النقيضان.

قال: (ولا يجوز أن يكون في محل وإلا لافتقر إليه، ولا في جهة وإلا لافتقر إليها).

أقول: هذان وصفان سلبيان:

الأول: أنه ليس في محل خلافا للنصارى وجمع من المتصوفة، والمعقول من الحلول وهو قيام موجود بموجود على سبيل التبعية، فإنّ أرادوا هذا المعنى فهو باطل، والا لزم افتقار الواجب وهو محال، وإن أرادوا غيره فلا بد من تصوره أولا ثم الحكم عليه بالنفي والاثبات.

الثاني: أنه تعالى ليس في جهة، والجهة مقصد المتحرك، ومتعلق الإشارة[1]، وزعمت الكرامية أنه تعالى في الجهة الفوقية[2] لما تصوروه من

---

(١) وهي الفوق والتحت واليسار واليمين والامام والخلف.

(٢) ليس هذا الزعم مختصا بالكرامية بل هو عقيدة جمع من العامة فقد رووا في كتبهم انه تعالى فوق السماوات مثل: "عن الاحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنت بالبطحاء في عصابة. وفيهم رسول الله ﷺ. فمرت به سحابة. فنظر إليها. فقال "ما تسمون هذه؟" قالوا: السحاب. قال "والمزن" قالوا: والمزن. قال "والعنان" قال أبو بكر: قالوا: والعنان. قال "كم ترون بينكم وبين السماء؟" قالوا: لا ندرى. قال "فإنّ بينكم وبينها إما واحدا أو اثنين أو ثلاثا وسبعين سنة. والسماء فوقها كذلك" حتى عد سبع سموات. "ثم فوق السماء السابعة، بحر. بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء. ثم فوق ذلك ثمانية أوعال. بين أظلافهن وركبهن كما بين سماء إلى سماء. ثم على ظهورهن العرش. بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء. ثم الله فوق ذلك. تبارك وتعالى". سنن ابن ماجة ج١ ص٦٩ وسنن الترمذي ج٥ ص٩٧ وانظر فتح الباري عن ابن ابي خزيمة في التوحيد من صحيحة وعن ابن ابي عاصم في كتاب السنة فراجع فتح الباري ج ١٣ ص ٣٥٠.

←

الظواهر النقلية[١]، وهو باطل، لأنه لو كان في الجهة لكان أما مع استغنائه عنهما فلا يحل فيها، أو مع افتقاره إليها فيكون ممكنا، والظواهر النقلية لها تأويلات ومحامل مذكورة في مواضعها.

لأنه لما دلت الدلائل العقلية على إمتناع الجسمية ولواحقها عليه، وجب تأويل غيرها لاستحالة العمل بهما، وإلا لاجتمع النقيضان، أو الترك لهما، وإلا لارتفع النقيضان، أو العمل بالنقل واطراح العقل، وإلا لزم اطراح النقل لإطراح أصله[٢]، فيبقى الأمرالرابع وهو العمل بالعقل وتأويل النقل[٣].

→

وردهم اخرون منهم لم يرتضوا هذه الفكرة منهم السبكي فراجع كتاب "السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل" لابي الحسن تقي الدين بن عبد الكافي السبكي الكبير المتوفى ٧٥٦هـ

(١) مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الانعام: ١٨) والخبر السابق.

(٢) لايخفى ان العمل بالنقل يبتني على امور:

الاول: ان حجية قول القائل وهو هنا اما الله تعالى او الحجج المعصومون عليهم السلام، ومنشأ حجية قولهم تثبت بما تثبت به النبوة والامامة اذ مفاد دعوى النبوة هو ان النبي مرسل من الله تعالى ومفاد دعوى الامامة ان الامام هو الحافظ للشرع نيابة عن النبي والقائم مقامه في الامة، وثبوت ذلك راجع الى اقامة المعجز على يد الحجة وستعرف ان المعجزة امر عقلي، والموجب للنظر في الدعوى هو دفع الضرر وهو عقلي او فطري.

الثاني: ان قول المعصوم لم يصل الينا الا بواسطة نقل الرواة لكلامهم فيخضع الى مقاييس الاثبات الروائي.

ومن هنا: فإنّ اعتماد المنقول لا يعني الغاء الاصل العقلي مطلقا، نعم لو كان اعتماد المنقول ينفي الاساس العقلي للزم ما ذكره الشارح الفاضل رحمه الله والا فلا يلزم.

(٣) لتعارض المنقول مع المعقول اربع صور:

←

قال: (ولا يصح عليه اللذة والألم لامتناع المزاج عليه تعالى).

أقول: الألم واللذة أمران وجدانيان فلا يفتقران إلى تعريف، وقد يقال فيهما: اللذة إدراك الملائم من حيث هو ملائم، والألم إدراك المنافي من حيث هو مناف، وهما قد يكونان حسيين، وقد يكونان عقليين، فإنّ الادراك إن كان حسيا فهما حسيان وإلا فعقليان.

إذا تقرر هذا فنقول: أما الألم فهو مستحيل عليه إجماعا من العقلاء إذ لا منافي له تعالى.

وأما اللذة فإنّ كانت حسية فكذلك لأنها من توابع المزاج، والمزاج يستحيل عليه تعالى وإلا لكان جسما.

وإن كانت عقلية فقد أثبتها الحكماء له تعالى وصاحب الياقوت(١)

→

الاولى: تعارض حكم العقل البديهي مع النقلي القطعي.

الثانية: تعارض حكم العقل البديهي مع النقلي الظني.

الثالثة: تعارض حكم العقل النظري مع النقلي القطعي.

الرابعة: تعارض حكم العقل النظري مع النقلي الظني.

والصورة الاولى لا فرد لها خارجا، ومع فرض وجوده يتوقف فيه الى حين لقاء المعصوم عليه السلام.

والصورة الثانية يقدم العقلي، لاحتمال الخطأ في المنقول الظني دون البديهي العقلي.

والصورة الثالثة يقدم النقلي، لاحتمال الخطأ في المعقول النظري دون المنقول القطعي.

والصورة الرابعة يكون التوقف اولى لاحتمال الخطأ في المفادين.

(١) هو ابو اسحاق ابراهيم بن نوبخت من قدماء الشيعة وكتابه الياقوت وله شرح الفه العلامة باسم انوار الملكوت وشرح الانوار السيد عميد الدين الاعرجي ابن اخت

←

منا، لأن الباري تعالى متصف بكماله اللائق به لاستحالة النقص عليه، ومع ذلك فهو مدرك لذاته وكماله، فيكون أجل مُدرِك لأعظم مُدرَك بأتم إدراك ولا نعني باللذة إلا ذلك.

وأما المتكلمون فقد أطلقوا القول بنفي اللذة، إما لاعتقادهم نفي اللذات العقلية، أو لعدم ورود ذلك في الشرع الشريف، فإنّ صفاته تعالى وأسماءه توقيفية، لا يجوز لغيره التهجم بها إلا بإذن منه لأنه وإن كان جائزا في نظر العقل لكنه ليس من الأدب لجواز أن يكون غير جائز من جهة لا نعلمها(١).

→

العلامة وتلميذه.

(١) ما نسبه الى المتكلمين هو عين الحقيقة وعليه نصوص اصحابنا وفتاواهم، وانظر اللوامع الالهية للفاضل المقداد ص ١٦١ الطبعة المزينة بتعاليق السيد محمد علي القاضي.
يقول شيخنا الفاضل المتتبع الشيخ حسن الميلاني(دامت بركاته): "[بل ليعلم ان اسماء الله تعالي ليس مجرد تسمية، بل كل اسمائه تعالي تكون اوصافا له، فيمكن ان نتورط في الجهل المركب ونكفر من حيث لا نعلم]". انظر تحرير النافع يوم الحشر.

قال: (ولا يتحد بغيره لامتناع الاتحاد مطلقا).

أقول: الاتحاد يقال على معنيين: مجازي وحقيقي.

أما المجازي: فهو صيرورة الشئ شيئا آخر بالكون، والفساد، أما من غير إضافة شئ آخر كما يقال، صار الماء هواء، وصار الهواء ماء، أو مع إضافة شئ آخر كما يقال: صار التراب طينا باضافة الماء إليه.

وأما الحقيقي: فهو صيرورة الشيئين الموجودين شيئا واحدا موجودا.

إذا تقرر هذا فاعلم أن الأول مستحيل عليه تعالى قطعا، لاستحالة الكون والفساد عليه.

وأما الثاني فقد قال بعض النصارى: إنه اتحد بالمسيح فإنهم، قالوا: اتحدت لاهوتية الباري مع ناسوتية عيسى عليه السلام، وقالت النصيرية[1]: أنه

---

(١) نسبة الى محمد بن نصير النميري البصري وهو من اصحاب الامام الحسن العسكري عليه السلام "قال أبو عمرو: وقالت فرقة بنبوة محمد بن نصير النميري، وذلك أنه ادعى أنه نبي رسول، وأن علي بن محمد العسكري عليه السلام أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن عليه السلام، ويقول فيه بالربوبية ويقول: باباحة المحارم، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا في أدبارهم ويقول أنه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وأن الله لم يحرم شيئا من ذلك. وكان محمد بن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده، وذكر أنه رأى بعض الناس محمد بن نصير عيانا، وغلام له على ظهره، وأنه عاتبه على ذلك، فقال: ان هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر، وافترق الناس فيه وبعده فرقا " - اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٨٠٥.

اتحد بعلي عليه السلام، وقال المتصوفة: إنه اتحد بالعارفين[(١)].

---

(١) قول المتصوفة هو "وحدة الوجود" وحاصلها ان الوجود حقيقة واحدة والممكنات جميعا تعيناتها ومظاهرها وهو قول باطل مناف للوجدان والبرهان.

قال الفيض الكاشاني في عين اليقين:" وجود الممكنات ليس مغايرا لوجود الحق الباطن المجرد عن الأعيان والمظاهر الا بنسب واعتبارات، كالظهور والتعين والتعدد الحاصل بالاقتران، وقبول حكم الاشتراك، ونحو ذلك من النعوت الّتي تلحقه بواسطة التعلق بالمظاهر.

فللوجود اعتباران:

أحدهما: من حيث كونه وجودا فحسب، وهو الحق، وانه من هذا الوجه لا كثرة فيه، ولا تركيب، ولا صفة، ولا نعت، ولا اسم، ولا رسم، ولا نسبة، ولا حكم، بل وجود بحت.

والاعتبار الآخر: من حيث اقترانه بالممكنات، وشروق نوره على أعيان الموجودات، وهو سبحانه، اذا اعتبر تعين وجوده مقيدا بالصفات اللازمة لكل متعين من الأعيان الممكنة، فإنّ ذلك التعين والتشخص يسمى «خلقا»، و «سوى»، وينضاف اليه سبحانه اذ ذاك كل وصف، ويسمى كل اسم، ويقبل كل حكم ويتقيد بكل رسم، ويدرك بكل مشعر، من بصر وسمع وعقل وفهم، وذلك لسريانه في كل شيء بنوره الذاتي المقدس عن التجزىء، والانقسام، والحلول في الأرواح والأجسام، ولكن كل ذلك متى أحب، وكيف شاء، وهو في كل وقت وحال قابل لهذين الحكمين المذكورين المضادين بذاته، لا بأمر زائد عليه، اذا شاء ظهر بكل صورة، وان لم يشأ لا تنضاف اليه صورة، لا يقدح تعينه وتشخصه واتصافه بصفاتها في كمال وجوده وعزته وقدسه، ولا ينافي ظهوره بها، واظهار تقيده بها، وبأحكامها غناه بذاته عن جميع ما وصف بالوجود، واطلاقه عن كل القيود، بل هو الجامع بين متماثلاتها ومتخالفاتها جميعا، فتأتلف وتختلف " ـ عين اليقين للفيض الكاشاني ج١ ص ٦٨ ـ ٦٩. وللمزيد من التفاصيل حول هذه الفكرة انظر " تنزيه المعبود" للعلامة المحقق السيد قاسم علي احمدي (دامت بركاته).

فإنّ عنوا غير ما ذكرناه فلا بد من تصوره أولا ثم يحكم عليه، وإن عنوا ما ذكرناه فهو باطل قطعا، لأن الاتحاد مستحيل في نفسه فيستحيل إثباته لغيره.

أما استحالته فهو أن المتحدين بعد اتحادهما إن بقيا موجودين فلا اتحاد لأنهما اثنان لا واحد، وإن عدما معا فلا اتحاد، بل وجد ثالث، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فلا اتحاد ايضا لأن المعدوم لا يتحد بالموجود.

الصفة الثالثة: انه تعالى ليس محلا للحوادث

قال: (الثالثة: إنه تعالى ليس محلا للحوادث لامتناع انفعاله عن غيره وامتناع النقص عليه).

أقول: إعلم أن صفاته تعالى لها اعتباران.

أحدهما: بالنظر إلى نفس القدرة الذاتية، والعلم الذاتي إلى غير ذلك من الصفات.

وثانيهما: بالنظر إلى تعلق تلك الصفات بمقتضياتها كتعلق القدرة بالمقدور والعلم بالمعلوم، فهي بهذا المعنى لا نزاع في كونها أمورا اعتبارية إضافية متغيرة بحسب تجدد المتعلقات وتغايرها.

وأما بالاعتبار الأول فزعمت الكرامية أنها حادثة متجددة بحسب تجدد المتعلقات، قالوا: إنه لم يكن قادرا في الأزل ثم صار قادرا، ولم يكن عالما ثم صار عالما، والحق خلافه فإنّ المتجدد فيما ذكروه هو التعلق الاعتباري، فإنّ عنوا ذلك فمسلم وإلا فباطل لوجهين:

الأول: أنه لو كانت صفاته حادثة متجددة لزم انفعاله وتغيره، واللازم باطل فالملزوم كذلك.

بيان اللزوم من وجهين:

الأول: أن صفاته ذاتية فتجددها مستلزم لتغير الذات وانفعالها.

الثانى: أن حدوث الصفة يستلزم حدوث قابلية فى المحل لها، وهو

مستلزم لانفعال المحل وتغيره، لكن تغير ماهيته تعالى وانفعالها محال، فلا تكون صفاته حادثة وهو المطلوب.

الثاني: أن صفاته تعالى صفات كمال لاستحالة النقص عليه، فلو كانت حادثة متجددة لزم خلوه من الكمال، والخلو من الكمال نقص، تعالى الله عنه.

الصفة الرابعة: انه يستحيل عليه الرؤية

قال: (الرابعة: أنه يستحيل عليه الرؤية لأن كل مرئي فهو ذو جهة لأنه أما مقابل أو في حكم المقابل بالضرورة فيكون جسما وهو محال، ولقوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[1]، ولن النافية).

أقول: ذهب الحكماء والمعتزلة إلى استحالة رؤيته بالبصر لتجرده، وذهب المجسمة والكرامية إلى جواز رؤيته بالبصر مع المواجهة، وأما الأشاعرة فاعتقدوا تجرده، وقالوا بصحة رؤيته، وخالفوا جميع العقلاء، وتحذلق بعضهم وقال ليس مرادنا بالرؤية الانطباع أو خروج الشعاع، بل الحالة الّتي تحصل من رؤية الشئ بعد حصول العلم به.

وقال بعضهم: معنى الرؤية هو أن ينكشف لعباده المؤمنين في الآخرة انكشاف البدر المرئي[2].

---

(١) سورة الاعراف جزء من الاية ١٤٣.

(٢) اضاف المحقق الشيخ حسن الميلاني(دامت افاضاته): "[وعند الصوفية يكون الرؤية بمعني الوجدان ولواجدية، فيقال: ان الموج من البحر يرى الماء، يعني ان الموج واجد للماء، ونحن ايضا نري الله، بمعني انا واجدون لوجوده، كما ان الموجود واجد لوجود البحر بمقدار سعة وجوده، ولا شك في بطلان هذا التفسير ايضا، لانا لا نجد وجود الله تعالي في وجودنا، والا يلزم كون الله تعالي متجزيا متغيرا، ولا نستدل ←

والحق أنهم إن عنوا بذلك الكشف التام فهو مسلم فإنّ المعارف تصير يوم القيامة ضرورية، وإلا فلا يتصور منه إلا الرؤية، وهو باطل عقلا وسمعا.

أما عقلا: فلأنه لو كان مرئيا لكان في جهة فيكون جسما، وهو باطل، لما تقدم[١]، بيان الأول أن كل مرئي فهو إما مقابل أو في حكم المقابل كالصورة في المرآة وذلك ضروري، وكل مقابل أو في حكمه فهو في جهة، فلو كان الباري تعالى مرئيا لكان في جهة[٢].

→

بوجود الخالق المتعال الا من جهة العقل الدال على ان الاثر يدل علي وجود مؤثره وخالقه، وليس وجودنا موجودا وحاضرا في وجود الله تعالى كما توهموه]". انظر تحرير النافع.

(١) في الصفة الثانية من الصفات السلبية.

(٢) "عن أحمد بن إسحاق قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالثعليه السلام أسأله عن الرؤية وما اختلف فيه الناس فكتب: لا تجوز الرؤية، ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء لم ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لان الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان ذلك التشبيه لان الاسباب لابد من اتصالها بالمسببات" الكافي الشريف ج١ ص ٩٧.

وعدم امكان رؤية الباري من ضروريات مذهب ال البيتعليهم السلام وخالفهم اهل السنة فاطبقوا على جوازها سوى المعتزلة، ورووا في ذلك روايات نسبوها الى الرسول الاعظمصلى الله عليه وآله منها: "عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا ليلة مع النبيصلى الله عليه وآله فنظر إلى القمر ليلة اربع عشرة فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته" البخاري ج ٦ ص٤٨.

←

وأما سمعا فلوجوه:

الأول: أن موسى عليه السلام لما سأل الرؤية أجيب: بـ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[1]، ولن لنفي التأبيد نقلا عن أهل اللغة، وإذا لم يره موسى عليه السلام لم يره غيره بطريق الاولى.

←

وافضل مايرد به هذا الكلام هو ما ورد في الكافي الشريف:"عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرة المحدث أن ادخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والاحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال أبو قرة: إنا روينا أن الله قسم الرؤية والكلام بين نبيين فقسم الكلام لموسى ولمحمد الرؤية، فقال أبو الحسن عليه السلام: فمن المبلغ عن الله إلى الثقلين من الجن والانس "﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾" أليس محمد؟ قال: بلى قال: كيف يجيئ رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله فيقول: "﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾" ثم يقول أنا رأيته بعيني وأحطت به علما وهو على صورة البشر؟! أما تستحون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون ياتي من عند الله بشئ، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر؟! قال أبو قرة: فإنه يقول: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى. حيث قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه، ثم أخبر بما رأى فقال ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ فآيات الله غير الله وقد قال الله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ فإذا رأته الابصار فقد أحاطت به العلم ووقعت المعرفة، فقال أبو قرة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبتها. وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحاط به علما ولا تدركه الابصار وليس كمثله شيء؟. الكافي الشريف ج ١ ص ٩٥.

(١) الاعراف _ ١٤٣.

الثاني: قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[1]، تمدح بنفي إدراك الأبصار له فيكون إثباته له نقصا.

الثالث: أنه تعالى استعظم طلب رؤيته ورتب الذم عليه والوعيد فقال: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾[2]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[3].

---

(١) الانعام ـ ١٠٣.

(٢) سورة النساء: ١٥٣.

(٣) سورة الفرقان: ٢١.

ولشيخ الطائفة الطوسي﴿ بيان شاف في المقام قال: "وأيضا قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (سورة الانعام: ١٠٣) دليل على استحالة رؤيته، لانه تمدح بنفي الادراك عن نفسه، وكل تمدح تعلق بنفي فاثباته لا يكون الا نقصا، كقوله ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥) وقوله تعالى ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ (سورة المؤمنون: ٩١) وقوله تعالى ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ (سورة الانعام: ١٠١) وقوله تعالى ﴿لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ (سورة يونس: ٤٤) وغير ذلك مما تعلق المدح بالنفي، فكان اثباته نقصا. والاية فيها مدح بلا خلاف وان اختلفوا في جهة المدح، والادراك في الاية بمعنى الرؤية، لانه نفى عن نفسه ما أثبته لنفسه بقوله ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (سورة الانعام: ١٠٣) وقوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (سورة القيامة: ٢٢ـ٢٣) لا يعارض هذه الاية، لان النظر المذكور في الاية معناه الانتظار، فكأنه قال: لثواب ربها منتظرة. ومثله قوله ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ﴾ (سورة النمل: ٣٥) أي منتظرة.

وليس النظر بمعنى الرؤية في شئ من كلام العرب، ألا ترى انهم يقولون "نظرت إلى الهلال فلم أره"، فيثبتون النظر وينفون الرؤية، ولو كان معناه الرؤية لكان ذلك مناقضة، ←

الصفة الخامسة: في نفي الشريك عنه تعالى

قال: (الخامسة: في نفي الشريك عنه للسمع، وللتمانع فيفسد نظام الوجود، ولاستلزامه التركيب لاشتراك الواجبين في كونهما واجبي الوجود فلا بد من مائز).

أقول: اتفق المتكلمون والحكماء على سلب الشريك عنه تعالى لوجوه:

←

ويقولون "ما زالت أنظر إليه حتى رأيته" ولا يقولون "ما زلت أراه حتى رأيته". ولو سلم أن النظر بمعنى الرؤية لجاز أن يكون معناه: إلى ثواب ربها رائية، وثواب الله يصح رؤيته. ويحتمل أن يكون "إلى" في الاية واحد الالاء، لانه يقال الي والئ والئ والئ والى، وانما لم ينون لمكان الاضافة، فيكون "إلى" في الاية اسما لا حرفا، فيسقط بذلك شبهة المخالف. وقول موسى عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ يحتمل أن يكون سأل الرؤية لقومه على ما حكاه الله عزوجل في قوله ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾، فسأل الله تعالى ذلك ليرد الجواب من جهته فيكون أبلغ. ويحتمل أن يكون سأل العلم الضروري الّذي تزول معه الخواطر والشبهات أو اظهار آية من آيات الساعة الّتي يحصل عندها العلم الّذي لا شك فيه، وللانبياء أن يسألوا تخفيف البلوى في التكليف، كما سأل ابراهيم عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ وكل ذلك لا ينافي الاية الّتي ذكرناها. الاقتصاد- الشيخ الطوسي ص ٤٢.

الأول: الدلائل السمعية الدالة عليه[1]، وإجماع الأنبياء عليهم السلام وهو

(١) ١ـ قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الانبياء ٢١ ـ ٢٢.

وعن هشام بن الحكم، قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: ما الدليل على أن الله واحد؟ قال: اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال عزوجل: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ـ التوحيد ـ الشيخ الصدوق ص ،٢٥٠

٢ـ قال الامام امير المؤمنين صلوات الله عليه: "واعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لاتتك رسله، ولرأيت آثار ملكه وسلطانه، ولعرفت أفعاله وصفاته، ولكنه إله واحد كما وصف نفسه. لا يضاده في ملكه أحد، ولا يزول أبدا".- نهج البلاغة - خطب الامام علي عليه السلام ج ٣ ص ٤٤.

٣ـ "عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الّذي أتى أبا عبد الله عليه السلام فكان من قول أبي عبد الله عليه السلام له: لا يخلو قولك: إنهما اثنان، من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفا، فإنّ كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبة ويتفرد بالتدبير، وإن زعمت أن أحدهما قوي و الآخر ضعيف، ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني.

وإن قلت: إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة فلما رأينا الخلق منتظما والفلك جاريا واختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر دل صحة الامر والتدبير وائتلاف الامر على أن المدبر واحد ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فلابد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثا بينهما، قديما معهما، فيلزمك ثلاثة، فإنّ ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهم فرجتان فيكون خمسا، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية في الكثره". ـ التوحيد ـ الشيخ الصدوق ص ٢٤٣.

حجة هنا لعدم توقف صدقهم على ثبوت الوحدانية[١].

الثاني: دليل المتكلمين، ويسمى دليل التمانع و هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٢].

وتقريره أنه لو كان معه شريك لزم فساد نظام الوجود، وهو باطل.

بيان ذلك: أنه لو تعلقت إرادة أحدهما بإيجاد جسم متحرك فلا يخلو إما أن يكون للآخر إرادة سكونه أو لا، فإنّ أمكن، فلا يخلو إما أن يقع مرادهما فيلزم اجتماع المتنافيين، أو لا يقع مرادهما فيلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، أو يقع مراد أحدهما ففيه فسادان:

أحدهما: الترجيح بلا مرجح.

وثانيهما: عجز الآخر.

وإن لم يمكن للآخر إرادة سكونه فيلزم عجزه، إذ لا مانع إلا تعلق إرادة ذلك الغير لكن عجز الإله باطل، والترجيح بلا مرجح محال، فيلزم فساد النظام وهو محال أيضا.

الثالث: دليل الحكماء[٣]، وتقريره أنه لو كان في الوجود واجبا

---

(١) رجع الشارح الفاضل الى الاستدلال بالسمع بملاك انه لا يتوقف عليه ثبوت صدق الانبياءعليهم السلام وهذا اصل عظيم في الدين وباب واسع واضح لتحصيل الكثير من المعارف الدينية بل جلها وليت المتكلمين انتهجوا هذا النهج بدلا عن التخبط بين قسوة الخصم وغبش الفلسفة الّتي ظنوا انها الحاكية عن العقل فحاولوا الالتجاء اليها يقدمون رجلا لامتطائها ويؤخرون اخرى لوضوح بلائها حتى خالفوا صريح النصوص والله المستعان.

(٢) الانبياء: ٢٢.

(٣) تقدم ان ما جعلوه من احكام الوجوب هو ثابت في الاخبار الشريفة للقدم، انظر ←

الوجود لزم إمكانهما.

وبيان ذلك: أنهما حينئذ يشتركان في وجوب الوجود، فلا يخلو إما أن يتميزا أو لا، فإنّ لم يتميزا لم تحصل الاثنينية، وإن تميزا لزم تركب كل واحد منهما مما به المشاركة ومما به الممايزة، وكل مركب ممكن فيكونان ممكنين، هذا خلف[1].

→

الحديث الثالث في التعليقة السابقة.

ولا يخفى ان الادلة الواردة في الشرح منسوبة الى المتكلمين تارة والى الحكماء اخرى، هي واردة بتقريرات رائعة في اخبارنا عن ائمتنا عليهم السلام فراجع ما مر.

(١) اضاف الفاضل المحقق الميلاني (دام مجده): "[قد يقال: ان وجود الله تعالى غير متناه فلا شريك له بل لا موجود سواه، والا لزم كونه محدودا متناهيا، وهذا الدليل باطل لان التناهي وعدم التناهي يكونان من صفات الاشياء ذات الاجزاء والامتداد، وهو تعالي ليس كذلک، فلا يتصف بالتناهي او عدم التناهي، فالاصح الاولى ان يقال ان فرض التعدد لشيء لا يمكن الا اذا كان متجزيا امتداديا، وحيث ان الله تعالى لا يكون كذلك فلا يمكن تعدده ولا شريك له]". انظر تحرير النافع للشيخ الميلاني.

الصفة السادسة: في نفي المعاني والاحوال عنه تعالى

قال: (السادسة: في نفي المعاني والأحوال عنه تعالى لأنه لو كان قادرا بقدرة، وعالما بعلم، وغير ذلك لافتقر في صفاته إلى ذلك المعنى فيكون ممكنا، هذا خلف).

أقول: ذهبت الأشاعرة إلى أنه تعالى قادر بقدرة، وعالم بعلم، وحي بحياة، إلى غير ذلك من الصفات، وهي معان قديمة زائدة على ذاته قائمة بها. وقالت البهشمية[1] إنه تعالى مساو لغيره من الذوات، وممتاز بحالة تسمى الألوهية وتلك الحالة توجب له أحوالا أربعة، وهي: القادرية، والعالمية، والحيية، والموجودية، والحال عندهم صفة لموجود، ولا توصف بالوجود ولا بالعدم، والباري قادر باعتبار تلك القادرية، وعالم باعتبار تلك العالمية، إلى غير ذلك، وبطلان تلك الدعوى ضروري، لأن الشئ إما موجود أو معدوم إذ لا واسطة بينهما.

وقالت الحكماء والمحققون من المتكلمين: إنه تعالى قادر لذاته، وعالم لذاته إلى غير ذلك من الصفات، وما يتصور من الزيادة من قولنا: ذات عالمة وقادرة فتلك الأمور اعتبارية زائدة في الذهن لا في الخارج،

---

(١) فرقة من المعتزلة وهم اصحاب ابي علي الجبائي وابنه ابي هاشم.

وهو الحق[1].

قلنا: إنه لو كان قادرا بقدرة، أو قادرية أو عالما بعلم أو عالمية إلى غير ذلك من الصفات، لزم افتقار الواجب في صفاته إلى غيره، لأن تلك المعاني والأحوال مغايرة لذاته قطعا، وكل مفتقر إلى غيره ممكن، فلو كانت صفاته زائدة على ذاته لكان ممكنا، هذا خلف.

---

(١) ويدل عليه ما عن أبي جعفرعليه السلام أنه قال في صفة القديم: إنه واحد صمد أحدي المعنى ليس بمعاني كثيرة مختلفة، قال: قلت: جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الّذي يبصر ويبصر بغير الّذي يسمع، قال: فقال: كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك، إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع، قال: قلت: يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه، قال، فقال: تعالى الله إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك. الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٠٨ - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ١٤٤.

الصفة السابعة: انه تعالى غني ليس بمحتاج

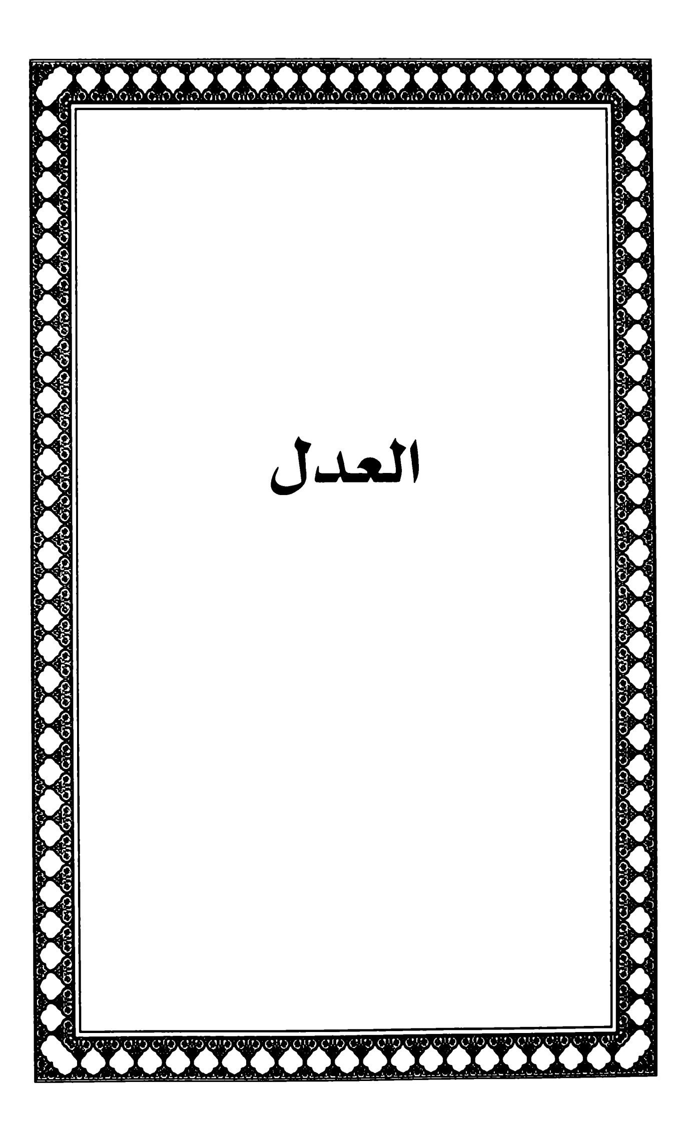
قال: (السابعة: أنه تعالى غني ليس بمحتاج، لأن وجوب وجوده دون غيره يقتضي استغناؤه عنه وافتقار غيره إليه).

أقول: من صفاته السلبية كونه ليس بمحتاج إلى غيره مطلقا لا في ذاته ولا في صفاته، وذلك لأن وجوب الوجود[1] الثابت له يقتضي استغناؤه مطلقا عن مجموع ما عداه.

فلو كان محتاجا لزم افتقاره فيكون ممكنا تعالى الله عنه، بل الباري جلت عظمته مستغن عن مجموع ما عداه، والكل رشحة من رشحات وجوده، وذرة من ذرات فيض جوده.

---

(١) لم يرد هذا المصطلح في الاخبار الشريفة بل ما ورد في الاخبار هو القدم والفلاسفة ومن تاثر بهم يضعون (وجوب الوجود) بديلا عن القدم فالقدم هو المستوجب لهذه الصفات لا الوجوب المزعوم.



العدل

الفصل الرابع:
في العدل

قال: (الفصل الرابع في العدل[1] وفيه مباحث:

الأول: العقل قاض بالضرورة أن من الأفعال ما هو حسن كرد الوديعة والاحسان والصدق النافع، وبعضها ما هو قبيح كالظلم والكذب الضار. ولهذا حكم بهما من نفى الشرائع كالملاحدة، وحكماء الهند ولأنهما لو انتفيا عقلا لانتفيا سمعا لانتفاء قبح الكذب حينئذ من الشارع).

أقول: لما فرغ من مباحث التوحيد شرع في مباحث العدل، والمراد

---

(١) العدل ضد الظلم قال في مختار الصحاح ص ٢٢٠ مادة (ع د ل) "العدل ضد الجور يقال عدل عليه في القضية من باب ضرب فهو عادل " والعدل بهذا المعنى لا يقول احد بنفيه عن الباري سبحانه فالنص القرآني قاض به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ ـ النساء:٤٠. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ ـ يونس: ٤٤.

نعم قد تشتبه مصاديقه فيقال بامر لازمه الجور فينسب الى الباري مع عدم الالتفات الى انه جور، وقد ورد في اخبارنا ما يفسر العدل بما يرجع الى موافقة نتائج البحث ←

بالعدل هو تنزيه الباري تعالى عن فعل القبيح، والاخلال بالواجب[١] ولما توقف ذلك على معرفة الحسن والقبح العقليين قدم البحث عنه.

واعلم أن الفعل ضروري التصور، وهو إما أن يكون له وصف زائد على حدوثه أو لا، والثاني كحركة الساهي والنائم، والأول إما أن ينفر العقل من ذلك الزائد أو لا، والأول هو القبيح، والثاني وهو الّذي لا ينفر العقل منه، إما أن يتساوى فعله وتركه وهو المباح، أو لا يتساوى وإن ترجح تركه فهو المكروه فإنّ ترجح فعله اما مع المنع من تركه وهو الواجب او مع جواز تركه وهو المندوب.

إذا تقرر هذا فاعلم أن الحسن والقبح يقالان على ثلاثة معان:

←

الكلامي فـ"عن الصادقعليه السلام، أنه سأله رجل فقال له: إن أساس الدين التوحيد والعدل، و علمه كثير، ولا بد لعاقل منه، فاذكر ما يسهل الوقوف عليه ويتهيأ حفظه، فقالعليه السلام: أما التوحيد فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك، وأما العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه" - التوحيد - الشيخ الصدوق ص ٩٦.

وهذا البحث صار من الابحاث الموسعة ولم يكن بهذه المثابة في الاخبار الشريفة لكن لما توسعت العلوم وكثر فيها التحليل والبيانات والاراء صار بحثا طويل الذيل و لا يخلو من نفع.

(١) قد عرفت ان العدل هو ضد الجور وما ذكره الشارح الفاضلرحمه الله من ان "المراد بالعدل هو تنزيه الباري تعالى عن فعل القبيح، والاخلال بالواجب" هو اما تفسير للاصطلاح او بيان لنتيجة العدل اللغوي فإنّ فعل القبيح والاخلال بالواجب من الظلم. وهذا جار على ما نفهمه نحن البشر من العدل والجور ولا ملزم للباري به فهو سبحانه ذو القدرة المطلقة ولا قدير فوقه ليلزمه نعم هو التزم لعباده بان لا يفعل القبيح و لا يترك ما فيه صلاحهم فعبروا عن الاول بفعل القبيح وعن الثاني بترك الواجب.

الأول: كون الشئ صفة كمال كقولنا: العلم حسن، أو صفة نقص كقولنا: الجهل قبيح.

الثاني: كون الشئ ملائما للطبع كالمستلذات، أو منافيا له كالآلام.

الثالث: كون الحسن ما يستحق على فعله المدح، عاجلا والثواب آجلا، والقبيح ما يستحق على فعله الذم عاجلا والعقاب آجلا.

ولا خلاف في كونهما عقليين بالاعتبارين الأولين.

وأما بالاعتبار الثالث فاختلف المتكلمون فيه فقالت الأشاعرة: ليس في العقل ما يدل على الحسن والقبح بهذا المعنى، بل الشرع فما حسنه فهو الحسن، وما قبحه فهو القبيح.

وقالت المعتزلة والإمامية: في العقل ما يدل على ذلك فالحسن حسن في نفسه، والقبيح قبيح في نفسه، سواء حكم الشارع بذلك أو لا، ونبهوا[1] على ذلك بوجوه:

الأول: إنا نعلم ضرورة حسن بعض الأفعال كالصدق النافع، والاتصاف، والاحسان، ورد الوديعة، وإنقاذ الهلكى، وأمثال ذلك، وقبح بعض كالكذب الضار، والظلم، والإساءة غير المستحقة، وأمثال ذلك من غير مخالجة شك فيه. ولذلك كان هذا الحكم مركوزا في جبلة الإنسان فإنا إذا قلنا لشخص: إن صدقت فلك دينار، وإن كذبت فلك دينار، واستوى الأمران بالنسبة إليه، فإنه بمجرد عقله يميل إلى الصدق.

الثاني: أنه لو كان مدرك الحسن والقبح هو الشرع لا غير، لزم أن لا

---

(١) قوله "ونبهوا" اشارة الى ان هذا الحكم اعني التحسين والتقبيح العقليين "ضروري فلا يقام عليه الدليل بل ينبه اليه غير الملتفت.

يتحققا بدونه، واللازم باطل فالملزوم مثله.

أما بيان اللزوم: فلامتناع تحقق المشروط بدون شرطه ضرورة.

وأما بيان بطلان اللازم فلأن من لا يعتقد الشرع ولا يحكم به كالملاحدة، وحكماء الهند يعتقدون حسن بعض الأفعال، وقبح بعض من غير توقف في ذلك فلو كان مما يعلم بالشرع لما حكم به هؤلاء.

الثالث: أنه لو انتفى الحسن والقبح العقليان انتفى الحسن و القبح الشرعيان، واللازم باطل اتفاقا فكذا الملزوم.

وبيان الملازمة: بانتفاء قبح الكذب حينئذ من الشارع إذ العقل لم يحكم بقبحه، وهو لم يحكم بقبح كذب نفسه، وإذا انتفى قبح الكذب منه انتفى الوثوق بحسن ما يخبرنا بحسنه، وقبح ما يخبرنا بقبحه.

قال: (الثاني: في أنا فاعلون بالاختيار والضرورة قاضية بذلك، للفرق الضروري بين سقوط الإنسان من سطح ونزوله منه على الدرج، وإلا لامتنع تكليفنا بشئ فلا عصيان، ولقبح أن يخلق الفعل فينا ثم يعذبنا عليه، وللسمع).

أقول: ذهب أبو الحسن الأشعري ومن تابعه إلى أن الأفعال كلها واقعة بقدرة الله تعالى وأنه لا فعل للعبد أصلا[1]، وقال بعض الأشعرية أن

---

(١) هذه المسألة من المسائل المهمة والقائل بالجبر يستند في ادلته العقلية عليها وقد انقسم المجبرة على اقوال ثلاثة ذكرها السيد المرتضى علم الهدى قال: "إن أول من حفظ عنه القول بخلق أفاعيل العباد جهم بن صفوان، فإنه زعم أن ما يكون في العبد من كفر وإيمان ومعصية فالله فاعله كما فعل لونه وسمعه وبصره وحياته، وأنه لا فعل للعبد في شئ من ذلك ولا صنع، والله تعالى صانعه، وأن لله تعالى أن يعذبه من ذلك على ما يشاء ويثيبه على ما يشاء. وحكى عنه علماء التوحيد أنه كان يقول مع ذلك: إن الله خلق في العبد قوة بها كان فعله، كما خلق له غذاء يكون به قوام بدنه، ولا يجعل العبد كيف تصرف حاله فاعلا لشئ على حقيقته، فاستبشع من قوله أهل العدل وأنكروه مع أشياء أخر حكيت عنه. ولما أحدث جهم القول بخلق أفعال العباد قبل ذلك ضرار بن عمرو بعد أن كان ضرار يقول بالعدل، فانتفت عنه المعتزلة وأطرحته، فخلط عند ذلك تخليطا كثيرا، وقال بمذاهب خالف فيها جميع أهل العلم وخرج عما كان عليه واصل بن عطاء عمرو بن عبيد بعد ما كان يعتقد فيهما من العلم وصحة الرأي لأنه كان في الأول على رأيهما بل صحبهما وأخذ عنهما. ثم تكلم الناس بعد ذلك في الاستطاعة، فيقال: إن أول من أظهر القول بأن الاستطاعة مع الفعل يوسف السمتي وأنه استزله إلى ذلك بعض الزنادقة فقبله عنه، ثم قال بذلك حسين النجار، وانتصر لهذا القول ووضع فيه الكتب فصارت مذاهب المجبرة بعد ذلك على ثلاثة أقاويل:

←

ذات الفعل من الله والعبد له الكسب[١]، وفسروا الكسب بأنه كون الفعل طاعة أو معصية[٢]، وقال بعضهم معناه أن العبد إذا صمم العزم خلق الله

←

(أحدها) - إن الله تعالى خلق فعل العبد وليس للعبد في ذلك فعل ولا صنع وإنما يضاف إليه أنه فعله كما يضاف إليه لونه وحياته، وهو قول جهم.

(والثاني) - إن الله تعالى خلق فعل العبد وأن العبد فعله باستطاعة في العبد متقدمة، وهو قول ضرار ومن وافقه.

(والثالث) - إن الله تعالى خلق فعل العبد وأن العبد فعله باستطاعة حدثت له في حال الفعل لا يجوز أن تتقدم الفعل، وهو قول النجار وبشر المريسي ومحمد ابن غوث، ويحيى بن كامل وغيرهم، من متكلمي المجبرة وعند هذا أكثر متكلمي المجبرة نحو الأشاعرة وغيرهم". - رسائل المرتضى - الشريف المرتضى ج ٢ ص ١٨١.

(١) "الكسب: لغة طلب الشيء والحصول عليه. وفي اصطلاح المتكلمين، حظ الانسان من الاختيار في ما يصدر عنه من اعمال، يراد بذلك ان الافعال الانسانية يخلقها الله بقدرة يحدثها. وليس للانسان ان يصرف هذه الافعال الى الخير او الشر ويسمى ايضا (اكتسابا) قال بهذا الامام الاشعري، وصار رأي اهل السنة من بعده وهو مذهب وسط بين القول بالجبر الّذي ينفي قدرة العبد على ايجاد الفعل او توجيهه نحو غاية معينة. وبين مذهب المعتزلة الّذي يعزو الى الانسان قدرة تخلق الفعل وتبين وجهته من الخير او الشر. راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٦٢"، راجع شرح المقاصد للتفتازاني منشورات الشريف الرضي الطبعة الاولى بتحقيق وتعليق الدكتور عبد الرحمن عميرة الجزء ٤ ص ٢٢٥ في الهامش.

(٢) بمعنى تحديد وجهة الفعل فمثلا الصلاة طاعة وشرب الخمر معصية والله تعالى يخلق الحركة والانسان يختار توجيهها اما نحو الصلاة فهي الطاعة واما نحو شرب الخمر فهو معصية.

تعالى الفعل عقيبه[١].

وقالت المعتزلة والزيدية والإمامية: إن الأفعال الصادرة من العبد وصفاتها، والكسب الّذي ذكروه، كلها واقعة بقدرة العبد واختياره وأنه ليس بمجبور على فعله بل له أن يفعل وله أن لا يفعل وهو الحق لوجوه:

الأول: أنا نجد تفرقة ضرورية بين صدور الفعل منا تابعا للقصد والداعي، كالنزول من السطح على الدرج، وبين صدور الفعل لا كذلك، كالسقوط منه إما مع القاهر أو مع الغفلة. فإنا نقدر على الترك في الأول دون الثاني، ولو كانت الأفعال ليست منا لكانت على وتيرة واحدة من غير فرق، لكن الفرق حاصل، فيكون منا، وهو المطلوب.

الثاني: لو لم يكن العبد موجدا لأفعاله لامتنع تكليفه وإلا لزم التكليف بما لا يطاق، وإنما قلنا ذلك لأنه حينئذ غير قادر على ما كلف به، فلو كلف لكان تكليفا بما لا يطاق، وهو باطل بالاجماع، وإذا لم يكن مكلفا لم يكن عاصيا بالمخالفة لكنه عاص بالاجماع.

الثالث: أنه لو لم يكن العبد قادرا موجدا لفعله لكان الله أظلم الظالمين تعالى الله عنه.

وبيان ذلك: أن الفعل القبيح إذا كان صادرا منه تعالى استحالت معاقبة العبد عليه لأنه لم يفعله، لكنه تعالى يعاقبه اتفاقا فيكون ظالما، تعالى الله عنه.

الرابع: الكتاب العزيز الّذي هو فرقان بين الحق والباطل مشحون بإضافة الفعل إلى العبد، وأنه واقع بمشيئته كقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ

---

(١) ولهم بيانات اخرى ولغرض الاطلاع عليها انظر شرح المقاصد ج ٤ ص ٢٢٥ و٢٢٦.

ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[١]، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[٢]، ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣]، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٤]، ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٥]، ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٦]، إلى غير ذلك، وكذلك آيات الوعد والوعيد والذم والمدح وهي أكثر من أن تحصى[٧].

---

(١) البقرة: ٧٩.

(٢) الانعام: ١١٦، يونس: ٦٦، النجم: ٢٣، ٢٨.

(٣) الانفال: ٥٣، الرعد: ١١.

(٤) النساء: ١٢٣.

(٥) الطور: ٢١.

(٦) السجدة: ١٧.

(٧) ١ـ عن بريد عمير بن معاوية الشامي قال: دخلت على علي بن موسى الرضا بمرو فقلت له: يا بن رسول الله ر وى لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: انه لا جبر ولا تفويض بل أمر بين امرين فما معناه؟ قال: من زعم ان الله يفعل افعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم ان الله عز وجل فوض أمر الخلق والرزق الى حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت له: يا بن رسول الله فما أمر بين امرين؟ فقال: وجود السبيل الى اتيان ما امروا به وترك ما نهوا عنه فقلت له: فهل لله عز وجل مشيه واراده في ذلك؟ فقال: فاما الطاعات فاراده الله ومشيته فيها الامر بها والرضا لها والمعاونة عليها وارادته ومشيته في المعاصي النهى عنها والسخط لها والخذلان عليها قلت: فهل لله فيها القضاء؟ قال: نعم من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلا ولله فيه قضاء قلت: ما معنى هذا القضاء؟ قال: الحكم عليهم بما يستحقونه على افعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والاخره عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ،١١٤

٢ـ والرضوي: والله عزوجل لا يكلف نفسا إلا وسعها ولا يكلفها فوق طاقتها، وأفعال ←

قال: (الثالث: في استحالة القبيح عليه تعالى، لأن له صارفا عنه وهو العلم بالقبح، ولا داعي له إليه، لأنه أما داعي الحاجة الممتنعة عليه، أو الحكمة وهو منتف هنا، ولأنه لو جاز صدوره عنه لامتنع إثبات النبوات).

أقول: يستحيل أن يكون الباري تعالى فاعلا للقبيح، وهو مذهب

←

العباد مخلوقة خلق تقدير، لا خلق تكوين، والله خالق كل شئ، ولا يقول بالجبر ولا بالتفويض ولا يأخذ الله عزوجل البرئ بالسقيم. - الخصال- الشيخ الصدوق ص ،٦٠٨

٣ـ عن جعفر بن محمدعليه السلام قال فيما وصف له من شرائع الدين: إن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ولا يكلفها فوق طاقتها، وأفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كل شئ، ولا نقول بالجبر، ولا بالتفويض، ولا يأخذ الله عزوجل البرئ بالسقيم ولا يعذب الله عزوجل الاطفال بذنوب الآباء، فإنه قال في محكم كتابه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقال عزوجل: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ولله عزوجل أن يعفو ويتفضل، وليس له عزوجل أن يظلم، ولا يفرض الله عزوجل على عباده طاعة من يعلم أنه يغويهم ويضلهم، ولا يختار لرسالته ولا يصطفي من عباده من يعلم أنه يكفر به ويعبد الشيطان دونه، ولا يتخذ على خلقه حجة إلا معصوما. والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة، وقد أخرجته بتمامه في كتاب الخصال. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ،٤٠٦

٤ـ عن أبي بصير، عن أبي عبد اللهعليه السلام أنه سئل عن المعرفة أهي مكتسبة؟ فقال: لا، فقيل له: فمن صنع الله عزوجل ومن عطائه هي؟ قال: نعم، وليس للعباد فيها صنع، ولهم اكتساب الاعمال، وقالعليه السلام: إن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لاخلق تكوين. ومعنى ذلك أن الله تبارك وتعالى لم يزل عالما بمقاديرها قبل كونها. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٤١٦.

المعتزلة، وعند الأشاعرة هو فاعل الكل حسنا كان أو قبيحا، والدليل على ما قلناه وجهان:

الأول: أن الصارف عنه موجود، والداعي إليه معدوم، وكلما كان كذلك إمتنع الفعل ضرورة، أما وجود الصارف فهو القبح والله تعالى عالم به، وأما عدم الداعي فلأنه إما داعي الحاجة إليه وهو عليه محال لأنه غير محتاج، وأما داعي الحكمة الموجودة فيه وهو محال لأن القبيح لا حكمة فيه.

الثاني: أنه لو جاز عليه القبيح لامتنع إثبات النبوات، واللازم باطل إجماعا فالملزوم مثله.

بيان الملازمة أنه حينئذ لا يقبح منه تصديق الكاذب ومع ذلك لا يمكن الجزم بصحة النبوة وهو ظاهر.

قال: (فحينئذ يستحيل عليه إرادة القبيح لأنها قبيحة).

أقول: ذهبت الأشاعرة إلى أنه تعالى مريد لمجموع الكائنات حسنة كانت أو قبيحة، شرا كانت أو خيرا، إيمانا كان أو كفرا، لأنه موجد للكل فهو مريد له.

وذهبت المعتزلة إلى استحالة إرادته للقبيح والكفر وهو الحق، لأن إرادة القبيح أيضا قبيحة، لأنا نعلم ضرورة أن العقلاء كما يذمون فاعل القبيح فكذا مريده والأمر به[١].

فقول المصنف (فحينئذ) أتى بفاء النتيجة أي يلزم من امتناع فعل القبيح امتناع إرادته.

---

(١) قد عرفت ان ارادة الباري هي فعله وايجاده، فما اوجده فهو يريده، اما الايمان والكفر فهما من فعل العبد فلا يقال ان الباري ارادهما ويستوي في ذلك الحسن (الايمان) و القبيح (الكفر) اذ ان الملاك هو كونهما فعل الانسان لا فعل الله تعالى، نعم اذا اخذت الارادة بمعنى اخر كالاقدام على الفعل والرغبة فيه وحبه (مع تنزيه الباري عن صفات الحوادث) فالله تعالى يريد الايمان بمعنى يحب ان يؤمن العبد ويكره الكفر ويريد الحسن ولا يريد القبيح.

قال: (الرابع: في أنه تعالى يفعل لغرض لدلالة القرآن عليه، ولاستلزام نفيه العبث وهو قبيح).

أقول: ذهبت الأشاعرة إلى أنه لا يفعل لغرض وإلا لكان ناقصا مستكملا بذلك الغرض، وقالت المعتزلة إن أفعال الله معللة بالأغراض وإلا لكان عابثا تعالى الله عنه، وهو مذهب أصحابنا الإمامية وهو الحق لوجهين: نقلي، وعقلي:

أما النقلي: فدلالة القرآن عليه ظاهرة كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[1]،﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3].

وأما العقلي: فهو أنه لولا ذلك لزم أن يكون عابثا، واللازم باطل فالملزوم مثله.

أما بيان اللزوم فظاهر، وأما بطلان اللازم فلأن العبث قبيح والقبيح لا يتعاطاه الحكيم[4].

---

(١) المؤمنون: ١١٥.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) ص: ٢٧.

(٤) ذكر العلامة الحلي‌ﷺ وجهين اخرين بعد الوجه المذكور هنا، فقال في الرسالة السعدية ص ٦٢: "الثاني: أنه يلزم منه الظلم. لأنه إذا كلف العبد لا لغرض الافادة، وألزمه مشاق التكليف لا لمنفعة في الدنيا، ولا في الآخرة. كان ذالك محض الظلم، وهو تعالى منزه عن ذالك.

←

وأما قولهم: لو كان فاعلا لغرض لكان مستكملا بذلك الغرض، فإنما يلزم الاستكمال أن لو كان الغرض عائدا إليه لكنه ليس كذلك، بل هو عائد إما إلى منفعة العبد أو لاقتضاء نظام الوجود وذلك لا يلزم منه الاستكمال.

←

الثالث: أنه يلزم منه إبطال النبوة، وذالك موجب الكفر.

بيان ذالك: أن دليل النبوة مبني على مقدمة، وهي أن الله تعالى، خلق المعجز على يد مدعي الرسالة، لغرض التصديق، لأنه لو فعله لا لذالك، لم يكن دليلا على التصديق.

وتمثل المسلمون في ذالك: بمدعي رسالة ملك، وقال له أيها الملك: إن كنت صادقا في مقالتي فقم، ليعرف الناس صدق مقالتي، فقام ذالك الملك طلبا لتصديقه، وفعل ذالك عدة مرار، فإنّ الناس يجزمون بصدقه. ولو قام الملك في كل مرة، لغرض غير التصديق، كالملال من ذالك المكان، وإرادة قضاء الحاجة، وغير ذالك، لم يدل على صدقه. وصار بمنزلة ما لو ادعى شخص رسالة رب العالمين. وقال: يا الله، إن كنت صادقا، فاطلع الشمس غدا من المشرق. فطلعت على عادتها فيه، لم يكن دليلا على صدقه، حيث لم يفعله تعالى لغرض تصديقه، فإذا انتفى الغرض عندهم، استحال العلم بصدق مدعي النبوة.

واعلم. أن الأشاعرة التزموا بحكمين، أبطلوا بهما مقدمتي دليل النبوة معا.

الحكم الأول: إنهم جوزوا: وقوع القبيح من الله تعالى. فلم يمتنع حينئذ منه، إضلال الخلق، فلا يلزم صدق من صدقه الله تعالى، لجواز أن يصدق الكاذب. الثاني: أنهم قالوا: إن الله لا يفعل لغرض.

ودليل النبوة هكذا: إن الله تعالى فعل المعجز لأجل التصديق.

وكل من صدقة الله تعالى فهو صادق.

والمقدمة الثانية: تبطل بالحكم الأول. والمقدمة الثانية: تبطل بالحكم الثاني".

قال: (وليس الغرض الاضرار لقبحه بل النفع).

أقول: لما ثبت أن فعله تعالى معلل بالغرض، وأن الغرض عائد إلى غيره، فليس الغرض حينئذ إضرار ذلك الغير، لأن ذلك قبيح عند العقلاء كمن قدم إلى غيره طعاما مسموما يريد به قتله، فإذا لم يكن الغرض الإضرار تعين أن يكون النفع وهو المطلوب.

قال: (فلا بد من التكليف وهو بعث من يجب طاعته على ما فيه مشقة على جهة الابتداء بشرط الإعلام).

أقول: لما ثبت أن الغرض من فعله تعالى نفع العبد، ولا نفع حقيقي إلا الثواب لأن ما عداه إما دفع ضرر أو جلب نفع غير مستمر، فلا يحسن أن يكون ذلك غرضا لخلق العبد ثم الثواب يقبح الابتداء به كما يأتي.

فاقتضت الحكمة توسط التكليف، والتكليف لغة مأخوذ من الكلفة وهي المشقة، واصطلاحا ما ذكره المصنف رحمه الله، فالبعث على الشئ هو الحمل عليه، ومن تجب طاعته هو الله تعالى، فلذلك قال على جهة الابتداء لأن وجوب طاعة غير الله كالنبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام والوالد والسيد والمنعم تابع ومتفرع على طاعة الله تعالى.

وقوله على ما فيه مشقة، احتراز عما لا مشقة فيه، كالبعث على النكاح المستلذ وأكل المستلذات من الأطعمة.

وقوله "بشرط الإعلام" أي بشرط إعلام المكلف بما كلف به وهو من شرائط حسن التكليف.

وشرائط حسنه ثلاثة:

(الأولى): عائد إلى التكليف نفسه وهو أربعة:

الأول: انتفاء المفسدة فيه لأنه قبيح.

الثاني: تقدمه على وقت الفعل.

الثالث: إمكان متعلقه لأنه يقبح التكليف بالمستحيل.

الرابع: ثبوت صفة زائدة على حسنه إذ لا تكليف بالمباح.

(الثانية): عائد إلى المكلف وهو فاعل التكليف وهو أربعة:

الأول: علمه بصفات الفعل من كونه حسنا أو قبيحا.

الثاني: علمه بقدر ما يستحقه كل واحد من المكلفين من ثواب وعقاب.

الثالث: قدرته على إيصال الحق الى المستحق.

الرابع: كونه غير فاعل للقبيح.

(الثالثة): عائد إلى المكلف وهو محل التكليف وهو ثلاثة:

الأول: قدرته على الفعل لاستحالة تكليف ما لا يطاق كتكليف الأعمى بنقط المصحف والزمن بالطيران.

الثاني: علمه بما كلف به أو إمكان علمه به، فالجاهل المتمكن من العلم غير معذور.

الثالث: إمكان آلة الفعل.

ثم متعلق التكليف إما علم، أو ظن، أو عمل، أما العلم فإما عقلي، كالعلم بالله وصفاته وعدله والنبوة والإمامة، أو سمعي كالشرعيات، وأما الظن فكما في جهة القبلة، وأما العمل فكالعبادات.

قال: (وإلا لكان مغريا بالقبيح حيث خلق الشهوات والميل إلى القبيح والنفور عن الحسن فلا بد من زاجر وهو التكليف).

أقول: هذا إشارة إلى وجوب التكليف في الحكمة، وهو مذهب المعتزلة وهو الحق خلافا للأشعرية فإنهم لم يوجبوا على الله تعالى شيئا لا تكليفا ولا غيره.

والدليل على ما قلناه أنه لولا ذلك لكان الله فاعلا للقبيح.

وبيان ذلك: أنه خلق في العبد الشهوات والميل إلى القبائح والنفرة والتأبي عن الحسن، فلو لم يقرر عبده ولم يكلفه بوجوب الواجب وقبح القبيح ويعده ويتوعده لكان الله تعالى مغريا له بالقبيح، والإغراء بالقبيح قبيح.

قال: (والعلم غير كاف لاستسهال الذم في قضاء الوطر).

أقول: هذا جواب عن سؤال مقدر، تقدير السؤال أنه لم لا يكون العلم باستحقاق الذم على القبيح زاجرا عنه، والعلم باستحقاق المدح على الحسن داعيا إليه وحينئذ لا حاجة إلى التكليف لحصول الغرض بدونه.

أجاب المصنف بأن العلم غير كاف لأنه كثيرا ما يستسهل الذم على القبيح مع قضاء الوطر منه، خاصة مع حصول الدواعي الحسية الّتي هي في الأكثر تكون قاهرة للدواعي العقلية.

قال: (وجهة حسنه التعريض للثواب أعني النفع المستحق المقارن للتعظيم والاجلال الّذي يستحيل الابتداء به).

أقول: هذا أيضا جواب عن سؤال مقدر، تقدير السؤال أن جهة حسن التكليف، إما حصول العقاب وهو باطل قطعا، أو حصول الثواب، وهو أيضا باطل لوجهين:

الأول: أن الكافر الّذي يموت على كفره مكلف مع عدم حصول الثواب له.

الثاني: أن الثواب مقدور لله تعالى ابتدأ فلا فائدة في توسط التكليف.

أجاب عنه، بأن جهة حسنه هو التعريض للثواب لا حصول الثواب، والتعريض عام بالنسبة إلى المؤمن والكافر، وكون الثواب مقدورا لله ابتداء مسلم، لكن يستحيل الابتداء به من غير توسط التكليف، لأنه مشتمل على التعظيم، وتعظيم من لا يستحق التعظيم قبيح عقلا.

وقول المصنف في تعريف الثواب، أنه النفع المستحق المقارن للتعظيم، فالنفع يشتمل الثواب والتفضل والعوض، فبقيد المستحق خرج التفضل، وبقيد المقارن للتعظيم خرج العوض.

قال: (الخامس: في أنه تعالى يجب عليه اللطف "وهو ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية، ولا حظ له في التمكين، ولا يبلغ الالجاء"[(١)]، لتوقف غرض المكلف عليه فإنّ المريد للفعل من غيره إذا علم أنه لا يفعله إلا بفعل يفعله المريد من غير مشقة لو لم يفعله لكان ناقضا لغرضه وهو قبيح عقلا).

أقول: ما يتوقف عليه إيقاع الطاعة وارتفاع المعصية تارة يكون

---

(١) من المسائل المعروفة الّتي بنوا عليها وجوب بعثة الانبياء عليهم السلام ونصب الاوصياء عليهم السلام والعصمة لهم وغير ذلك حتى ان شيخ الطائفة الطوسي قدس سره جعل اللطف ملاكا لحجية الاجماع كما هو معروف، ولبيان القاعدة و البحث فيها ننبه الى امور:

الامر الاول: تعريف اللطف على ماذكره الاعلام ومنهم الماتن العلامة: "وهو ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعده عن المعصية، ولا حظ له في التمكين، ولا يبلغ الالجاء" واستدلوا على وجوبه بادلة مختلفة منها ـ وهو اشهرها ـ دليل نقض الغرض وهو ما ذكره الماتن العلامة وقرره الشارح الفاضل قدس سرهما.

الامر الثاني: الدليل الّذي ساقوه غير تام في نفسه، وذلك لامور:

الاول: لان مبنى هذا الدليل على ان الغرض من تكليف العباد هو ان ياتمروا بالاوامر وينتهوا عن الزواجر، والحق ان الغرض هو اقامة الحجة على العباد ليهلك من هلك عن بينة وليحيى من حيي عن بينة.

الثاني: ان اللطف المذكور انما يتم في من يرجى منه القبول اما في مثل الناس مع الباري سبحانه فقد حكى لنا في الكثير من آي القران ان كثيرا من الناس لايؤمنون عنادا للحق، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ...﴾ (البقرة: ١٤٥).

وغير ذلك وللمزيد انظر صراط الحق ج٢ ص ١٦٣.

←

التوقف عليه لازما وبدونه لا يقع الفعل، وذلك القدرة والآلة، وتارة لا يكون كذلك بل يكون المكلف باعتبار المتوقف عليه أدنى وأقرب إلى فعل الطاعة وارتفاع المعصية وذلك هو اللطف.

فقوله: "ولا حظ له في التمكين" إشارة إلى القسم الأول كالقدرة

→

تنبيه: ذهب جمع من الاعلام الى عدم تمامية هذه القاعدة، منهم:

١ـ السيد الخوئي📿 قال: "فإنّ الاجماع المدعى في كلام الشيخ الطوسي مبني على كشف رأي المعصوم من اتفاق علماء عصر واحد بقاعدة اللطف وهي غير تامة عندنا على ما ستعرفه قريبا ان شاء الله تعالى" - مصباح الأصول - تقرير بحث الخوئي للبهسودي ج ٢ ص ١٣٦.

ثم قال: "(الوجه الاول) - ما استند إليه الشيخ الطوسي من قاعدة اللطف، وهي انه يجب على المولى سبحانه وتعالى اللطف بعباده، بارشادهم الى ما يقربهم إليه تعالى من مناهج السعادة والصلاح. وتحذيرهم عما يبعدهم عنه تعالى من مساقط الهلكة والفساد. وهذا هو الوجه في ارسال الرسل و انزال الكتب ونصب الامام وهذه القاعدة تقتضي - عند اتفاق الامة على خلاف الواقع في حكم من الاحكام - أن يلقي الامام المنصوب من قبل الله تعالى الخلاف بينهم، فمن عدم الخلاف يستكشف موافقتهم لرأي الامام وفيه:

(اولا) - عدم تمامية القاعدة في نفسها، إذا لا يجب اللطف عليه تعالى بحيث يكون تركه قبيحا يستحيل صدوره منه سبحانه، بل كل ما يصدر منه تعالى مجرد فضل ورحمة على عباده. - مصباح الأصول - تقرير بحث الخوئي للبهسودي ج ٢ ص ١٣٨.

٢ـ الشيخ محمد اصف محسني(دام ظله) انظر صراط الحق.

٣ـ السيد مصطفى الخميني قال: "أن قاعدة اللطف ليست تامة، لا في باب النبوة، ولا في باب الإمامة" - تحريرات في الأصول - السيد مصطفى الخميني ج ٦ ص ٣٥٩.

فإنها ليست لطفا في الفعل بل شرطا في إمكانه.

وقوله: "ولا يبلغ الالجاء" لأنه لو بلغ الالجاء لكان منافيا للتكليف.

إذا تقرر هذا فاعلم:

أن اللطف تارة يكون من فعل الله، فيجب عليه.

وتارة يكون من فعل المكلف فيجب عليه تعالى إشعاره به، وإيجابه عليه.

وتارة يكون من فعل غيرهما فيشترط في التكليف العلم به، وإيجاب الله ذلك الفعل على ذلك الغير وإثابته عليه.

وإنما قلنا بوجوب ذلك كله على الله، لأنه لولا ذلك لكان ناقضا لغرضه ونقض الغرض قبيح عقلا.

وبيان ذلك: أن المريد من غيره فعلا من الأفعال، ويعلم المريد أن المراد منه لا يفعل الفعل المطلوب إلا مع فعل يفعله المريد مع المراد منه، من نوع ملاطفة أو مكاتبة، أو إرسال إليه، أو السعي إليه، وأمثال ذلك من غير مشقة عليه في ذلك، فلو لم يفعل ذلك مع تصميم إرادته لعده العقلاء ناقضا لغرضه، وذموه على ذلك.

وكذا القول في حق الباري تعالى مع إرادة إيقاع الطاعة، وارتفاع المعصية، لو لم يفعل ما يتوقفان عليه لكان ناقضا لغرضه، ونقض الغرض قبيح تعالى الله عنه.

قال: (السادس: في أنه تعالى يجب عليه فعل عوض الآلام الصادرة عنه ومعنى العوض هو النفع المستحق الخالي من التعظيم والاجلال، وإلا لكان ظالما تعالى الله عن ذلك ويجب زيادته على الألم وإلا لكان عبثا).

أقول: الألم الحاصل للحيوان إما أن يعلم فيه وجه من وجوه القبح، فذلك يصدر عنا خاصة، أو لا يعلم فيه ذلك فيكون حسنا، وقد ذكر لحسن الألم وجوه:

الأول: كونه مستحقا.

الثاني: كونه مشتملا على النفع الزائد العائد إلى المتألم.

الثالث: كونه مشتملا على دفع الضرر الزائد عنه.

الرابع: كونه بمجرى العادة.

الخامس: كونه مشتملا على وجه الدفع، وذلك الحسن قد يكون صادرا عنه تعالى، وقد يكون صادرا عنا، فأما ما كان صادرا عنه تعالى على وجه النفع فيجب فيه أمران:

أحدهما: العوض عنه، وإلا لكان ظالما تعالى الله عنه، ويجب أن يكون زائدا على الألم إلى حد الرضا عند كل عاقل، لأنه يقبح في الشاهد إيلام شخص لتعويضه عوض ألمه من غير زيادة لاشتماله على العبثية.

وثانيهما: اشتماله على اللطفية، إما للمتألم أو لغيره ليخرج من العبث، وأما ما كان صادرا عنا مما فيه وجه من وجوه القبح، فيجب على الله الانتصاف للمتألم من المؤلم لعدله، ولدلالة السمع عليه، ويكون العوض هنا مساويا للألم وإلا لكان ظالما.

وهنا فوائد:

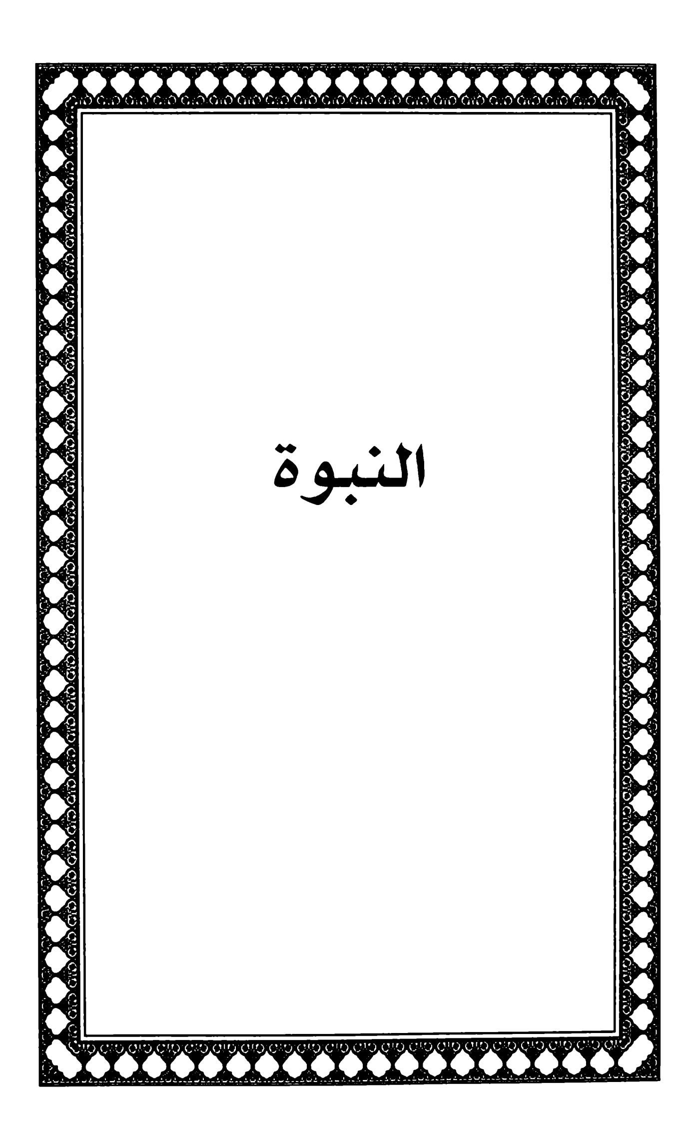
الأولى: العوض هو النفع المستحق الخالي من تعظيم وإجلال، فبقيد المستحق خرج التفضل، وبقيد الخلو عن التعظيم خرج الثواب.

الثانية: لا يجب دوام العوض لأنه يحسن في الشاهد ركوب الأهوال الخطيرة ومكابدة المشاق العظيمة لنفع منقطع قليل.

الثالثة: العوض لا يجب حصوله في الدنيا، لجواز أن يعلم الله تعالى المصلحة في تأخيره بل قد يكون حاصلا في الدنيا وقد لا يكون.

الرابعة: الّذي يصل إليه عوض ألمه في الآخرة، إما أن يكون من أهل الثواب، أو من أهل العقاب، فإنّ كان من أهل الثواب فيكفيه إيصال عوضه إليه بأن يفرقها الله تعالى على الأوقات، أو يتفضل عليه بمثلها، وإن كان من أهل العقاب أسقط بها جزءا من عقابه بحيث لا يظهر له التخفيف بأن يفرق القدر على الأوقات.

الخامسة: الألم الصادر عنا، إما بأمره تعالى أو إباحته، والصادر عن غير العاقل كالعجماوات، وكذا ما يصدر عنه تعالى من تفويت المنفعة لمصلحة الغير وإنزال الغموم الحاصلة من غير فعل العبد يجب عوض كله على الله تعالى لعدله وكرمه.



النبوة

الفصل الخامس:
في النبوة

قال: (الفصل الخامس في النبوة[1]
النبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر).

أقول: لما فرغ من مباحث العدل أردف ذلك بمباحث النبوة،

---

(١) عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق الّذي سأله من أين أثبت الانبياء والرسل؟ قال: إنه لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيما متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه، ولا يلامسوه، فيباشرهم ويباشروه، ويحاجهم ويحاجوه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبرون عنه جل وعز، وهم الانبياء عليهم السلام وصفوته من خلقه، حكماء مؤدبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس - على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب - في شئ من أحوالهم مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة، ثم ثبت ذلك في كل دهر وزمان مما أتت به الرسل والانبياء من الدلائل والبراهين، لكيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته وجواز عدالته. الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٦٨.

لتفرعها عليه[١].

---

(١) ووجه تفرع النبوة على العدل هو ان اللطف حسن وكل حسن واجب على الله تعالى، وقد تقدم ان اللطف بالمعنى الّذي ذكره المتكلمون ومنهم المصنف لا يمكن المساعدة عليه وسبق ان قلنا بعدم تماميته فراجع.

ومن هنا لا بد من بيان الامر في النبوة بناءا على ماقلناه سابقا، فنقول: لا بد من بيان امور:

الامر الاول: ان الواجب هو بيان " جواز بعثة الانبياء "وعدم امتناع ذلك لا وجوب البعثة، وذلك لاننا نجد ان هناك من ادعى النبوة وايد بالمعاجز والدلالات فلا ينفع البحث في ان ما وقع هل هو واجب او لا، فانه على فرض عدم وجوبه فانه لا تندفع ضرورة النظر في الدعوى بعد ان تحققت الا بدعوى امتناع ذلك على الله تعالى، فإنّ الدليل ان قام على امتناع ان يبعث الله تعالى الرسل صح للناس ان لا ينظروا في دعواهم.

لذا يكون البحث في امكان البعثة وجوازها رادعا لاؤلئك وممهدا السبيل لدعوة الانبياء عليهم السلام.

الامر الثاني: ان ثمرة البحث في التحسين والتقبيح العقليين تظهر في ان تصديق الكاذب قبيح فتكون المعاجز الّتي هي دليل النبوة صحيحة الدلالة على المدعى، اذ يمتنع ان يؤيد البارئ من كذب في دعواه النبوة.

الامر الثالث: ان منشأ ضرورة وجود وسائط من البشر لتبليغ المعارف والاحكام امور:

١ـ ان البارئ ليس عابثا في خلق الخلق، فلا بد من غرض، ولا يمكن ان يعود الغرض الى الله تعالى استكمالا لنفسه سبحانه لانه غاية الغايات كمالا وجمالا، فتكون الغاية هي استكمال خلقه.

٢ـ ان الله تعالى حقيقة مجهولة لا تدرك بذاتها فيمتنع التواصل بينه وبين خلقه مباشرة فلا بد من واسطة وتحديد هذه الواسطة بيده وهو لحكمته حدد الوسائط من البشر لمعرفته باتمامهم الحجة له على خلقه وليس لمن بلغه البلاغ الالهي والحجج البينة ان يعترض بارادته نوعا خاصا من الرسل فالناس عبيد لا امراء والدين هو مشروع الله تعالى لنجاتهم في دنياهم واخراهم، نعم لنا ان نعرف عن علم ويقين بصدق الصادق ←

وعرف النبي: بأنه الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر.

فبقيد الإنسان يخرج الملك، وبقيد المخبر عن الله يخرج المخبر عن غيره، وبقيد عدم واسطة بشر يخرج الإمام والعالم، فإنهما مخبران عن الله تعالى بواسطة النبيﷺ.

إذا تقرر هذا، فاعلم أن النبوة، مع حسنها، خلافا للبراهمة، واجبة في الحكمة خلافا للأشاعرة.

والدليل على ذلك، هو أنه لما كان المقصود من إيجاد الخلق هو المصلحة العائدة إليهم، كان إسعافهم بما فيه مصالحهم وردعهم عما فيه مفاسدهم واجبا في الحكمة، وذلك إما في أحوال معاشهم أو أحوال معادهم.

أما أحوال معاشهم: فهو أنه لما كانت الضرورة داعية في حفظ النوع الانساني إلى الاجتماع الّذي يحصل معه مقاومة كل واحد لصاحبه فيما يحتاج إليه، استلزم ذلك الاجتماع تجاذبا وتنازعا يحصلان من محبة كل واحد لنفسه وإرادة المنفعة لها دون غيرها، بحيث يفضي ذلك إلى فساد النوع واضمحلاله. فاقتضت الحكمة وجود عدل يفرض شرعا يجري بين النوع، بحيث ينقاد كل واحد إلى أمره وينتهي عند زجره.

ثم لو فوض ذلك الشرع إليهم لحصل ما كان أولا، إذ لكل واحد

→

من الانبياء لنتبعه وكذب الكاذب لنجتنبه، وهذا ما قامت به الرسل حيث اقاموا الحجج واوضحوا السبل ولم يطلبوا من الناس الايمان الاعمي بل ارادوا الايمان عن علم وهدى.

رأي يقتضيه عقله، وميل يوجبه طبعه، فلا بد حينئذ من شارع متميز بآيات ودلالات تدل على صدقه كي يشرع ذلك الشرع مبلغا له عن ربه، يعد فيه المطيع، ويتوعد العاصي، ليكون ذلك أدعى إلى انقيادهم لأمره ونهيه.

وأما في معادهم: فهو أنه لما كانت السعادة الأخروية لا تحصل إلا بكمال النفس بالمعارف الحقة والأعمال الصالحة، وكان التعلق بالأمور الدنيوية وانغمار العقل في الملابس البدنية مانعا من إدراك ذلك على الوجه الأتم والنهج الأصوب، أو يحصل إدراكه لكن مع مخالجة الشك ومعارضة الوهم.

فلا بد حينئذ من وجود شخص لم يحصل له ذلك التعلق المانع، بحيث يقرر لهم الدلائل ويوضحها، ويزيل الشبهات ويدفعها، ويعضد(١) ما اهتدت إليه عقولهم ويبين لهم ما لم يهتدوا إليه، ويذكرهم خالقهم ومعبودهم، ويقرر لهم العبادات والأعمال الصالحة ما هي وكيف هي، على وجه يوجب لهم الزلفى عند ربهم ويكررها عليهم ليستحفظوا التذكير بالتكرير، كي لا يستولي عليهم السهو والنسيان اللذان هما كالطبيعة الثانية للانسان.

وذلك الشخص المفتقر إليه في أحوال المعاش والمعاد هو النبي، والنبي واجب في الحكمة وهو المطلوب.

---

(١) تقدم ان العقل لا يهتدي الى المعارف الحقة الايمانية على ما هي عليه الا بتعريف الحجج عليهم السلام و لا دور للعقل الا كونه هو الة التعرف على الحق بعد عرضه من قبلهم عليهم السلام.

قال: (وفيه مباحث: الأول: في نبوة نبينا محمدﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب رسول اللهﷺ لأنه ظهر المعجزة[(١)] على يده

---

(١) يحسن هنا بيان امرين:

الامر الاول: ما هو الاعجاز؟ عرفه المحقق الطوسي في التجريد بـ:"ثبوت ما ليس بمعتاد او نفي ما هو معتاد، مع خرق العادة، و مطابقة الدعوى " كشف المراد صححه وقدم له وعلق عليه حسن حسن زاده املي ص ٤٧٤. وعلى هذا التعريف مدار كلماتهم فلا داعي لاستقصائها ومتابعة قيودها.

الامر الثاني: ظهور المعجز على يد مدعي المنصب الالهي دليل ظاهر على صحة مدعاه وارتباطه بمولاه، وفي المعجزة جانبان:

الاول الجانب العقلي، فإنّ الاعجاز يعني خرق نظام الطبيعة وهذا لا يمكن الا من خلال موجد الطبيعة وفق النظام الاكمل.

وليست المعجزة من نوع التصرف في المادة واكتشاف قوانينها الفيزيئية والكيميائية المتعارفة بل هو خروج عن طاقة البشر في ما هو المحصل منها، نعم ان الانتقال السريع في الارض او الصعود الى السماء مثلا يكون معجزا في ظرف لا يعرف الانسان اسرع من الدواب اما اليوم فلا، ولكن هذا في حد نفسه اعجاز لا من جهة سرعة الانتقال بل من حيث توفر المعجزة على تلك المعلومة وتطبيقها في عصر ابعد ما يكون عنها.

ثم لا بد من التنبيه الى ان فعل المعجز لم يكن بالوسائط المؤدية الى نفس النتيجة الّتي توصل اليها العلم في حراكه التطوري عبر القرون، ومن هنا يكون ـ مثلا ـ وصول الرسول الاعظمﷺ الى بيت المقدس، او وصول الامام امير المؤمنينعليه السلام الى سلمان في المدائن معجزا لكن لا من باب الوصول السريع وقطع المسافة ضمن القانون الطبيعي بل حصل هنا امران:

اولا: سرعة الانتقال، مع عدم وجود الة له انذاك بحيث ان العلم لا يعرف الى اليوم ←

كالقرآن، وانشقاق القمر، ونبوع الماء من بين اصابعه، واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، وتسبيح الحصى في كفه، وهي اكثر من ان تحصى[١]. وادعى النبوة، فيكون صادقا، والا لزم اغراء المكلفين بالقبيح فيكون محالا).

اقول: لما كانت المصالح تختلف بحسب اختلاف الازمان والاشخاص كالمريض الّذي تختلف احواله في كيفية المعالجة واستعمال

←

وسيلة الانتقال تلك.

ثانيا: نفس الحصول على المعلومة وان كان التوصل اليها بعد الف او الفين او عشرة الاف سنة ضمن الحركة العلمية المادية ممكنا لكن ذلك الحصول يكون خارجا عن النظام بينما الحصول اليوم او غدا يكون ضمن النظام.

الجانب الاخر: الجانب النفسي: فالمعجزة حالة مدركة بالحس والوجدان فيكون تاثيرها النفسي كبيرا جدا.

ولاجتماع الامرين العقلي والنفسي لا يبقى مجال لانكار المنكرين الا العناد والتمرد على المولى الجواد.

ومن هذا يظهر ان الاعجاز انما هو اثارة للعقول وليس سباتا لها.

واما ما دل على ان الايات والمعجزات ليست بيد النبي ولا باقتراح المشركين فانه صحيح لكنه تعالى لم يبعث نبيا دون معجزة بل معاجز والقران الكريم نص على ذلك بما لا يبقي شكا الا لمن في قلبه مرض.

(١) واقتصار بعض العلماء على ذكر بعض المعاجز لا يعني ان من ذكر غيرها فقد وضعها، وقد ثبت لنبينا الاعظم محمدﷺ من طرقنا وطرق المخالفين الكثير الطيب فلا مجال للتشكيك والله الموفق للصواب.

الادوية بحسب اختلاف مزاجه في تنزلاته في المرض بحيث يعالج في وقت بما يستحيل معالجته به آخر، كانت النبوة والشرائع مختلفين بحسب اختلف مصالح الخلق في ازمانهم واشخاصهم. وذلك هو السر في نسخ الشرائع بعضها ببعض الى ان انتهت النبوة والتشريع الى نبينا محمدﷺ الّذي اقتضت الحكمة كون نبوته وشريعته ناسختين لما تقدمهما، باقيتين ببقاء التكليف.

والدليل على صحة نبوته هو انه ادعى النبوة وظهر المعجز على يده، وكل من كان كذلك كان نبيا حقا، فيحتاج الى بيان امور ثلاثة:

الاول: انه ادعى النبوة.

الثاني: انه ظهر المعجز على يده.

الثالث: ان كل من كان كذلك فهو نبي حقا.

اما الاول: فهو ثابت اجماعا من الناس بحيث لم ينكره احد.

واما الثاني: فلأن المعجز هو: الخارق للعادة، المطابق للدعوى، المقرون بالتحدي، المتعذر على الخلق الاتيان بمثله.

اما اعتبار خرق العادة، اذا لولاه لما كان معجزا كطلوع الشمس من مشرقها.

واما مطابقة الدعوى فلدلالته على صدق مدعيه، اذ لو خالف ذلك كما في قضية مسيلمة[1] الكذاب، لما دل على الصدق.

---

(١) "مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين. وفى الامثال (أكذب من مسيلمة). ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة، في نجد. وتلقب في الجاهلية بالرحمن. ←

←

وعرف برحمان اليمامة. ولما ظهر الاسلام في غربي الجزيرة، وافتتح النبيﷺ مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرحال، خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد وذكروا للنبىﷺ مكان مسيلمة فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: ليس بشركم مكانا. ولما رجعوا إلى ديارهم كتب مسليمة إلى النبيﷺ: (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله. سلام عليك، أما بعد فانى قد أشركت في الامر معك، وإن لنا نصف الارض ولقريش نصف الارض، ولكن قريشا قوم يعتدون) فأجابه: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإنّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين) وذلك في أواخر سنة ١٠ هـ كما في سيرة ابن هشام (٣: ٧٤) وأكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهى بها القرآن. وتوفى النبيﷺ قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الامر لابي بكر، انتدب له أعظم قواده (خالد بن الوليد) على رأس جيش قوي، هاجم ديار بني حنيفة. وصمد هؤلاء، فكانت عدة من استشهد من المسلمين على قلتهم في ذلك الحين ألفا ومئتى رجل، منهم أربعمائة وخمسون صحابيا، (كما في الشذرات) وانتهت المعركة بظفر خالد ومقتل مسيلمة (سنة ١٢) ولا تزال إلى اليوم آثار قبور الشهداء، من الصحابة، ظاهرة في قرية (الجبيلة) حيث كانت الواقعة، وقد أكل السيل من أطرافها حتى إن الجالس في أسفل الوادي يرى على ارتفاع خمسة عشر مترا، تقريبا، داخل القبور ولحدها، ولا يزال في نجد وغيرها من ينتسب إلى بني حنيفة <الّذين> تفرقوا في أنحاء الجزيرة. وكان مسيلمة ضئيل الجسم، قالوا في وصفه: (كان رويجلا، أصيغر، أخينس!) كما في كتاب البدء والتاريخ. وقيل: اسمه (هارون) ومسيلمة لقبه (كما في تاريخ الخميس) ويقال: كان اسمه (مسلمة) وصغره المسلمون تحقيرا له، قال عمارة بن عقيل: (أكان مسلمة الكذاب قال لكم لن تدركوا المجد حتى تغضبوا مضرا) ولهشام الكلبى النسابة (كتاب مسيلمة) ". – الأعلام – خيرالدين الزركلي ج ٧ ص ٢٢٦.

واما المتعذر على الخلق، فلانه لو كان اكثري الوقوع لما دل ايضا على النبوة.

ولا شك في ظهور المعجزات على يد نبينا، وذلك معلوم بالتواتر الّذي يفيد العلم ضرورة.

فمن ذلك القرآن الكريم[١] الّذي تحدى به الخلق وطلب منهم

---

(١) يقول شيخ الطائفة الطوسي‌ﷺ: "والاستدلال بالقرآن لا يتم الا بعد بيان خمسة أشياء:

أحدها: ظهورهﷺ بمكة وادعاؤه النبوة.

وثانيها: تحديه العرب بهذا القرآن وادعاؤه أن الله أنزله عليه وخصه به.

وثالثها: أنه لم يعارضوه في وقت من الاوقات.

ورابعها: أنهم لم يعارضوه للعجز.

وخامسها أن هذا لتعذر خرق العادة.

فإذا ثبت ذلك دل على أن القرآن معجز، سواء كان معجزا خارقا للعادة بفصاحته فلذلك لم يعارضوه أو لان الله تعالى صرفهم عن معارضته ولولا الصرف لعارضوا، وأي الامرين ثبت ثبتت صحة نبوتهﷺ، لانه تعالى لا يصدق كذابا ولا يخرق العادة لبطل.

فأما الفصل الاول - وهو ظهورهﷺ بمكة وادعاؤه النبوة - فمعلوم ضرورة لا ينكره عاقل سمع الاخبار. وظهور هذا القرآن على يده أيضا معلوم مثل ذلك ضرورة، فالشك في أحدهما كالشك في الاخر.

وأما الّذي يدل على أنه تحدى بهذا القرآن، فهو أن معنى التحدي انهﷺ كان يدعي أن الله تعالى خصه بهذا القرآن وآياته وان جبريل كان يهبط عليه فيه، وذلك معلوم ضرورة ولا يمكن أحد دفعه. وهذا غاية التحدي في المعنى والبعث على اظهار معارضته ان كان مقدورا.

وأيضا فمعلوم أنهﷺ ادعى النبوة ودعا الناس كافة إلى الاقرار بنبوته والعمل بشرعه، ومن ادعى هذه المنزلة لا بد أن يحتج بأمر يجعله حجة على دعواه صحيحا كان أو

←

←

فاسدا، لانه لو عري دعواه من حجة أو شبهة لسارع الناس إلى تكذيبه وطالبوه بما يدل على صدق قوله، فلما لم يكن ذلك منهم دل على أنه احتج بهذا القرآن أو بما هذا القرآن أظهر منه.

وأيضا فآيات التحدي في القرآن ظاهرة، نحو قوله تعالى ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ (سورة هود: ١٣) وقوله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ (سورة البقرة: ٢٣) وفي موضع آخر ﴿بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (سورة يونس: ٣٨) وقوله ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (سورة الاسراء: ٨٨) وهذا صريح بالتحدي.

وأما الّذي يعلم به أنه لم يعارض فهو أنه لو كان عورض لوجب أن ينقل، ولو نقل لعلم كما علم نفس القرآن، فلما لم يعلم دل على أنها لم تكن. وانما قلنا ذلك لان كل أمر لو كان لوجب أن ينقل فإذا لم ينقل قطعنا على أنه لم يكن. وبهذا يعلم أنه ليس بين بغداد والبصرة بلد اكبر منهما وانه ليس في الشريعة صلاة سادسة ولا حج إلى بيت بخراسان، لانها لو كانت لوجب نقلها مع سلامة الاحوال. وانما قلنا كان يجب نقل المعارضة لو كانت لان الدواعي كانت تتوفر إلى نقلها، لانها لو كانت تكون هي الحجة دون القرآن، ونقل الحجة أولى من نقل الشبهة. على ان الّذي دعى إلى المعارضة داع إلى نقلها واظهارها، والداعي لهم إلى ذلك طلب التخليص مما ألزموه من ترك أديانهم ومفارقة عاداتهم وبطلان الرياسات الّتي ألفوها، ولذلك نقلوا كلام مسيلمة والاسود العنسي وطليحة مع ركاكته وسخافته وبعده عن دخول الشبهة فيه، وكيف لم ينقل ما هو حجة في نفسه إذ فيه شبهة قوية.

ولا يمكن أن يدعى فيه الخوف فيه من أنصاره واتباعه فمنع ذلك من معارضته، لان الخوف لا يقتضي انقطاع النقل بالكلية وانما يمنع من المظاهرة به والمجاهرة، فكان يجب أن ينقل على وجه الاستسرار كما نقل ما يدعيه من النص الجلي وغيره. على أن كثرة المسلمين وكثرة أنصاره كانوا بعد الهجرة، فهلا عارضوه قبل ذلك بمكة.

←

←

ثم لم لم يعارضوه ويظهروه في بلاد الكفر كالروم وبلاد الفرس والهند وغيرها، فإنّ الكفر فيها إلى يومنا هذا، وكيف لم يمنع الخوف من نقل هجائه وسبه ومنع نقل معارضته، والكلام في ذلك استوفيناه في شرح الجمل. ولا يمكن أن يدعى وقوع المعارضة من واحد أو اثنين وأنه قيل فلم يسمع وذلك انه إذا كانت المعارضة متعذرة على الفصحاء المعروفين والشعراء والخطباء المبرزين كفى ذلك في باب خرق العادة وثبوت كونه معجزا، اما بأن يكونوا مصروفين على مذهب من قال بالصرفة أو لان القرآن فقط فصاحته خرق العادة.

وأيهما كان وجب تساوي الكل فيه وان أحدا لم يتمكن من المعارضة، وذلك يمنع من التجويز الّذي سألوا عنه. وإذا ثبت أنهم لم يعارضوه فانما يعلم أنهم لم يعارضوه للعجز - لان كل فعل لم يقع مع توفر الدواعي لفاعله وشدة تداعيه عليه - قطعنا على أنه لم يفعل للتعذر، ولذلك قطعنا على أن الجواهر والالوان ليست في مقدورنا مع علمنا بتوفر الدواعي إلى فعلها وانتفاء الموانع المعقولة، فيخرج من هذا أن نقطع على أن جهة ارتفاع ذلك للتعذر لا غير.

لانا علمنا أن العرب تحدوا بالقرآن وتوفرت دواعيهم إلى معارضته ولم يكن هناك مانع فوجب القطع على أن ذلك للتعذر لا غير.

وكيف وقد علمناهم تكلفوا المشاق من بذل النفوس والاموال والحروب العظيمة الّتي أفنتهم طلبا لابطال أمره، فلو كانت المعارضة مباينة لما تكلفوا ذلك لان العاقل لا يترك الامر السهل الّذي يبلغ به الغرض ويفعل الامر الشاق الّذي لا يبلغ مع الغرض، ومتى فعل ذلك دل على أنه مختل العقل سفيه الرأي، والقوم لم يكونوا بهذه الصفة.

وليس لاحد أن يقول: انهم اعتقدوا أن الحرب انجع من المعارضة فلذلك عدلوا إليها. وذلك أن النبيﷺ لم يدع النبوة فيهم بالغلبة والقهر وانما ادعى معارضة مثل القرآن تتعذر عليهم وانه المختص بذلك ولا ينفع مع ذلك الحرب لو غلبوا فكيف وهم كانوا اكثر الاوقات مغلوبين مقتولين مغلوبين وكان يجب مع هذا أن يقدموا المعارضة فإنّ

←

→

أنجعت والا عدلوا إلى الحرب أو كان يجب أن يجمع بينهما فيكون أبلغ وأنجع، وفى عدولهم عنها دليل على أنهم كانوا عاجزين.

وليس لهم أيضا أن يدعوا أنهم التبس عليهم الحال فلم يعرفوا ما اراد بالتحدي من المعارضة بالمثلية، وذلك أنه لو كان كذلك لاستفهموه وقالوا له ما الّذي تريد بذلك، فكيف وهم كانوا عارفين في تحدي بعضهم بعضا بالشعر والخطب وكيف التبس عليهم الامر ههنا.

فإنّ قالوا: خافوا أن يلتبس الامر فيظن قوم أنه ليس مثله. قيل: هذا هو المطلوب لن يختلف العقلاء فيه وطائفة يقولون انه مثله وطائفة يقولون انه ليس مثله، فيحصل الخلاف وتقع الشبهة، وذلك أولى من ترك المعارضة الّتي تقوى معها الشبهة بالعجز. وليس لهم أن يقولوا: انه لم تتوفر دواعيهم إلى ذلك. وذلك أن هذا باطل، وكيف لم تتوفر دواعيهم وهم تكلفوا من المشاق العظيمة من القتال وانفاق الاموال ما هو معروف، والعاقل لا يتكلف ذلك فيما لا تتوفر دواعيه إلى ابطاله. فإنّ قالوا: انما لم يعارضوه لان في كلامهم ما هو مثله أو مقارنة. قلنا: هذا غير مسلم، ولو سلم لما يقع، لان التحدي انما وقع لعجزهم عن معارضته في المستقبل لا بأنه ليس في كلامهم مثله، ولو كان في كلامهم مثله لكان ترك المعارضة في المستقبل أبلغ وأعظم في باب العجز. فإنّ قيل: واطأه قوم من الفصحاء. قيل: هذا باطل، لانه كان ينبغي أن يعارضه من لم يواطئه، فانهم وان كانوا أدون منهم في الفصاحة كانوا يقدرون على ما يقاربه، لان التفات بين الفصحاء لا ينتهي إلى حد يخرق العادة. على أن الفصحاء المعروفين والبلغاء المشتهرين في وقته كلهم كانوا منحرفين عنه، كالاعشى الكبير الّذي هو في الطبقة الاولى ومن أشبهه مات على كفره، وكعب بن زهير أسلم في آخر الامر وهو في الطبقة الثانية وكان من أعدى الناس لهعليه‌السلام، ولبيد بن ربيعة والنابغة الجعدي من الطبقة الثالثة أسلما بعد زمان طويل، ومع هذا لم يحظيا في الاسلام بطائل. على أنه لو كان ينبغي أن يوافقوه على ذلك ويقولون له الفصحاء المبرزون واطأوك ووافقوك،

←

←

فإنّ الفصحاء في كل وقت لا يخفون على أهل الصناعة.

فإنّ قيل: لم لا يكون النبيﷺ أفصح العرب فلذلك تأتى منه القرآن وتعذر على غيره، أو تعمل ذلك في زمان طويل فلم يتمكنوا من معارضته في زمان قصير.

قيل: هذا لا يتوجه على من يقول بالصرفة، لان القائلون بها يقولون ان مثل ذلك كان في كلامهم وخطبهم وانما صرفوا عن معارضته في المستقبل، فلا معنى لكونه أفصح. ومن قال جهة الاعجاز الفصاحة يقول كونه أفصح لا يمنع من أن يقارنوه أو يدانوه، وذلك هو المطلوب المعتاد بينهم في المعارضة، فإنّ جعلوه أفصح وانه خرق العادة بفصاحته كفى ذلك لاهل الاعجاز. على أن كونه أفصح لا يمنع من مساواته ومقارنته في قليل من الكلام الّذي يتأتى به سورة قصيرة بذلك خرق العادة. ألا ترى أن المتقدمين من الشعراء وان كانوا أفصح من المتأخرين لا يمنع أن يقع منهم البيت والبيتان من مثل فصاحة أولئك. ثم لو كان الامر على ما قالوه لوافقوه على ذلك وقالوا له أنت أفصحنا فلذلك تأتى منك ما تعذر علينا، فيكون في ذلك ابطال أمره وان كان فيه اعتراف له بفضل لا يضرهم وانما يضرهم السكوت عنه.

وقولهم: انه تعمل. باطل، لانه كان يجب أن يتعملوا مثله وانما بقي ثلاثة وعشرين سنة بينهم يتحداهم وفي ذلك تكثير يمكن التعمل. وإذا ثبت بهذه الجملة أن القرآن معجز لم يضرنا أن لا نعلم من أي جهة كان معجزا، لانا إذا علمناه معجزا خارقا للعادة علمنا ثبوته ولو شككنا في جهة اعجازه لم يضرنا ذلك، غير أنا نومي إلى جملة من الكلام فيه: كان المرتضى علي بن الحسين الموسويﷺ يختار أن جهة اعجازه الصرفة، وهي أن الله تعالى سلب العرب العلوم الّتي كانت تتأتى منهم بها الفصاحة الّتي هي مثل القرآن متى راموا المعارضة، ولو لم يسلبهم ذلك لكان يتأتى منهم. وبذلك قال النظام وابو اسحاق النصيبي أخيرا. وقال قوم: جهة الاعجاز الفصاحة المفرطة الّتي خرقت العادة من غير اعتبار النظم. ومنهم من اعتبر النظم والاسلوب مع الفصاحة، وهو الاقوى. قال الفريقان: إذا ثبت أنه خارق للعادة بفصاحته دل على

←

→

نبوته، لانه ان كان فعل الله فهو دال على نبوته وان كان من فعل النبيﷺ لم يتمكن من ذلك الا بعلوم فيه خارق للعادة يدل على نبوته، فإذا قال انه من فعل الله دون فعلي قطعنا على أنه من فعل الله لثبوت صدقه. وقال قوم: هو معجز لاختصاصه بأسلوب مخصوص ليس في شئ من كلام العرب. وقال قوم: تأليف القرآن ونظمه مستحيل من العباد كاستحالة الجواهر والالوان. وقال قوم: كان معجزا لما فيه من العلم بالغائبات. وقال آخرون: كان معجزا لارتفاع الخلاف والتناقض فيه مع جريان العادة بأنه لا يخلو كلام طويل من ذلك.

وأقوى الاقوال عندي قول من قال انما كان معجزا خارقا للعادة لاختصاصه بالفصاحة المفرطة في هذا النظم المخصوص دون الفصاحة بانفرادها ودون النظم بانفراده ودون الصرفة، وان كنت نصرت في شرح الجمل القول بالصرفة على ما كان يذهب إليه المرتضى من حيث شرحت كتابه فلم يحسن خلاف مذهبه. والّذي يدل على ما قلناه واخترناه أن التحدي معروف بين العرب بعضهم بعضا ويعتبرون في التحدي معارضة الكلام بمثله في نظمه ووصفه لانهم لا يعارضون الخطب بالشعر ولا الشعر بالخطب والشعر لا يعارضه أيضا الا بما كان يوافقه في الوزن والروي والقافية فلا يعارضون الطويل بالرجز ولا الرجز بالكامل ولا السريع بالمتقارب، وانما يعارضون جميع اوصافه. فإذا كان كذلك فقد ثبت ان القرآن جمع الفصاحة المفرطة والنظم الّذي ليس في كلام العرب مثله، فإذا عجزوا عن معارضته فيجب أن يكون الاعتبار بهما. فأما الّذي يدل على اختصاصها بالفصاحة المفرطة فهو أن كل عاقل عرف شيئا من الفصاحة يعلم ذلك وانما في القرآن من الفصاحة ما يزيد على كل فصيح وكيف لا يكون كذلك وقد وجدنا الطبقة الاولة قد شهدوا بذلك وطربوا له كالوليد ابن المغيرة والاعشى الكبير وكعب بن زهير ولبيد بن ربيعه والنابغة الجعدي، ودخل كثير منهم في الاسلام ككعب والنابغة ولبيد، وهم الاعشى بالدخول في الاسلام فمنعه من ذلك أبو جهل وفزعه وقال انه يحرم عليك الاطيبين الزنا والخمر، فقال له: اما الزنا فلا

←

→

حاجة لي فيه لاني كبرت واما الخمر فلا صبر لي عنه وأنظر، فأتته المنية واخترم دون الاسلام. والوليد بن المغيرة تحير حين سمعه فقال: سمعت الشعر وليس بشعر والرجز وليس برجز والخطب وليس بخطب وليس له اختلاج الكهنة فقالوا له: أنت شيخنا فإذا قلت هذا ضعف قلوبنا، ففكر وقال قولوا هو سحر معاندة وحسدا للنبيﷺ فأنزل الله تعالى هذه الاية ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۞ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ إلى قوله ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾.

فمن دفع فصاحة القرآن لم يكن في حيز من يكلم.

وأما اختصاصه بالنظم معلوم ضرورة لانه مدرك مسموع وليس في شئ من كلام العرب ما يشبه نظمه من خطب ولا شعر على اختلاف انواعه وصفاته، فاجتماع الامرين منه لا يمكن دفعهما.

فإنّ قيل: لو كان القرآن خارقا للعادة بفصاحته لوجدنا الفرق بين كلام أفصح العرب وبينه كما وجدنا الفرق بين كلام شعراء المتقدمين وبين شعراء المحدثين الركيك وهما معتادان وكان ذلك أولى من حيث كان أحدهما معتادا والاخر خارقا للعادة.

وإذا لم نجد ذلك دل على أنه ليس بخارق للعادة بفصاحته.

قلنا: هذا السؤال انما يلزم من ادعى خرق العادة بفصاحته فقط دون من اعتبر الفصاحة والنظم وليس يمكن اجتماعهما في شئ من كلام العرب فيعلم كيفية الفصاحة والفرق بينهما.

فإنّ قيل: النظم مقدور لكل أحد وانما الفصاحة هي المعتبرة.

قلنا: أول ما نقول ان النظم أيضا يحتاج إلى علم مخصوص ولذلك تختلف الاحوال فيه، فيتأتى من بعضهم الخطب ولا يتأتى منه الشعر والاخرون يتأتى منهم الشعر ولا يتأتى منهم الخطب، ولا يكفي في النظم مجرد القدرة ولم نجدهم نظموا شيئا مثل هذا القرآن، فمن أين لنا أنه كان يتأتى منهم.

على أنه لو كان النظم مقدورا لم يمتنع أن يكونوا متى أرادوا الفصاحة المفرطة في

←

→

هذا النظم لم يتأت منهم وان تأتت منهم في الشعر والخطب. ألا ترى أن في الناس من يكون أخطب الناس وأبلغهم فيها فإذا نظم الشعر كان ركيكا، وكذلك من قال الشعر البليغ الّذي فيه الغاية لا يحسن أن يكتب كتابا فإذا تكلفه رك كلامه، ولذلك تفاضل الشعراء في أوزان الشعر: فمنهم من يقوى على الطويل دون الرجز، ومنهم من لا يتأتى منه غير الرجز ولو تكلف الطويل لرك كلامه.

والرجال المفرطون في الفصاحة معروفون كالعجاج ورؤبة وغيرهما وان لم يكن لهما قصيد، وان كان فلم يشبه الرجز ولا قاربه. وإذا ثبت ذلك فليس في وجود كثير من كلام العرب ما يدل على أنهم لو تكلفوه بهذا النظم لكان مثله، لما عدلوا عن المعارضة وتعذرت عليهم اما لفقد علمهم بالنظم وان كان فصيحا أو لعلمهم بأنهم لو تكلفوا ذلك لوقعوا دونه دل ذلك على أن القرآن خارق للعادة بمجموع الامرين. على أن اشتباه كثير من كلام العرب على الفصحاء لا يدل على أنه مثله، لانه قد يشتبه الشيئان على أصحاب الصنائع وان كان بينهما بون بعيد، كاللؤلئين الغاليين في الثمن والمشتبهين المنهرجين حتى انه لا يدخل الشبه بينهما ويتم الاغلاط، وان كان لا يشتبه عندهم لؤلؤة حقيرة مع مختلفة. ومن الناس من قال: ان المطبوعين على الفصاحة <الّذين> هم في الطبقة الاولى وجدوا الفرق بين فصيح كلام العرب وبين القرآن وانما كابروا في ذلك، وكل من يجري مجراهم فهو مثلهم. فأما من لم يبلغ تلك المنزلة فهو لا يعلم الفرق فربما قلد وأحسن الظن أو اعتقد اعتقادا ليس بعلم، فلا يمكن ادعاء العلم الضروري في ذلك، وعلم أنه لو كان وجه الاعجاز سلب العلوم لكانت العرب إذا سلبوا هذه العلوم خرجوا عن كمال العقل. وبهذا أجبنا من قال لم لا يجوز أن يكون من تأتى منه الفعل المحكم معتقدا أو ظانا دون أن يكون عالما.

بأن قلنا: ما لاجله تأتى الفعل المحكم هو أمر يلزم مع كمال العقل، فلا يخرج عنه الا باختلال عقله. والعلم بالفصاحة من هذا الباب، فلو سلبهم الله هذه العلوم لكانوا خرجوا من كمال العقل، ولو كان كذلك لظهر واشتهر وكان يكون أبلغ في باب

←

←
الاعجاز من غيره.
ولما لم يعلم كونهم كذلك وان العرب لم يتغير حالهم في حال من الاحوال دل ذلك على أنهم لم يسلبوا العلوم، وإذا لم يسلبوها وهم متمكنون من مثل هذا القرآن كان يجب أن يعارضوا، وقد بينا أن ذلك كان متعذرا منهم، فبطل هذا القول.
فإنّ قيل: هل لا جعل القرآن في غاية الفصاحة الّتي لا تشتبه على أحد ممن سمع.
قلنا: المصلحة معتبرة في ذلك، ولو لزم ذلك للزم أن يقال المعتبر هو الصرف لم لم يجعل القرآن من أرك الكلام وأقله فصاحة فكان يكون أبلغ في باب الاعجاز. وليس يلزم في المعجز أن يبلغ الغاية القصوى. ألا ترى أن الله تعالى لم يجب قريشا إلى جعل الصفا ذهبا والى احياء عبد المطلب ونقل جبال تهامة من مواضعها والى تفجير الارض لهم ينبوعا، لان المصلحة معتبرة مع كونها خارقة للعادة وليس تكون المعجزات على قدر الاماني والشهوات.
فإنّ قيل: لم لا يجوز ان يكون القرآن من فعل بعض الجن ألقوه إلى النبيﷺ ليضل به الخلق، يمكنهم أن يدعوا أن فصاحة الجن ليس فصاحة العرب ولا أنه ليس لهم علم بكيفية هذا النظم المخصوص، لانه لا طريق لكم إلى ذلك بل يكفي التجويز في هذا الباب، لان معه لا يمكن القطع على أنه من فعل الله تعالى. وأيضا فإنّ النبي يدعي أن ملكا نزل عليه بهذا القرآن، فلم لا يجوز أن يكون ذلك الملك كاذبا ولا يمكنهم ادعاء عصمة الملائكة، لان ذلك معلوم بالسمع الّذي لم يثبت بعد صحته، وعادة الملائكة أيضا في الفصاحة غير معلومة. قلنا: الجواب على هذا السؤال من وجوه:
أحدها - أنه لو طعن هذا السؤال في اعجاز القرآن لطعن في سائر المعجزات ولا يكون لنا طريق إلى العلم بصدق الصادق، لانا متى قلنا ان ما يختص القديم بالقدرة عليه متى فعله على وجه يخرق العادة يكون دالا وكان لقائل أن يقول: لم لا يكون في عادة الجن انه إذا قرب جسم من جسم ميت عاش، كما أجري العادة في الانس إذا قربنا الحجر المغناطيس إلى الحديد جذبه، ومتى جوزنا ذلك لم يكن في احياء الميت
←

→

على مدعي النبوة دليل على صدقه، لانه لا يأمن أن يكون بعض الجن نقل إليه ذلك الجسم واحياء الله تعالى ذلك لمكان عادتهم.

فإنّ قيل: احياء الله تعالى الميت عند تقريب الجسم بيننا وفي عادتنا خرق منه تعالى لعادتنا، فجرى مجرى تصديق الكذاب، وذلك لا يجوز عليه، وليس إذا جاز أن يفعل ذلك في عادة الجن بحيث لا نعلمه جاز أن يفعله في عادتنا، لان فعله في عادتهم لا وجه لقبحه وفعله في عادتنا فيه وجه قبح لانه استفساد.

وليس كذلك نقل الكلام، لان الجني إذا نقل الكلام الّذي لم تجر عادتنا بمثل فصاحته فنفس نقله خرق عادتنا وليس له تعالى في ذلك صنع، وإذا نقل الجسم المشار إليه فنفس نقله للجسم لم يخرق عادتنا، وانما الخارق لها احياء الميت عند تقريب الجسم، فالفرق بين الامرين واضح.

قيل: السؤال لا يلزم من وجهين، وهذا الانفصال ليس بصحيح: أحدهما - ان الجني إذا أحضر الجسم الّذي أجرى الله عادتهم باحياء الميت عنده فلا يخلو أن يحي الميت عنده أو لا يحييه، فإنّ أحياه فهذا تجويز كونه كاذبا وانه انما احياه لمكان عادتهم، وان لم يحيه كان في ذلك خرق عادة الجن بفعل المعجز خرق عادتهم في رفع الاحياء عند هذا الجسم الّذي كان يحييه عندهم بمجرى عادتهم، وفي ذلك تصديق الكذاب.

ولا جواب عن ذلك الا بأن يقال: انه استفساد يجب المنع منه كما نقوله في الجواب الاخر. والوجه الثاني - ان القرآن إذا كان خارقا للعادة بفصاحته فانما تأتى من الجني ذلك بأن يجدد الله تعالى له العلوم بالفصاحة حالا بعد حال، لان العلوم لا تبقى، فيصير خلق هذه العلوم هو الخارق للعادة، وجرى ذلك مجرى ما يقول صاحب الصرفة في مواضع ان ثبت لو ادعى النبوة وجعل معجزه نقل الجبال أو طفر البحار لكان خلق القدر الّتي يتمكن من ذلك هو الخارق للعادة، وهو المعجز لانفس النقل، لان فعلنا لا يكون عنده دليلا على التصديق، وانما يدل على التصديق ما يختص

←

→

تعالى بالقدرة عليه.

ومتى رجع إلى أن قال: القرآن لم يخرق العادة بفصاحته. سقطت معارضته بسؤال الجن وصار الكلام في هل هو خرق العادة أو ليس بخارق لها، وقد مضى الكلام على صحة ذلك. والجواب الثاني عن سؤال الجن انه لو كان القرآن من فعل الجن لمنع الله تعالى منه، لان ذلك مفسدة ولا يجوز التمكين من ذلك على الله تعالى.

فإنّ قيل: انما لا يجوز عليه تعالى أن يفعل نفس الاستفساد، وأما المنع من الاستفساد فلا يجب، ولو وجب ذلك لوجب أن يمنع تعالى كل شبهة من الممخرقين والمشعبذين من كل ما يدخل فيه الشبهة على الخلق، فالمنع من الشبهات وفعل القبائح مع التكليف لا يجب، وليس إذا لم يجز عليه تعالى الاستفساد لم يجز عليه التمكين منه، كما إذا لم يجز عليه القبيح لم يجب عليه المنع منه، وكان يلزم أن يمنع الله تعالى زرداشت وماني والحلاج وغيرهم من الممخرقين <الّذين> فسد بهم خلق من الناس ولولا هم لما فسدوا ان وجب المنع من الاستفساد.

قلنا: الجواب عن ذلك من وجهين: أحدهما: أن تمكين هؤلاء المذكورين من الفساد ليس باستفساد لانه تمكين وتعريض الثواب أعظم من الثواب الّذي عرضوا له مع عدم هؤلاء، فصار خلق هؤلاء وتمكينهم من الشبهات من تكليف أشق وتعريضا لثواب أعظم، فخرج بذلك من الاستفساد، لان حد الاستفساد ما يقع عنده الفساد ولولاه لم يقع من غير أن يكون تمكينا، وهذا تمكين فخرج من الاستفساد. وليس لاحد أن يقول: تمكين الجن من القاء القرآن الينا تمكين وليس باستفساد. لانا بينا أن ذلك يسد علينا الباب الموصل إلى الفرق بين الصادق والكاذب، وذلك باطل بالاتفاق.

والثاني: ان كل من فسد بدعاء ابليس وهؤلاء الممخرقين كان يفسد وان لم يكن ابليس ولا أحد من هؤلاء، فلم يكن ذلك استفساد، كما يقول فيمن بطل عند متشابه القرآن وخلق ابليس وغيره. ولا يمكن ادعاء العلم الضروري في خلافه لان ذلك غير معلوم، ولا يمكن مثل ذلك في القاء الجن القرآن، لما بيناه من أن ذلك يؤدي إلى سد

←

←

الطريق في الفرق بين الصادق والكاذب. وهذا القدر كاف ههنا، فإنّ استيفاءه يطول به الكتاب، وقد أجبت عن سؤال الجن بأن قلت: بأن ذلك يؤدي إلى أن انشقاق القمر وطلوع الشمس من مغربها وقلع الجبال من أماكنها وطفر البحار العظام وفلق البحر لا يكون شئ من ذلك معجزا، لان جنسه داخل تحت مقدور القدر، ولا يمتنع أن يكون جميع ذلك من فعل بعض الجن. ومن ارتكب فقال جميع ذلك لا يدل على النبوة، كفاه ما فيه من الشناعة.

ومتى قالوا: حمل الاجسام العظيمة وقلع الجبال تحتاج إلى أن يكون من حمل ذلك على بنية كثيفة تحتمل القدر الكثير، لان الاجسام المتخلخلة لا يحملها مثل قدر الفيل ولا تحمل النملة من القدر ما تحمل الجبال، ولو حصل من له بنية كثيفة لوجب أن يرى ولو رأي لعلم أنه ليس من فعل الله، فلا يكون فيه دلالة.

قيل: هذا أصل فيه نزاع، ففي الناس من قال يكفي في احتمال المحل القدرة أن يكون محل الحياة فقط، ومتى حصلت بنية الحياة جاز أن يوجد في البنية القدرة العظيمة، وليس ذلك بأبعد من جواز حلول الاعتمادات بقدر ما يوازى به الجبال في الذرة، فإنّ استبعاد أحدهما كاستبعاد الاخر، ولذلك تقلع الريح مع تخلخلها الاجسام الثقال وتقصم الاشجار الصلبة، وقد أهلك الله تعالى الامم بالريح. فإذا جاز ذلك في الاعتماد لم لا يجوز مثله في القدر، وإذا كان ذلك جائزا فسؤال الجن متوجه في هذه الاشياء، ولا مخلص من ذلك الا بأن يقال: ان ذلك استفساد والله تعالى لا يمكن منه. فأما من قال: ان القرآن جنسه ليس بمقدور كالجواهر والالوان. فقوله باطل، لان جنس القرآن الحروف والاصوات، وذلك من مقدورنا، والكلام يكون كلاما بأن يوجد بعضها في أثر بعض، فالجنس مقدور وانما يتعذر لفقد العلم في بعض المواضع.

فأما من قال: مجرد النظم هو المعجز. فقوله باطل، لانا لو فرضنا وقوع مثل هذا الاسلوب - وهو في غاية السخف والركاكة - لما كان ذلك معارضة عند أحد من العقلاء. والسبق إلى الاسلوب أيضا لا يكون معجزا كما لا يكون عند أحد من

←

الاتيان بمثله فلم يقدروا على ذلك وعجزت عنه مصاقع الخطباء من العرب العرباء، حتى دعاهم عجزهم الى محاربته ومسايفته الّذي حصل به ذهاب نفوسهم واموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم مع انهم كانوا اقدر على دفع ذلك، لتمكنهم من مفردات الالفاظ وتركيبها، ضمين انهم اهل الفصاحة والبلاغة والكلام والخطب والمحاورات والاجوبة. فعدولهم عن ذلك الى المحاربة دليل على عجزهم، اذ العاقل لا يختار الاصعب من انجاع الاسهل الا لعجزه عنه.

ومن ذلك: انشقاق القمر(١)،

→

العقلاء. والسبق إلى الاسلوب أيضا لا يكون معجزا كما لا يكون السبق إلى نظم الشعر وقول الخطب وغير ذلك من العلوم معجزا.

ومن قال: جهة اعجازه ما تضمنه من الاخبار بالغايبات. ليس بصحيح، لان التحدي وقع بسورة غير معينة، واكثر السور وخاصة القصار ليس فيها أخبار بالغايبات، فلو كان ذلك مراعى لعارضوا بما ليس فيها ذلك وكانوا معارضين وذلك باطل. ومن قال: جهة الاعجاز ارتفاع الاختلاف والتناقض. فبعيد، لان لقائل أن يقول: ان العاقل إذا تحفظ وتيقظ حتى لا يقع في كلامه تناقض لم يقع، فمن أين انه خارق للعادة. ولو جعل ذلك من فضائل القرآن ومراتبه لكان جيداً". - الاقتصاد- الشيخ الطوسي ص ١٦٦.

(١) يونس قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: اجتمعوا اربعة عشر رجلا اصحاب العقبة ليلة اربعة عشر من ذي الحجة، فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله: ما من نبي إلا وله آية فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله ما الّذي تريدون؟ فقالوا ان يكن لك عند ربك قدر فامر القمر أن ينقطع قطعتين، فهبط جبرئيل عليه السلام وقال يا محمد ان الله يقرؤك السلام ويقول لك: إني قد امرت كل شئ بطاعتك، فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكرا لله وسجد شيعتنا، رفع النبي صلى الله عليه وآله رأسه ورفعوا رؤسهم، ثم قالوا

←

ونبوع الماء من بين اصابعه[١]، واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل[٢]،

←

يعود كما كان فعاد كما كان، ثم قالوا ينشق رأسه فأمره فانشق فسجدﷺ شكرا لله وسجد شيعتنا، فقالوا يا محمد حين تقدم سفارنا من الشام واليمن فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة فإنّ يكونوا رأوا مثل ما رأينا علمنا انه من ربك وإن لم يروا مثل ما رأينا علمنا انه سحر سحرتنا به، فأنزل الله اقتربت الساعة إلى آخر السورة. - تفسير القمي - علي بن ابراهيم القمي ج ٢ ص ٣٤١.

(١) " عن ثابت قال قلت لانس حدثنا يا أبا حمزة من هذه الاعاجيب شيأ شهدته لا تحدثه من غيرك قال صلى رسول اللهﷺ صلاة الظهر يوما ثم انطلق حتى قعد على المقاعد الّتي كان يأتيه عليها جبريل فجاء بلال فناداه بالعصر فقام كل من له بالمدينة أهل يقضى الحاجة ويصيب الوضوء وبقى رجال من المهاجرين ليس لهم أهالي بالمدينة فاتى رسول اللهﷺ بقدح أروح فيه ماء فوضع رسول اللهﷺ كفه في الاناء فما وسع الاناء كف رسول اللهﷺ كلها فقال بهؤلاء الاربع في الاناء ثم قال ادنوا فتوضؤا ويده في الاناء فتوضؤا حتى ما بقى منهم أحد الا توضأ قال قلت يا أبا حمزة كم تراهم قال بين السبعين والثمانين ". - مسند احمد - احمد بن حنبل ج ٣ ص ١٣٩.

(٢) "لما نزل قوله - تعالى -: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ جمع خاصة اهله وعشيرته وهم بنو عبد المطلب في دار أبي طالب وكانوا اربعين رجلا وأمر ان يصنع لهم فخذ شاة مع مد من طعام البر ويعد لهم صاعا من اللبن وقد كان الرجل منهم معروفا باكل الجذعة في مقعد واحد وبشرب الزق من الشراب. فاكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى شبعوا ولم ينقص الطعام فبهرهم بذلك وبين لهم آية نبوته. ثم قال: يا بني عبد المطلب إن الله وبعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وانا ادعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان تملكون بهما العرب والعجم وتنقاد بهما لكم الامم وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار شهادة ان لا اله إلا الله واني رسول الله. فمن يجبني الى هذا

←

وتسبيح الحصى في كفه، وكلام الذراع المسموم، وحنين الجذع، وكلام الحيوانات الصامتة، والاخبار بالمغيبات، واستجابة دعائه، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة[١].

→

الامر ويؤازرني على القيام به يكن اخي ووزيرى ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدى. فلم يجب أحد منهم". - كشف اليقين- العلامة الحلي ص ٢٥٨.

(١) "فأما معجزاته الّتي هي سوى القرآن: كمجئ الشجرة حين قال لها أقبلي فأقبلت تخد الارض خدا ثم قال لها ارجعي فرجعت، ومثل الميضاة وانه وضع يده في الاناء فغار الماء من بين أصابعه حتى شربوا ورووا، ومثل اطعام الخلق الكثير من الطعام اليسير، ومنها حنين الجذع الّذي كان يستند إليه إذا خطب لما تحول إلى المنبر فلما جاء إليه والتزمه سكن، ومنها تسبيح الحصى في كفه وكلام الذراع وقولها له لا تأكلني فاني مسمومة، ومنها انه لما استسقى فجاء المطر فشكوا إليه تهدم المنازل فقال حوالينا ولا علينا واشار إلى السحاب فصار كالاكليل حول المدينة والشمس طالعة في المدينة.

ومنها انشقاق القمر وقد نطق القرآن به، ومنها شكوى البعير ومنها قوله لامير المؤمنين عليه السلام "تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين" وقوله له "انك تقتل ذا الثدية" وقوله لعمار "تقتلك الفئة الباغية".

وغير ذلك من الايات الباهرات الّتي هي معروفة مذكورة.

وليس يمكن أن يقال: هذه الاخبار آحاد لا يعول على مثلها.

لان المسلمين تواتروها وأجمعوا على صحتها، ونحن وان قلنا انها لا تعلم ضرورة فهي معلومة بالاستدلال بالتواتر على ما يذهب إليه. ولا يمكن أيضا ادعاء الحيل في ذلك، لان كثيرا منها يستحيل ذلك فيه، كانشقاق القمر والاستسقاء واطعام الخلق الكثير من الطعام اليسير وخروج الماء من بين أصابعه واخباره بالغائبات ومجئ الشجرة إليه ورجوعها عنه، لان جميع ذلك لا تتم فيه الحيلة، وانما يمكن الحيلة في

←

وذلك معلوم في كتب المعجزات والتواريخ حتى حفظ عنه ما ينيف على الالف الّذي اعظمها واشرفها الكتاب العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا تمله الطباع ولا تمجه الاسماع ولا يخلق بكثرة رد اليه ولا تنجلي الظلمات الا به.

واما الثالث: فلأنه لو لم يكن صادقا في دعوى النبوة لكان كاذبا وهو باطل اذ يلزم منه اغراء المكلفين باتباع الكاذب، وذلك قبيح لا يفعله الحكيم.

→

الاجسام الخفيفة الّتي تحدث بالناقل ولا تتم في الشجرة العظيمة، وحنين الجذع لا يمكن أن يدعى كان لتجويف فيه دخله الريح، لان مثل ذلك لا يخفى وكان لا يستكن بمجئ النبي إليه ويحن إذا فارقه بل كان يكون ذلك بحسب الريح.

فأما كلام الذراع قيل فيه وجهان: أحدهما ان الله تعالى نبأها تنبيه الحي وجعل له آلة النطق فتكلم بما سمع وكان ذلك خارقا للعادة، والاخر ان الله تعالى فعل فيه الكلام وأضافه إلى الذراع مجازا.

ومن قال: لو انشق القمر لرآه جميع الخلق. ليس بصحيح، لانه لا يمتنع أن يكون الناس في تلك الحال مشاغيل بالنوم وغيره، فانه كان بالليل فلم يتفق لهم مراعاته، فانه بقي ساعة ثم التأم. وأيضا فلا يمتنع أن يكون هناك غيم حال بينه وبين جميع من لم يره ولا شاهده فلذلك لم يره الجميع". والله أعلم بذلك - الاقتصاد- الشيخ الطوسي ص ١٨١.

قال: (الثاني في وجوب عصمته، العصمة لطف يفعله الله تعالى بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك لانه لولا ذلك لم يحصل الوثوق بقوله فانتفت فائدة البعثة وهو محال).

اقول: اعلم ان المعصوم يشارك غيره في الالطاف المقربة ويحصل له زائدا على ذلك ـ لاجل ملكة(1) نفسانية ـ لطف يفعله الله به بحيث لا يختار معه ترك طاعة ولا فعل معصية مع قدرته على ذلك(2)، وذهب

---

(١) الملكة صفة راسخة يصدر بوجودها الفعل دون ترو او قصد تفصيلي، وقالوا انها تحصل بالتكرار ومن هنا فلا يلائم ذلك عقيدة الاصحاب حيث يذهبون الى ان المعصوم تثبت له العصمة في جميع عمره من اول مولده الى اخر العمر، و لهذا قال الشيخ المحسني(دامت بركاته) تعقيبا على التعاريف الّتي اخذت "الملكة" في حد العصمة: "لا يلائمان ما عليه الامامية من مصاحبة العصمة لذيها من اول العمر وحين الولادة، اذ كيف تحصل له الملكة الموقوفة على المزاولة والمباشرة الّتي لا تتحقق الا بمرور الزمان" صراط الحق ج ٣ ص ٣١.

ونقول ان وجود هذه الملكة بسبب التكرار والمزاولة هو بحسب النوع الانساني اما في المعصوم فهي توجد بوجوده فلا يرد الاشكال.

(٢) لا ريب ان الحجج عليهم السلام لهم العصمة بان يزيدون على عموم البشر بان لهم خصوصية موهوبة من الله تعالى لاجلها لا تقع منهم المعاصي بل ولا الخطأ ولا يهمون به ايضا، وهل هذه الخصوصية هي العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، او غيرها فلا سبيل الى الجزم به في هذه العجالة وان كان ممكنا في نفسه. انظر كشف المراد بتحقيق حسن زادة املي ص ٤٩٤ وغيرها.

بعضهم الى ان المعصوم لا يمكنه الاتيان بالمعاصي وهو باطل والا لما استحق مدحا[١].

إذا تقرر هذا فاعلم: أن الناس اختلفوا في عصمة الأنبياءعليهم السلام فجوزت الخوارج عليهم الذنوب، وعندهم كل ذنب كفر، والحشوية جوزوا الإقدام على الكبائر ومنهم من منعها عمدا لا سهوا وجوزوا تعمد الصغائر.

والأشاعرة منعوا الكبائر مطلقا وجوزوا الصغائر سهوا.

والإمامية أوجبوا العصمة مطلقا عن كل معصية عمدا وسهوا وهو الحق لوجهين:

الأول: ما أشار إليه المصنف وتقريره أنه لو لم يكن الأنبياء معصومين لانتفت فائدة البعثة واللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: أنه إذا جازت المعصية عليهم لم يحصل الوثوق بصحة قولهم لجواز الكذب حينئذ عليهم وإذا لم يحصل الوثوق لم يحصل الانقياد لأمرهم ونهيهم فتنتفي فائدة بعثهم وهو محال.

الثاني: لو صدر عنهم الذنب لوجب اتباعهم لدلالة النقل على وجوب اتباعهم لكن الأمر حينئذ باتباعهم محال، لأنه قبيح، فيكون صدور الذنب عنهم محالا وهو المطلوب[٢].

---

(١) وقيل يمكنه الاتيان بالمعاصي فقدرته متحققة لكن فعل المعصية ممتنع كما هو الامر في عموم قدرة الباري، انظر كشف المراد ص٤٩٤ وصراط الحق ج ٣ ص ٣٤.

(٢) يظهر من الادلة الّتي ساقها المتكلمون منا ومن غيرنا ان معقد تلك الادلة هو العصمة في التبليغ، لكننا نجد ان الاصحاب ذكروا بان الانبياءعليهم السلام معصومون عن ←

قال: (الثالث: في أنه معصوم من أول عمره إلى آخره[١]، لعدم انقياد القلوب إلى طاعة من عهد منه في سالف عمره أنواع

←

الخطأ والسهو والنسيان ـ كما ستعرفه قريبا ـ وظاهر عباراتهم ان ذلك متحقق في الانبياء مطلقا لا بقيد التبليغ، وعليه فالدليل يكون اخص من المدعى، ولبيان الحق في المسألة نقول: الانبياء معصومون في التبليغ بالادلة الّتي ذكرها المتكلمون، ومما بلغوه لنا هو عصمة الانبياء مطلقا فيتم المطلوب، لكن بهذا الدليل المركب.

ومن بلاغاتهم الشريفة: "عن جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال: إن أيوب عليه السلام ابتلى من غير ذنب، وإن الانبياء لا يذنبون لانهم معصومون مطهرون، لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنبا، صغير ولا كبيرا" - الخصال - الشيخ الصدوق ص ٣٩٩.

تنبيه: قال بعض اصحابنا بان اسهاء الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله غير ممتنع بل وقع في قضية ذي الثدية والاخبار في ذلك مما رواها الشيخان الاجلان الكليني والصدوق قدس سرهما و عرف ذلك عن القميين وشنع به بعض الامامية عليهم بل عدوه تقصيرا في حق ساداتهم، وعرف عن القميين ان القول بعدم السهو من درجات الغلو، واشتبكت خيوط المسألة على بعض المحققين فلجأ الى التوقف!

و لعل الحق فيها بعد مراجعة الاخبار ومراعاة الانصاف ان نقول: ان القميين قالوا بعصمة النبي صلى الله عليه وآله كغيرهم من الامامية وما خرج عن ظاهر العصمة خرج بفعل الله تعالى فيهم وملاحظة ذلك بامعان يعطي بوضوح انهم معتقدون للعصمة مطلقا حتى ان الخروج عن مقتضاها كان بفعل الله ذلك فيهم، فهو اسهاء لا سهو، فراجع كلماتهم.

(١) البحث السابق هو في ثبوت العصمة للانبياء والبحث هنا في مساحتها من حياتهم الشريفة، وقد تقدم في التعليقة السابقة ما ينفع في المقام.

المعاصي من الصغائر والكبائر وما تنفر النفس منه).

أقول: ذهب القائلون بعصمتهم فيما نقلناه عنهم إلى اختصاص ذلك بما بعد الوحي، وأما قبله فمنعوا عنهم الكفر والاصرار على الذنب، وقال أصحابنا بوجوب العصمة مطلقا قبل الوحي وبعده إلى آخر العمر[1]،

---

(١) ومن كلمات اعلام الامامية في بيان هذه العقيدة:

١ـ "٢٤" مسألة: نبينا محمدﷺ معصوم - من اول عمره إلى آخره، في اقواله وافعاله وتروكه وتقريراته - عن الخطأ والسهو والنسيان، بدليل انه لو فعل المعصية لسقط محله من القلوب، ولو جاز عليه السهو والنسيان لارتفع الوثوق من اخباراته، فتبطل فائدة البعثة، وهو محال. - الرسائل العشر- الشيخ الطوسي ص ،٩٧

٢ـ "٢٨" مسألة: الامامعليه السلام معصوم - من اول عمره إلى آخره في اقواله وافعاله وتروكه - عن السهو والنسيان، بدليل انه لو فعل المعصية لسقط محله من القلوب، ولو جاز عليه السهو والنسيان لارتفع الوثوق باخباراته، فتبطل فائدة نصبه. - الرسائل العشر- الشيخ الطوسي ص ،٩٨

٣ـ الامام عندنا لا يتحقق منه صدور الفسق لانه واجب العصمة من أول عمره إلى آخره - تذكرة الفقهاء (ط.ق) - العلامة الحلي ج ١ ص ٤٥٤.

مسألة ٢٣٩: الإمام عندنا لا يتحقق منه صدور الفسق، لأنه واجب العصمة من أول عمره إلى آخره - تذكرة الفقهاء (ط.ج) - العلامة الحلي ج ٩ ص ،٤٠٥

٤ـ وبأنه معصوم من أول عمره إلى آخره عن الصغائر والكبائر، وإلا لم يوثق بخبره. - رسائل الكركي - المحقق الكركي ج ١ ص ،٦١

٥ـ فإنّ قيل: هذا النبي الّذي اثبتموه معصوم ام لا؟ فالجواب: معصوم من اول عمره إلى آخره عن السهو والنسيان والذنوب الكبائر والصغائر عمدا وسهوا. - النكت الإعتقادية- الشيخ المفيد ص ٣٧.

←

والدليل عليه ما ذكره المصنف ﷺ وهو ظاهر.

وأما ما ورد في الكتاب العزيز والأخبار مما يوهم صدور الذنب عنهم فمحمول على ترك الأولى، جمعا بين ما دل العقل عليه وبين صحة النقل مع أن جميع ذلك قد ذكر له وجوه ومحامل في مواضعه[١].

←

وقال: فإنّ قيل: ما الدليل على انه معصوم من اول عمره إلى آخره؟ فالجواب: الدليل على ذلك انه لو عهد منه في سالف عمره سهو أو نسيان لارتفع الوثوق عن اخباراته ولو عهد منه خطيئة لنفرت العقول من متابعته فتبطل فائدة البعثة. - النكت الإعتقادية- الشيخ المفيد ص ٣٧.

(١) عن على بن محمد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرضا على بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يا بن رسول الله اليس من قولك: الانبياء معصومون؟ قال: بلى قال: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ فقال عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى قال لادم: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ واشار لهما الى شجره الحنطه ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولم يقل لهما: لا تاكلا من هذه الشجره ولا مما كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجره ولم ياكلا منها وإنما اكلا من غيرها لما ان وسوس الشيطان اليهما وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وإنما ينهيكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الاكل منها ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۞ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ولم يكن آدم وحوا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ فاكلا منها ثقه بيمينه بالله وكان ذلك من آدم قبل النبوه ولم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار وإنما كان من الصغائر الموهوبه الّتي تجوز على الانبياء قبل نزول الوحى عليهم فلما اجتباه الله تعالى وجعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيره ولا كبيره قال الله عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۞ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

→

←

ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فقال له المأمون: فما معنى قول الله عز وجل: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ فقال له الرضاعليه السلام: ان حواء ولدت لادم خمس مأه بطن ذكرا وانثى وان آدمعليه السلام وحواء عاهدا الله عز وجل ودعواه وقالا: ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا﴾ من النسل خلقا سويا بريئا من الزمانه والعاهه وكان ما اتاهما صنفين صنفا ذكرانا وصنفا اناثا فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر ابويهما له عز وجل قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ فقال المأمون: اشهد انك ابن رسول اللهصلى الله عليه وآله حقا فاخبرني عن قول الله عز وجل في حق إبراهيمعليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ فقال الرضاعليه السلام: ان إبراهيم• وقع الى ثلاثه اصناف صنف يعبد الزهره وصنف يعبد القمر وصنف يعبد الشمس وذلك حين خرج من السرب الّذي اخفى فيه ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ فراى الزهره قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ على الانكار والاستخبار ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ الكوكب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ لأن الافول من صفات المحدث لا من صفات القدم ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ على الانكار والاستخبار: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يقول: لو لم يهدنى ربى لكنت من القوم الضالين فلما اصبح و﴿رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ من الزهره والقمر على الانكار والاستخبار لا على الاخبار والاقرار ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾ قال للاصناف الثلاثه من عبده الزهره والقمر والشمس: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وانما اراد إبراهيمعليه السلام بما قال ان يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم ان العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهره والقمر والشمس وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السموات والارض وكان ما احتج به على قومه مما الهمه الله تعالى واتاه كما قال الله عز وجل: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ فقال المأمون: لله درك يا ابن رسول الله فاخبرني عن قول

←

←

إبراهيمعليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ قال الرضاعليه السلام: ان الله تبارك وتعالى كان اوحى الى ابراهيمعليه السلام: انى متخذ من عبادي خليلا ان سألني احياء الموتى اجبته فوقع في نفس إبراهيم: انه ذلك الخليل فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ على الخلقة قال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فاخذ إبراهيمعليه السلام نسرا وطاووسا وبطا وديكا فقطعهن وخلطهن ثم جعل على كل جبل من الجبل الّتي حوله وكانت عشره منهن جزء وجعل مناقيرهن بين اصابعه ثم دعاهن باسمائهن ووضع عنده حبا وماء فتطايرت تلك الاجزاء بعضها الى بعض حتى استوت الابدان وجاء كل بدن حتى انضم رقبته وراسه فخلى إبراهيمعليه السلام عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب وقلن: يا نبى الله احييتنا احياك الله فقال إبراهيم: بل الله يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن فاخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ قال الرضاعليه السلام: ان موسى دخل مدينه من مدائن فرعون على حين غفله من اهلها وذلك بين المغرب والعشاء ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فقضى موسى على العدو وبحكم الله تعالى ذكره ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾ فمات ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعنى الاقتتال الّذي كان وقع بين الرجلين لا ما فعله موسىعليه السلام من قتله انه يعنى الشيطان ﴿عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ فقال المأمون: فما معنى قول موسى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ قال: يقول: انى وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾ أي استرني من اعدائك لئلا يظفروا بى فيقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ قال موسىعليه السلام: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ من القوة حتى قتلت رجلا بوكزه ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ بل اجاهد سبيلك بهذه القوة حتى ترضى ﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسىعليه السلام

←

→

﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ على آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ قاتلت رجلا بالامس وتقاتل هذا اليوم لاوذينك واراد ان يبطش به: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ وهو من شيعته: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ قال المأمون: جزاك الله عن انبيائه خيرا يا أبا الحسن فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال الرضاعليه السلام: ان فرعون قال: لموسى لما اتاه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بى ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الطريق بوقوعي الى مدينه من مدائنك ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وقد قال الله عز وجل لنبيه محمدصلى الله عليه وآله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ يقول: ألم يجدك وحيدا فاوى اليك الناس ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ يعنى عند قومك ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي هديهم الى معرفتك ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ يقول: أغناك بان جعل دعائك مستجابا قال المأمون: بارك الله فيك يا بن رسول الله فما معنى قول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ كيف يجوز ان يكون كلم الله موسى بن عمرانعليه السلام لا يعلم ان الله تبارك وتعالى ذكره لا يجوز عليه الرؤيه حتى يساله هذا السؤال؟ قال الرضاعليه السلام: ان كليم الله موسى بن عمرانعليه السلام علم ان الله تعالى اعز ان يرى بالابصار ولكنه لما كلمه الله عز وجل وقربه نجيا رجع الى قومه فاخبرهم ان الله عز وجل كلمه وقربه وناجاه فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ حتى نستمع كلامه كما سمعت وكان القوم سبعمأة الف رجل فاختار منهم سبعين الفا ثم اختار منهم سبعه آلاف ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين رجلا لميقات ربهم فخرج بهم الى طور سيناء فاقامهم في سفح الجبل وصعد موسى الى الطور وسأل الله تعالى: ان يكلمه ويسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق واسفل ويمين وشمال ووراء وامام لان الله عز وجل احدثه في الشجره وجعله منبعثا منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا:

←

→

﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ بان هذا الّذي سمعناه كلام الله: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةً﴾ فلما قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عز وجل عليهم صاعقه فاخذتهم بظلمهم فماتوا فقال موسى: يا رب ما اقول لبنى اسرائيل إذا رجعت إليهم فقالوا انك ذهبت بهم فقتلتهم؟! لانك لم تكن صادقا فيما ادعيت من مناجاه الله عز وجل اياك فاحياهم الله وبعثهم معه فقالوا: انك لو سئلت الله ان يريك ننظر إليه لاجابك وكنت تخبرنا كيف هو فنعرفه حق معرفته؟ فقال موسى: يا قوم ان الله تعالى لا يرى بالابصار ولا كيفيه له وإنما يعرف باياته ويعلم باعلامه فقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ حتى تسأله فقال موسى: يا رب انك قد سمعت مقاله بني اسرائيل وأنت اعلم بصلاحهم فأوحى الله جل جلاله: يا موسى سلنى ما سألوك فلن اؤاخذك بجهلهم فعند ذلك قال موسىعليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ وهو يهوى ﴿فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ يقول: رجعت الى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ منهم بانك لا ترى. فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن فاخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فقال الرضاعليه السلام: لقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها كما همت لكنه كان معصوما والمعصوم لا يهم بذنب ولا ياتيه ولقد حدثني أبي عن أبيه الصادقعليه السلام انه قال: همت بان تفعل وهم بان لا يفعل. فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فاخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ فقال الرضاعليه السلام: ذاك يونس بن متىعليه السلام ذهب مغاضبا لقومه فظن بمعنى استيقن ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي لن نضيق رزقه ومنه قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ أو ضيق وقتر ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي ظلمه الليل وظلمه البحر وظلمه بطن الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بتركي مثل هذه العبادة الّتي قد فرغتني لها في بطن الحوت فاستجاب

←

→

الله وله وقال عز وجل: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فقال المأمون: لله درك أبا الحسن عليه السلام فاخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ قال الرضا عليه السلام يقول الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ من قومهم وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا جاء الرسل نصرنا فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن فاخبرني قول الله عز وجل: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ قال الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي أهل مكه اعظم ذنبا من رسول الله صلى الله عليه وآله لانهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمأة وستين صنما فلما جاءهم صلى الله عليه وآله بالدعوة الى كلمه الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ * وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ فلما فتح الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وآله مكه قال له يا محمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ مكه ﴿فَتْحًا مُّبِينًا * لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عند مشركي أهل مكه بدعائك الى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر لأن مشركي مكه اسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكه ومن بقى منهم لم يقدر على انكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه فصار ذنبه عندهم ذلك مغفورا بظهوره عليهم. فقال المأمون: لله درك أبا الحسن فاخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ لم اذنت لهم؟ قال الرضا عليه السلام: هذا مما نزل بإياك اعني واسمعي يا جاره خاطب الله عز وجل بذلك نبيه واراد به امته وكذلك قوله: تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ وقوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ قال صدقت يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ قال الرضا عليه السلام: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثه بن شراحيل الكلبى في أمر اراده فراى امراته تغتسل فقال لها: سبحان الّذي خلقك! وانما اراد

←

←

بذلك تنزيه الباري عز وجل عن قول من زعم ان الملائكه بنات الله فقال الله عز وجل: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ فقال النبي: لما رآها تغتسل: سبحان الّذي خلقك ان يتخذ له ولدا يحتاج الى هذا التطهير والاغتسال فلما عاد زيد الى منزله اخبرته امراته بمجئ رسول اللهﷺ وقوله لها: سبحان الّذي خلقك! فلم يعلم زيد ما اراد بذلك وظن انه قال ذلك لما اعجبه من حسنها فجاء الى النبيﷺ وقال له: يا رسول الله ان امراتى في خلقها سوء وانى اريد طلاقها فقال النبيﷺ: امسك عليك زوجك واتق الله وقد كان الله عز وجل عرفه عدد ازواجه وان تلك المراه منهن فاخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد وخشى الناس ان يقولوا: ان محمدا يقول لمولاه: ان امراتك ستكون لي زوجه يعيبونه بذلك فانزل الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعنى بالاسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ يعنى بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ ثم ان زيد بن حارثه طلقها واعتدت منه فزوجها الله عز وجل من نبيه محمدﷺ وانزل بذلك قرآنا فقال عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ثم علم الله عز وجل ان المنافقين سيعيبونه بتزويجها فانزل الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾ فقال المأمون: لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله واوضحت لي ما كان ملتبسا على فجزاك الله عن انبيائه وعن الاسلام خيرا قال على بن محمد بن الجهم: فقام المأمون الى صلاه واخذ بيد محمد بن جعفر بن محمدعليه السلام وكان حاضر المجلس وتبعتهما فقال له المأمون: كيف رايت ابن اخيك؟ فقال له: عالم ولم نره يختلف الى أحد من أهل العلم فقال المأمون: ان ابن اخيك من أهل بيت النبي <الّذين> قال فيهم النبيﷺ: إلا ان ابرار عترتي واطايب ارومتى احلم الناس صغارا واعلم الناس كبارا فلا تعلموهم فانهم اعلم منكم لا يخرجونكم من باب هدى ولا يدخلونكم في باب ضلاله وانصرف الرضاعليه السلام الى

←

وعليك في ذلك بمطالعة كتاب تنزيه الأنبياء الّذي رتبه السيد المرتضى علم الهدى الموسوي رحمه الله وغيره من الكتب ولولا خوف الإطالة لذكرنا نبذة من ذلك.

→

منزله فلما كان من الغد غدوت عليه واعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمه محمد بن جعفر له فضحك عليه السلام ثم قال: يا ابن الجهم لا يغرنك ما سمعته منه فانه سيغتالني والله تعالى ينتقم لي منه. عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٧٤.

قال: (الرابع: يجب أن يكون أفضل أهل زمانه لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلا وسمعا قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيَ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١].

أقول: يجب اتصاف النبيﷺ بجميع الكمالات والفضائل، ويجب أن يكون في ذلك أفضل وأكمل من كل واحد من أهل زمانه لأنه يقبح من الحكيم الخبير أن يقدم المفضول المحتاج إلى التكميل على الفاضل المكمل عقلا وسمعا.

أما عقلا: فظاهر[٢]، إذ يقبح في الشاهد أن يجعل مبتدئا في الفقه

---

(١) يونس: ٣٥.

(٢) لا شك في ان تقديم المفضول على الفاضل بالشكل الّذي ذكره الشارح الفاضل يكون قبيحا لكن ليس الكلام فيه بل الكلام في ما لو وُجد اثنان كلاهما يؤدي الغرض من نصبه لكن احدهما افضل من الاخر مثل جعل مدرس للامير وفي البلاد من هو افضل منه فهذا لا يكون قبيحا الا اذا لم يؤد المنصوب المهمة الموكلة اليه لدخالة ما به التفاوت في اداء المطلوب، والمفروض انه قادر على ادائها، وعدم دخالة ما به التفاوت في المطلوب، فلا قبح فيه حينئذ.

والحق ان تقديم المفضول على الفاضل يكون قبيحا فيما لو تصدى الفاضل، فهنا مقدمات: الاولى: معرفة الفاضل.

الثانية: تصديه للامر.

الثالثة: اقصاءه ونصب المفضول.

الرابعة: كون ما به التفاضل دخيلا في الغرض.

←

←

وحينئذ يكون تقديم المفضول على الفاضل قبيحا لمخالفة نصبه للغاية منه.

وقد ورد في اخبارنا التحذير من ولاية المفضول مع وجود الفاضل، ومنها:

١ـ "أن رسول اللهﷺ قال: من ضرب الناس بسيفه ودعاهم إلى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف". - الكافي - الشيخ الكليني ج ٥ ص ٢٦ - تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي ج ٦ ص ١٤٩،

٢ـ عن الفضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمدعليهما السلام يقول: "من خرج يدعو الناس وفيهم من هو أفضل منه فهو ضال مبتدع. - كتاب الغيبة- محمد بن ابراهيم النعماني ص ١١٥،

٣ـ إخبار أمير المؤمنينعليه السلام عن عاقبة أمر أصحابه ثم قال: ولو كنا - حين كنا مع رسول اللهﷺ وتصيبنا الشدائد والأذى والبأس - فعلنا كما تفعلون اليوم لما قام لله دين ولا أعز الله الأسلام. وأيم الله لتحتلبنها دما وندما وحسرة، فاحفظوا ما أقول لكم واذكروه. فليسلطن عليكم شراركم والأدعياء منكم والطلقاء والطرداء والمنافقون، فليقتلنكم ثم لتدعن الله فلا يستجيب لكم ولا يرفع البلاء عنكم حتى تتوبوا وترجعوا فإنّ تتوبوا وترجعوا يستنقذكم الله من فتنتهم وضلالتهم كما استنقذكم من شركم وجهالتكم. التعجب من استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان على الامة ألا إن العجب كل العجب من جهال هذه الامة وضلالها وقادتها وساقتها إلى النار لأنهم قد سمعوا رسول اللهﷺ يقول عودا وبدءا: (ما ولت أمة رجلا قط أمرها وفيهم أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالا حتى يرجعوا إلى ما تركوا)، فولوا أمرهم قبلي ثلاثة رهط ما منهم رجل جمع القرآن ولا يدعي أن له علما بكتاب الله ولا سنة نبيه. وقد علموا يقينا أني أعلمهم بكتاب الله وسنة نبيه وأفقههم وأقرأهم لكتاب الله، وأقضاهم بحكم الله. وأنه ليس رجل من الثلاثة له سابقة مع رسول اللهﷺ ولا عناء معه في جميع مشاهده، فلا رمى بسهم ولا طعن برمح ولا ضرب بسيف جبنا ولؤما ورغبة في البقاء. - كتاب سليم بن قيس- تحقيق محمد باقر الأنصاري ص ٢٤٧.

مقدما على ابن عباس وغيره من الفقهاء، ويجعل مبتدئا في المنطق مقدما على أرسطو أو مبتدئا في النحو مقدما على سيبويه والخليل، وكذا في كل فن من الفنون.

واما سمعا فما اشار اليه في الاية المذكورة وغيرها.

قال: (الخامس: يجب أن يكون منزها عن دناءة الآباء وعهر الأمهات وعن الرذائل الخُلقية، والعيوب الخَلقية، لما في ذلك من النقص فيسقط محله من القلوب والمطلوب خلافه).

أقول: لما كان المطلوب من الخلق هو الانقياد التام للنبيﷺ وإقبال القلوب عليه، وجب أن يكون متصفا بأوصاف المحامد من كمال العقل والذكاء والفطنة، وعدم السهو، وقوة الرأي، والشهامة والنجدة والعفة والشجاعة، والكرم والسخاء والجود والإيثار، والغيرة والرأفة والرحمة والتواضع واللين وغير ذلك، وأن يكون منزها عن كل ما يوجب التنفير عنه، وذلك: أما بالنسبة إلى الخارج عنه فكما في دناءة الآباء وعهر الأمهات[1].

---

(١) قال الشيخ القمي:"وقوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قال: حدثني محمد بن الوليد عن محمد بن الفرات عن ابي جعفرعليه السلام قال: "﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قال في أصلاب النبيين" - تفسير القمي - علي بن ابراهيم القمي ج ٢ ص ١٢٥.

في أن آباء النبيﷺ كانوا موحدين

قال أبو جعفر(الصدوق) في آباء النبيﷺ: اعتقادنا فيهم أنهم مسلمون.

قال الشيخ المفيد: آباء النبيﷺ إلى آدمعليه السلام كانوا موحدين على الايمان بالله، حسب ما ذكره أبو جعفرﷺ وعليه إجماع عصابة الحق. قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ يريد به: تنقله في أصلاب الموحدين. وقال نبيهﷺ (ما زلت أتنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني الله تعالى في عالمكم هذا) فدل على أن آباءه كلهم كانوا مؤمنين، إذ لو كان فيهم كافر لما استحق الوصف بالطهارة، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فحكم على الكفار

←

وإما بالنسبة إليه، فإما في أحواله فكما في الأكل على الطريق،

←

بالنجاسة، فلما قضى رسول الله ﷺ بطهارة آبائه كلهم ووصفهم بذلك، دل على أنهم كانوا مؤمنين" - تصحيح اعتقادات الإمامية- الشيخ المفيد ص ١٣٩.

وقال الشيخ المفيد ايضا: "٩ - القول في آباء رسول الله ﷺ وأمه وعمه أبي طالب ؑ واتفقت الامامية على أن آباء رسول الله ﷺ من لدن آدم إلي عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله - عزوجل - موحدون له. واحتجوا في ذلك بالقرآن والاخبار، قال الله - عزوجل: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وقال رسول الله ﷺ: (لم يزل ينقلني من أصلاب الطاهرين، إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا). وأجمعوا على أن عمه ابا طالب ؑ مات مؤمنا، وأن آمنة بنت وهب كانت على التوحيد، وأنها تحشر في جملة المؤمنين. وخالفهم على هذا القول جميع الفرق ممن سمنياه بدء" - أوائل المقالات- الشيخ المفيد ص ٤٥.

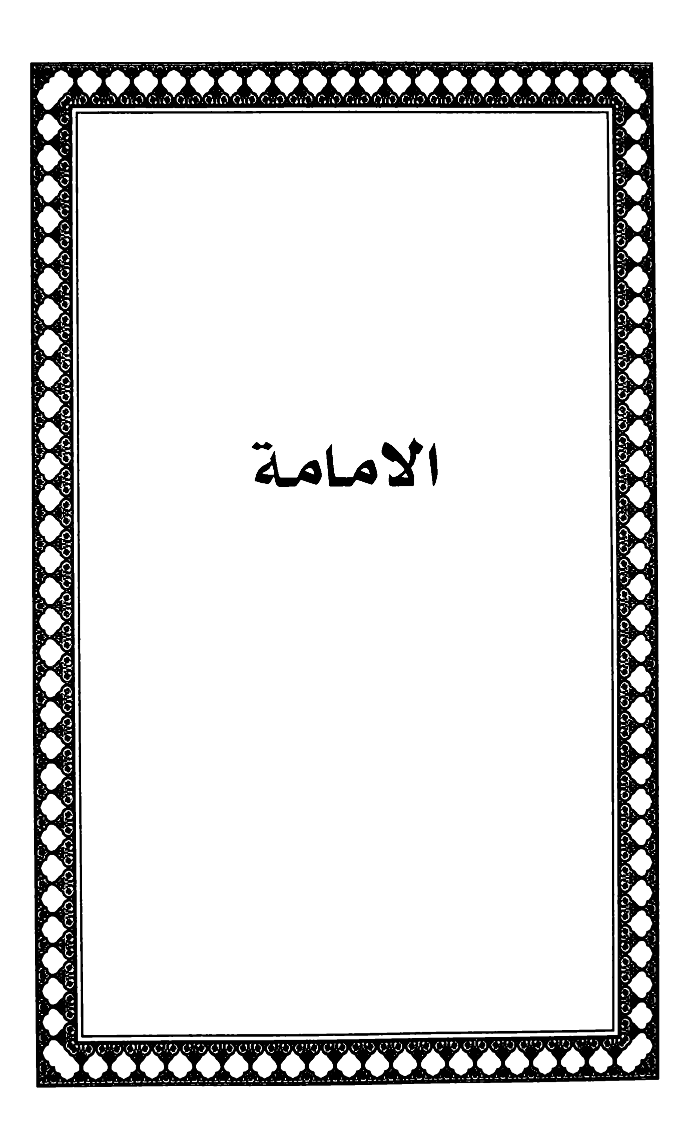
وقال العلامة المجلسي: "أن آباء نبينا ما كانوا كفارا و يدل عليه وجوه: منها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ قيل: معناه أنه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالاية دالة على أن جميع آباء محمد صلوات الله عليهم أجمعين كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأن والد إبراهيم كان مسلما، ثم قال: ومما يدل أيضا على أن أحدا من آباء محمد صلوات الله عليهم ما كانوا مشركين قوله ﷺ: "لم أزل انقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات" و قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وذلك يوجب أن يقال: إن أحدا من أجداده ما كان من المشركين انتهى - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ١٢ ص ٤٨.

وقال ايضا: "أقول: الاخبار الدالة على إسلام آباء النبي صلوات الله عليهم من طرق الشيعة مستفيضة بل متواترة، وقد عرفت إجماع الفرقة المحقة على إسلام ولد إبراهيم بنقل المخالف والمؤالف، فالاخبار الدالة على أنه كان آباه حقيقة محمولة على التقية" - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ١٢ ص ٤٩.

ومجالسة الأرذال وأن يكون حائكا، أو حجاما أو زبالا أو غير ذلك من الصنائع الرذيلة.

وأما في أخلاقه فكالحقد والجهل والحسد والفضاضة والغلظة والبخل والجبن والمجون، والحرض على الدنيا والاقبال عليها، ومراعاة أهلها ومتاقاتهم في أوامر الله، وغير ذلك من الرذائل.

وأما في طباعه كالبرص والجذام والجنون والبكم والبله والابنة لما في ذلك كله من النقص الموجب لسقوط محله من القلوب.



الامامة

الفصل السادس:
في الامامة

قال: (الفصل السادس في الإمامة وفيه مباحث:

الأول: الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبيﷺ وهي واجبة عقلا، لأن الإمامة لطف فإنا نعلم قطعا أن الناس إذا كان لهم رئيس مرشد مطاع ينتصف للمظلوم من الظالم، ويرد الظالم عن ظلمه، كانوا إلى الصلاح أقرب، ومن الفساد أبعد، وقد تقدم أن اللطف واجب).

أقول: هذا البحث، وهو بحث الإمامة، من توابع النبوة وفروعها[1]،

---

(١) في الامامة ابحاث مختلفة ولا بد قبل الخوض فيها من تحديد معنى الامامة والمصنف العلامة والشارح الفاضل عرفاها بـ"رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبيﷺ" فكلامهم اذن في دائرة الخلافة الدنيوية السياسية والدينية الّتي من مهامها حياطة الشرع الشريف، وللامامة مقامات تفوق بها مقام النبوة كما هو مقتضى قول نبي الله ابراهيمعليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ بعد ان قال له الله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ اذ ان هذا الجعل حصل لابراهيمعليه السلام بعد ان كان نبيا رسولا بدليل انه طلب الامامة لذريته ومن الواضح انه لم يرزق ذرية الا في اواخر عمره الشريف.

←

→

والامامة بالمعنى الكامل لها بينها الامام الرضاعليه السلام في الخبر الشريف: "عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضاعليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا فأداروا أمر الامامة وذكروا كثرة أختلاف الناس فيها، فدخلت على سيديعليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه، فتبسمعليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إن الله عز وجل لم يقبض نبيهصلى الله عليه وآله حتى اكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شئ، بين فيه الحلال والحرام، والحدود والاحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كملا، فقال عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (الانعام: ٣٨.) وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمرهصلى الله عليه وآله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) وأمر الامامة من تمام الدين، ولم يمضصلى الله عليه وآله حتى بين لامته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياعليه السلام علما وإماما وما ترك [لهم] شيئا يحتاج إليه الامة إلا بينه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله، ومن رد كتاب الله فهو كافر به.

هل يعرفون قدر الامامة ومحلها من الامة فيجوز فيها اختيارهم، إن الامامة أجل قدرا وأعظم شأنا وأعلا مكانا وأمنع جانبا وأبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماما باختيارهم، إن الامامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليلعليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة، وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ (البقرة: ١٢٤) فقال الخليلعليه السلام سرورا بها: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الانبياء: ٧٢-٧٣). فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرنا فقرنا حتى ورثها الله تعالى النبيصلى الله عليه وآله، فقال جل وتعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ

←

←

بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٨) فكانت له خاصة فقلدهاﷺ علياعليه السلام بأمر الله تعالى على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته الاصفياء <الّذين> آتاهم الله العلم والايمان، بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ (الروم: ٥٦) فهي في ولد عليعليه السلام خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمدﷺ فمن أين يختار هؤلاء الجهال. إن الامامة هي منزلة الانبياء، وإرث الاوصياء، إن الامامة خلافة الله وخلافة الرسولﷺ ومقام أمير المؤمنينﷺ وميراث الحسن والحسينعليهما السلام إن الامامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، إن الامامة أس الاسلام النامي، وفرعه السامي، بالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفئ والصدقات، وإمضاء الحدود والاحكام، ومنع الثغور والاطراف. الامام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الامام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الافق بحيث لا تنالها الايدي والابصار. الامام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار، ولجج البحار، الامام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى، والمنجي من الردى، الامام النار على اليفاع، الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك، من فارقه فهالك، الامام السحاب الماطر، والغيث الهاطل و والشمس المضيئة، والسماء الظليلة، والارض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.

الامام الانيس الرفيق، والوالد الشفيق، والاخ الشقيق، والام البرة بالولد الصغير، ومفزع العباد في الداهية النآد الامام أمين الله في خلقه، وحجته على عباده وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله. الامام المطهر من الذنوب والمبرا عن العيوب، المخصوص بالعلم، المرسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين وغيظ المنافقين، وبوار الكافرين. الامام واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل

←

→

ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب. فمن ذا الّذي يبلغ معرفة الامام، أو يمكنه اختياره، هيهات هيهات، ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الالباب، وخسئت العيون وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الالباء، وكلت الشعراء، وعجزت الادباء، وعييت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شئ من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه ويغني غناه، لا كيف وأنى؟ وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟! أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمدﷺ كذبتهم والله أنفسهم، ومنتهم الاباطيل فارتقوا مرتقا صعبا دحضا، تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الامام بعقول حائرة بائرة ناقصة، وآراء مضلة، فلم يزدادوا منه إلا بعدا، ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ولقد راموا صعبا، وقالوا إفكا، وضلوا ضلالا بعيدا، ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الامام عن بصيرة، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين. رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول اللهﷺ وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (القصص ٦٨) وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ الآية (الاحزاب: ٣٦) وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا بَـٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ (القلم: ٣٧ إلى ٤٢) وقال عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد: ٢٤) أم ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة التوبة: ٨٧) أم ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا

←

→

يَعۡقِلُونَ ۞ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ (الانفال: ٢١ إلى ٢٣) أم ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ (البقرة: ٩٣) بل هو فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فكيف لهم باختيار الامام؟! والامام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسولﷺ ونسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذروة من هاشم، والعترة من الرسولﷺ والرضا من الله عز وجل، شرف الاشراف، والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالامامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله. إن الانبياء والائمة صلوات الله عليهم يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتيه غيرهم، فيكون علمهم فوق علم أهل الزمان في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥) وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ (البقرة: ٢٦٩) وقوله في طالوت: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ (البقرة: ٢٤٧) وقال لنبيهﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ (النساء: ١١٣) وقال في الائمة من أهل بيت نبيه وعترته وذريته صلوات الله عليهم: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ۞ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ (النساء: ٥٤_٥٥). وإن العبد إذا اختاره الله عز وجل لامور عباده، شرح صدره لذلك، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاما، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب، فهو معصوم مؤيد، موفق مسدد، قد أمن من الخطايا والزلل والعثار، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل

←

والإمامة: رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص إنساني، فالرئاسة جنس قريب، والجنس البعيد هو النسبة، وكونها عامة فصل يفصلها عن ولاية القضاة، والنواب، و"في أمور الدنيا" بيان لمتعلقها، فإنها كما تكون في الدين فكذا في الدنيا، وكونها "لشخص إنساني" فيه إشارة إلى أمرين:

أحدهما: أن مستحقها يكون شخصا معينا معهودا من الله تعالى ورسوله لا أي شخص اتفق.

وثانيهما: أنه لا يجوز أن يكون مستحقها أكثر من واحد في عصر واحد، وزاد بعض الفضلاء في التعريف "بحق الأصالة" وقال في تعريفها، الإمامة: رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص انساني بحق الأصالة، واحترز بهذا عن نائب يفوض إليه الإمام عموم الولاية فإنّ رئاسته عامة لكن ليست بالأصالة.

←

العظيم. فهل يقدرون على مثل هذا فيختارونه أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدمونه، تعدوا - وبيت الله - الحق ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وفي كتاب الله الهدى والشفاء، فنبذوه واتبعوا أهواء هم، فذمهم الله ومقتهم وأتعسهم فقال جل وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وقال: ﴿فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ وقال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم تسليما كثيرا". - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٩٨ ورواها الشيخ الصدوق في الأمالي ص ٧٧٣ وفي كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٧٥ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ١٩٥، والغيبة للنعماني ص ٢١٦، والاحتجاج للطبرسي ج ٢ ص ٢٢٦.

والحق أن ذلك يخرج بقيد العموم، فإنّ النائب المذكور لا رئاسة له على إمامه فلا تكون رئاسته عامة، ومع ذلك كله فالتعريف ينطبق على النبوة فيحنئذ يزاد فيه بحق النيابة عن النبيﷺ أو بواسطة بشر.

إذا عرفت هذا فاعلم: أن الناس اختلفوا في الإمامة هل هي واجبة أم لا؟ فقالت الخوارج ليست واجبة مطلقا[١]، وقالت الأشاعرة والمعتزلة بوجوبها على الخلق ثم اختلفوا، فقالت الأشاعرة ذلك معلوم سمعا، وقالت المعتزلة عقلا.

وقال أصحابنا الإمامية هي واجبة عقلا على الله تعالى وهو الحق.

والدليل على حقيته هو أن الإمامة لطف، وكل لطف واجب على الله تعالى فالإمامة واجب على الله تعالى.

أما الكبرى: فقد تقدم بيانها.

وأما الصغرى: فهو أن اللطف كما عرفت هو ما يقرب إلى الطاعة ويبعد عن المعصية، وهذا المعنى حاصل في الإمامة.

وبيان ذلك: أن من عرف عوائد الدهماء، وجرب قواعد السياسة، علم ضرورة أن الناس إذا كان لهم رئيس مطاع مرشد فيما بينهم يردع الظالم عن ظلمه والباغي عن بغيه، وينتصف للمظلوم ممن ظلمه، ومع ذلك يحملهم على القواعد العقلية والوظائف الدينية، ويردعهم عن

---

(١) قال ابو الحسن الاشعري في مقالات الاسلاميين: "واختلفوا في وجوب الامامة فقال الناس كلهم الا الاصم لا بد من امام، و قال الاصم: لو تكاف الناس عن التظالم لاستغنوا عن امام" مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للاشعري ص ٢٥٤ ط الاولى دار صادر.

المفاسد الموجبة لاختلال انتظام أمور معاشهم، وعن القبائح الموجبة للوبال في معادهم، بحيث يخاف كلٌّ مؤاخذته على ذلك، كانوا مع ذلك إلى الصلاح أقرب ومن الفساد أبعد، ولا نعني باللطف إلا ذلك فتكون الإمامة لطفا، وهو المطلوب.

واعلم: أن كل ما دل على وجوب النبوة فهو دال على وجوب الإمامة، إذ الإمامة خلافة عن النبوة قائمة مقامها، إلا في تلقي الوحي الإلهي بلا واسطة، وكما أن تلك واجبة على الله تعالى في الحكمة فكذا هذه، وأما <الّذين> قالوا بوجوبها على الخلق فقالوا يجب عليهم نصب الرئيس لدفع الضرر من أنفسهم ودفع الضرر واجب.

قلنا: لا نزاع في كونها دافعة للضرر وكونها واجبة، وإنما النزاع في تفويض ذلك إلى الخلق لما في ذلك من الاختلاف الواقع في تعيين الأئمة، فيؤدي إلى الضرر المطلوب زواله، وأيضا اشتراط العصمة ووجوب[١] النص يدفع ذلك.

---

(١) لا يخفى ان اشتراط العصمة في الامام هو المحوج للنص، كما لا شك في ان من ثبت النص عليه فهو جامع لشرائط الامامة، ومن هنا فالبحث في ثبوت النص على المعصوم من الامور المهمة جدا فهو الركيزة الاساسية للعقيدة بالامامة وسياتي الكلام في بعض النصوص الدالة على امامة امير المؤمنين عليه السلام.

قال: (الثاني: يجب أن يكون الإمام معصوما وإلا تسلسل، لأن الحاجة الداعية إلى الإمام هي ردع الظالم عن ظلمه والانتصاف للمظلوم منه، فلو جاز أن يكون غير معصوم افتقر إلى إمام آخر ويتسلسل، ولأنه لو فعل المعصية فإنّ وجب الانكار عليه سقط محله من القلوب، فانتفت فائدة نصبه، وإن لم يجب سقط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو محال، ولأنه حافظ للشرع فلا بد من عصمته ليؤمن من الزيادة والنقصان، ولقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]).

أقول: لما أثبت وجوب الإمامة شرع في تبيين الصفات الّتي هي شرط في صحة الإمامة، فمنها العصمة[2] وقد عرفت معناها، واختلف في اشتراطها في الإمام فاشترطها أصحابنا الاثني عشرية، والإسماعيلية خلافا لباقي الفرق، واستدل المصنف على مذهب أصحابنا بوجوه:

الأول: أنه لو لم يكن الإمام معصوما لزم عدم تناهي الأئمة واللازم باطل فالملزوم مثله.

بيان الملازمة: إنا قد بينا أن العلة المحوجة إلى الإمام هي رد الظالم عن ظلمه، والانتصاف للمظلوم منه، وحمل الرعية على ما فيه مصالحهم،

---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) عن سليم بن قيس قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول انما الطاعة لله عزوجل ولرسوله ولولاة الامر وانما أمر بطاعة أولى الامر لانهم معصومون مطهرون ولا يأمرون بمعصيته - علل الشرائع - الشيخ الصدوق ج ١ ص ١٢٣.

وردعهم عما فيه مفاسدهم، فلو كان هو غير معصوم افتقر إلى آخر يردعه عن خطاياه وننقل الكلام إلى الآخر، ويلزم عدم تناهي الأئمة وهو باطل.

الثاني: لو لم يكن معصوما لجازت المعصية عليه، ولنفرض وقوعها وحينئذ يلزم إما انتفاء فائدة نصبه أو سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللازم بقسميه باطل فكذا الملزوم.

بيان اللزوم: أنه إذا وقعت المعصية منه، فإما أن يجب الانكار عليه أو لا، فمن الأول يلزم سقوط محله من القلوب، وأن يكون مأمورا بعد أن كان آمرا، ومنهيا بعد أن كان ناهيا، وحينئذ تنتفي الفائدة المطلوبة من نصبه وهي تعظيم محله في القلوب والانقياد لأمره ونهيه، ومن الثاني يلزم عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو باطل إجماعا.

الثالث: أنه حافظ للشرع وكل من كان كذلك وجب أن يكون معصوما.

أما الأول: فلأن الحافظ للشرع، إما الكتاب أو السنة المتواترة أو الاجماع أو البراءة الأصلية أو القياس أو خبر الواحد أو الاستصحاب وكل واحد من هذه غير صالح للمحافظة.

أما الكتاب والسنة: فلكونهما غير وافيين بكل الأحكام مع أن لله تعالى في كل واقعة حكما يجب تحصيله.

وأما الاجماع فلوجهين:

الأول: تعذره في أكثر الوقائع مع أن لله فيها حكما.

الثاني: أنه على تقدير عدم المعصوم لا يكون في الاجماع حجة، فيكون الاجماع غير مفيد لجواز الخطأ على كل واحد منهم وكذا على الكل ولجواز الخطأ على الكل كما أشار تعالى بقوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ

قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾[١]، ....

---

(١) آل عمران ١٤٤.

هذه الاية الكريمة تبين امر الارتداد والانقلاب على الاعقاب، وقد عرف عن الامامية القول بارتداد الصحابة وقد شنع علينا الخصوم بذلك وبالغوا فيه وحاول بعض المتاخرين منا الابتعاد عن هذا المهم فهنا مبحثان وتتمة.

المبحث الاول في ثبوت ذلك عن ائمتنا عليهم السلام

١ـ حنان، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وآله إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الاسود وأبو ذر الغفاري و سلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم ثم عرف اناس بعد يسير وقال: هؤلاء <الّذين> دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين عليه السلام مكرها فبايع وذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ - الكافي - الشيخ الكليني ج ٨ ص ٢٤٥. - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ١٩٩،

٢ـ عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: إن العامة يزعمون أن بيعة أبي بكر حيث اجتمع الناس كانت رضا لله جل ذكره وما كان الله ليفتن امة محمد صلى الله عليه وآله من بعده؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: أو ما يقرؤون كتاب الله أ و ليس الله يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ قال: فقلت له: إنهم يفسرون على وجه آخر، فقال: أو ليس قد أخبر الله عز وجل عن <الّذين> من قبلهم من الامم أنهم قد اختلفوا من بعدما جاءتهم البينات حيث قال: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم

←

→

مَّن كَفَرَۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ وفي هذا ما يستدل له على أن أصحاب محمدﷺ قد اختلفوا من بعده فمنهم من آمن ومنهم من كفر. - الكافي - الشيخ الكليني ج ٨ ص ٢٧٠. - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ٢٠٠،

٣ـ عن الفضيل بن يسار عن أبى جعفرعليه السلام قال: ان رسول اللهﷺ لما قبض صار الناس كلهم أهل جاهلية الا أربعة على والمقداد وسلمان وابوذر، فقلت: فعمار؟ فقال: ان كنت تريد <الّذين> لم يدخلهم شئ فهؤلاء الثلثة. - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ١٩٩،

٤ـ عن الاصبغ بن نباتة قال: سمعت امير المؤمنينعليه السلام يقول: في كلام له يوم الجمل يا أيها الناس ان الله تبارك اسمه وعز جنده لم يقبض نبيا قط حتى يكون له في امته من يهدى بهداه ويقصد سيرته، ويدل على معالم سبيل الحق الّذي فرض الله على عباده ثم قرأ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ... ﴾ الاية. - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ٢٠٠،

٥ـ عن عبد الصمد بن بشير عن أبى عبد اللهعليه السلام قال: تدرون مات النبيﷺ أو قتل ان الله يقول: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ فسم قبل الموت انهما سقتاه قبل الموت فقلنا انهما وأبوهما شر من خلق الله. - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ٢٠٠،

٦ـ عن الحسين بن المنذر قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلام عن قول الله: ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ القتل أم الموت؟ قال: يعنى أصحابه <الّذين> فعلوا ما فعلوا. - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ٢٠٠.

المبحث الثاني في ما جاء من طرق العامة في ارتداد الصحابة

١ـ عن أنسرضي الله عنه عن النبيﷺ قال ليردن على ناس من اصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول اصحابي فيقول لا تدري ما احدثوا بعدك. - صحيح

←

→

البخارى - البخاري ج ٧ ص ،٢٠٧

٢ـ عن سهل بن سعد قال قال النبيﷺ "اني فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ ابدا ليردن على اقوام اعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم" قال ابو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال هكذا سمعت من سهل فقلت نعم فقال اشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها فأقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي × وقال ابن عباس سحقا بعدا يقال سحيق بعيد سحقه واسحقه ابعده × وقال احمد بن شبيب بن سعيد الحبطي حدثنا أبي عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة انه كان يحدث ان رسول اللهﷺ قال يرد على يوم القيامة رهط من اصحابي فيجلون عن الحوض فأقول يا رب اصحابي فيقول انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى. - صحيح البخارى - البخاري ج ٧ ص ،٢٠٨

٣ـ عن ابن المسيب انه كان يحدث عن اصحاب النبيﷺ ان النبيﷺ قال يرد علي الحوض رجال من اصحابي فيحلؤون عنه فأقول يا رب اصحابي فيقول انك لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى × وقال شعيب عن الزهري كان أبو هريرة يحدث عن النبيﷺ فيجلون وقال عقيل فيحلؤون. - صحيح البخارى - البخاري ج ٧ ص ٢٠٨.

٤ـ عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال بينا انا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم فقلت اين قال إلى النار والله قلت وما شأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم قلت اين قال إلى النار والله قلت ما شأنهم قال انهم ارتدوا بعدك على ادبارهم القهقرى فلا اراه يخلص منهم الا مثل همل النعم - صحيح البخارى - البخاري ج ٧ ص ٢٠٨.

←

وقال النبيﷺ: "ألا لا ترجعوا بعدي كفارا"(١)، فإنّ هذا الخطاب لا يوجه

→

تتمة:

بالمقارنة بين الاخبار الواردة من طرقنا والاخرى الواردة من طرق المخالفين نجد ان لا داعي للتشنيع علينا فإنّ اخبار المخالفين توضح ان الارتداد تام الى يوم القيامة وقد ترتب عليه دخول اكثر الصحابة النار "فلا ينجو الا مثل همل النعم"، اما على قولنا فإنّ الردة كانت في احداث ما بعد رحيل الرسول الاعظمﷺ ثم رجع بعضهم فإنّ قولنا هو بالردة في الدنيا ثم عودة من عاد وثبات من ثبت على الردة والنفاق، فإنّ كان في الموقف السلبي من الصحابة شناعة فقول العامة اشنع.

واخبارهم الّتي نقلناها لا سبيل الى ردها فهي في صحيح البخاري الّذي قالوا بصحة اخباره فضلا عن تعدد طرقها الموجب للاطمئنان بصدورها.

(١) ١ـ عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: إن رسول اللهﷺ وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع فقال: أيها الناس اسمعوا ما أقول لكم واعقلوه عني فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا، ثم قال: أي يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم قال: فأي شهر أعظم حرمة؟ قالوا: هذا الشهر، قال: فأي بلد أعظم حرمة؟ قالوا: هذا البلد، قال: فإنّ دماء كم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه، فيسألكم عن أعمالكم ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم قال: اللهم اشهد ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها فإنه لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه ولا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدي كفارا. - الكافي - الشيخ الكليني ج ٧ ص ٢٧٣،

٢ـ عن أبى زرعة عن جرير ان النبيﷺ قال له في حجة الوداع استنصت الناس فقال لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. - صحيح البخارى - البخاري ج ١ ص ٣٨.

إلا إلى من لا يجوز عليه الخطأ قطعا، إذ لا يقال للإنسان لا تطر لعدم جواز ذلك عليه قطعا.

وأما البراءة الأصلية: فلأنه يلزم منها ارتفاع أكثر الأحكام الشرعية إذ يقال الأصل براءة الذمة من وجوب أو حرمة.

وأما الثلاثة الباقية: فيشترك في إفادتها الظن، والظن لا يغني من الحق شيئا[١]، خصوصا والدليل قائم في منع القياس، وذلك لأن مبنى شرعنا على اختلاف المتفقات كوجوب الصوم آخر شهر رمضان وتحريمه أول شوال، واتفاق المختلفات كوجوب الوضوء من البول والغائط، واتفاق القتل خطأ والظهار في الكفارة هذا مع أن الشارع قطع يد سارق القليل دون غاصب الكثير، وجلد بقذف الزاني وأوجب فيه أربع شهادات دون الكفر، وذلك كله ينافي القياس وقد قال رسول الله ﷺ: "تعمل هذه الأمة برهة بالكتاب وبرهة بالسنة وبرهة بالقياس فإذا فعلوا ذلك فقد ضلوا وأضلوا"[٢].

---

(١) لم يتضح لنا وجه هذا التعليل لاسيما بعد ان بنى جمهور اصحابنا المتاخرين على حجية خبر الواحد و الاستصحاب وجعلوهما سبيلا الى تحصيل الحكم الشرعي او الوضيفة العملية، ودعواهم انها مما قامت على حجيتها الادلة القطعية يخرج بها عن محل كلام الشارح الفاضل، ويجعلها محلا للاعتماد كما هو الواقع منهم.

اما القياس فهو مثل خبر الواحد في افادته الظن لكن ثبت الردع عنه عندنا واختلف العامة فيه فليس هو من مسلمات الادلة بينهم، والحاصل ان المرجع في الاعتماد او عدمه هو وجود الحجة على التعبد فإنّ ثبتت فلا ريب في صحة التعبد بالظن والا فلا.

(٢) رواه ابو يعلى في مسنده "حدثنا الهذيل بن إبراهيم الجماني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الزهري عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ

←

←

تعمل هذه الامة برهة بكتاب الله ثم تعمل برهة بسنة رسول الله ثم تعمل بالرأي فإذا عملوا بالرأي فقد ضلوا وأضلوا"- مسند أبي يعلى - أبو يعلى الموصلي ج ١٠ ص ٢٤٠. هذا النص هو المروي وفيه "الرأي" بدلا عن "القياس" والراي هو القياس، فكأن الشارح الفاضل نقله بالمعنى او اطلع على مصدر لم نطلع عليه، قال المناوي: "(ثم تعمل) بعد ذلك (بالرأي) في النهاية: المحدثون يسمون أصحاب القياس أصحاب الرأي يعنون أنهم يأخذون بآرائهم فيما يشكل من الحديث وما لم يأت به خبر ولا أثر" - فيض القدير شرح الجامع الصغير - المناوي ج ٣ ص.

وللنظر في القياس مجال اخر وقد فصله وذكر ادلة القوم وما يرد عليها العلامة المحقق السيد محمد تقي الحكيم‌ﷺ في الاصول العامة للفقه المقارن فراجع.

اما من طرق اصحابنا فإنّ القياس مما ردع عنه الائمة الهداة‌عليهم السلام وتواتر ذلك عنهم وعُرف من مذهبهم، واخبارهم في ذلك كثيرة منها:

١ـ عن محمد بن الطيار قال قال لي أبو جعفر‌عليه السلام: تخاصم الناس؟ - قلت: نعم، قال: ولا يسألونك عن شئ إلا قلت فيه شيئا؟ - قلت: نعم، قال: فأين باب الرد إذا؟!

٢ـ عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال رجل من أصحابنا لابي الحسن‌عليه السلام نقيس على الاثر، نسمع الرواية فنقيس عليها، فأبى ذلك وقال: قد رجع الامر إذا إليهم فليس معهم لاحد أمر.

٣ـ عن عثمان بن عيسى قال: سألت أبا الحسن موسى‌عليه السلام عن القياس؟ فقال: ما لكم وللقياس؟ إن الله لا يسأل كيف أحل وكيف حرم.

٤ـ عن محمد بن بشر الاسلمي قال: كنت عند أبي عبد الله‌عليه السلام وورقة يسأله فقال له أبو عبد الله‌عليه السلام: أنتم قوم تحملون الحلال على السنة ونحن قوم نتبع على الاثر.

٥ـ عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر‌عليه السلام قال: إن السنة لا تقاس، وكيف تقاس السنة والحائض تقضى الصيام ولا تقضى الصلوة.

٦ـ عن أبان بن تغلب قال: قلت لابي عبد الله‌عليه السلام: رجل قطع أصبع إمرأة فقال: فيها

→

فلم يبق أن يكون الحافظ للشرع إلا الإمامعليه السلام وذلك هو المطلوب، وقد أشار الباري تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[1].

→

عشرة من الابل، قلت: قطع اثنين! - قال: فيهما عشرون من الابل، قلت: قطع ثلاث أصابع قال: فيهن ثلاثون من الابل، قلت: قطع أربعا قال: فيهن عشرون من الابل، قلت: أيقطع ثلاثا وفيهن ثلاثون من الابل ويقطع أربعا وفيها عشرون من الابل؟! قال: نعم، إن المرأة إذا بلغت الثلث من دية الرجل سفلت المرأة وارتفع الرجل إن السنة لا تقاس، ألا ترى أنها تؤمر بقضاء صومها ولا تؤمر بقضاء صلوتها، يا أبان حدثتني بالقياس وإن السنة إذا قيست محق الدين.

٧ـ عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد اللهعليه السلام في كتاب أدب أمير المؤمنينعليه السلام قال: لا تقيسوا الدين فإنّ أمر الله لا يقاس، وسيأتي قوم يقيسون وهم أعداء الدين.

٨ـ عن أبي بصير قال: قلت لابي جعفرعليه السلام: يرد علينا أشياء لا نجدها في الكتاب والسنة فنقول فيها برأينا؟ فقال: أما إنك إن أصبت لم توجر، وإن أخطأت كذبت على الله.

راجع المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقى ج ١ ص٢١٣ وما بعدها.

(١) النساء: ٨٣،

١ـ عن أبي عبد اللهعليه السلام في رسالة "وأما ما سألت من القرآن فذلك أيضا من خطراتك المتفاوتة المختلفة، لان القرآن ليس على ما ذكرت، وكل ما سمعت فمعناه غير ما ذهبت إليه، وإنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حق تلاوته، وهم <الّذين> يؤمنون به ويعرفونه، فأما غيرهم فما أشد إشكاله عليهم وأبعده من مذاهب قلوبهم، ولذلك قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: ليس شئ بأبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن، وفي ذلك تحير الخلائق أجمعون إلا من شاء الله، وإنما أراد الله بتعميته في ذلك أن ينتهوا إلى بابه وصراطه وأن يعبدوه وينتهوا في قوله إلى طاعة القوام بكتابه والناطقين عن أمره وأن يستنطقوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم

←

وأما الثاني: فلأنه إذا كان حافظا للشرع ولم يكن معصوما لما أمن في الشرع من الزيادة والنقصان والتغيير والتبديل.

الرابع: أن غير المعصوم ظالم ولا شئ من الظالم بصالح للإمامة فلا شئ من غير المعصوم بصالح للإمامة.

←

ثم قال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ فأما غيرهم فليس يعلم ذلك أبدا ولا يوجد، وقد علمت أنه لا يستقيم أن يكون الخلق كلهم ولاة الامر إذ لا يجدون من يأتمرون عليه، ولا من يبلغونه أمر الله ونهيه، فجعل الله الولاة خواص ليقتدى بهم من لم يخصصهم بذلك فافهم ذلك إن شاء الله، وإياك وإياك وتلاوة القرآن برأيك، فإنّ الناس غير مشتركين في علمه كاشتراكهم فيما سواه من الامور، ولا قادرين عليه ولا على تأويله إلا من حده وبابه الّذي جعله الله له فافهم إن شاء الله واطلب الامر من مكانه تجده إن شاء الله. - المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقى ج ١ ص ٢٦٨،

٢ـ وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - قال: يظن هؤلاء <الّذين> يدعون أنهم فقهاء علماء أنهم قد أثبتوا جميع الفقه والدين مما تحتاج إليه الامة، وليس كل علم رسول الله صلى الله عليه وآله علموه، ولا صار إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عرفوه، وذلك أن الشئ من الحلال والحرام والأحكام يرد عليهم فيسألون عنه ولا يكون عندهم فيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ويستحيون أن ينسبهم الناس إلى الجهل ويكرهون أن يسألوا فلا يجيبوا، فيطلب الناس العلم من معدنه، فلذلك استعملوا الرأي والقياس في دين الله، وتركوا الاثار ودانوا بالبدع، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كل بدعة ضلالة، فلو أنهم إذا سألوا عن شئ من دين الله فلم يكن عندهم فيه أثر عن رسول الله، ردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى اولي الأمر منهم، لعلمه <الّذين> يستنبطونه منهم من آل محمد صلى الله عليه وآله. - وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي ج ٢٧ ص ٦١.

أما الصغرى: فلأن الظالم واضع للشئ في غير موضعه وغير المعصوم كذلك.

وأما الكبرى: فلقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1]، والمراد بالعهد عهد الإمامة لدلالة الآية على ذلك.

(١) البقرة: ١٢٤.

قال: (الثالث: الإمام يجب أن يكون منصوصا عليه لأن العصمة من الأمور الباطنة الّتي لا يعلمها إلا الله تعالى فلا بد من نص من يعلم عصمته عليه أو ظهور معجزة على يده تدل على صدقه).

أقول: هذه إشارة إلى طريق تعيين الإمام، وقد حصل الاجماع على أن التنصيص من الله، او رسوله، او إمام سابق، بسبب مستقل في تعيين الإمام، وإنما الخلاف في أنه هل يحصل تعيينه بسبب غير النص أم لا، فمنع أصحابنا الإمامية من ذلك مطلقا وقالوا لا طريق إلا النص(١)، لأنا قد بينا أن العصمة شرط في الإمامة، والعصمة أمر خفي لا اطلاع عليه لأحد إلا الله فلا يحصل حينئذ العلم بها، في أي شخص هي، إلا بإعلام عالم الغيب وذلك يحصل بأمرين:

أحدهما: باعلام المعصوم كالنبيﷺ فيخبرنا بعصمة الإمام وتعيينه.

وثانيهما: إظهار المعجزة على يده الدالة على صدقه في ادعائه الإمامة. وقال أهل السنة إذا بايعت الأمة شخصا غلب عندهم استعداده لها، واستولى بشوكته على خطط الإسلام صار إماما.

---

(١) اذ ان مع وجود النص من الله تعالى ورسولهﷺ ان وافقهم اهل الاختيار فهو امتثال لامر الله ورسوله، وان لم يوافقهم فهم حين المعصية واختيار غير من اختاره الله تعالى مخالفون لامر الله ورسوله ولا يصح جعل تلك الامامة الّتي خالف فيها المختارون اختيار الله ورسوله امامة اسلامية بل هي امامة العصاة. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ الاحزاب ٣٦. وقال عز وجل ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ القصص ٦٨.

وقالت الزيدية كل فاطمي عالم زاهد خرج بالسيف وادعى الإمامة فهو إمام.

والحق خلاف ذلك كله من وجهين:

الأول: أن الإمامة خلافة عن الله ورسوله فلا يحصل إلا بقولهما.

الثاني: أن إثبات الإمامة بالبيعة والدعوى يفضي إلى الفتنة، لاحتمال أن تبايع كل فرقة شخصا أو يدعي كل فاطمي عالم الإمامة، فيقع التحارب والتجاذب.

قال: (الرابع: الإمام يجب أن يكون أفضل الرعية لما تقدم في النبي).

أقول: يجب أن يكون الإمام أفضل أهل زمانه لأنه مقدم على الكل، فلو كان فيهم من هو أفضل منه لزم تقديم المفضول على الفاضل[١] وهو قبيح عقلا وسمعا، وقد تقدم[٢] بيانه في النبوة.

---

(١) وفي الخبر "عن أبي بصير، عن أبي عبد الله‌عليه‌السلام قال: لقد قضى أمير المؤمنين صلوات الله عليه بقضية ما قضى بها أحد كان قبله وكانت أول قضية قضى بها بعد رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله وذلك انه لما قبض رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله وافضي الامر إلى أبي بكر اتي برجل قد شرب الخمر، فقال له أبو بكر: أشربت الخمر؟ فقال الرجل: نعم، فقال: ولم شربتها وهي محرمة؟ فقال: إنني لما أسلمت ومنزلي بين ظهراني قوم يشربون الخمر ويستحلونها ولو أعلم أنها حرام فأجتنبها قال: فالتفت أبو بكر إلى عمر فقال: ما تقول يا أبا حفص في أمر هذا الرجل؟ فقال: معضلة وأبو الحسن لها فقال أبو بكر: يا غلام ادع لنا عليا قال عمر: بل يؤتى الحكم في منزله فأتوه ومعه سلمان الفارسي فأخبره بقصة الرجل فاقتص عليه قصته فقال علي‌عليه‌السلام لابي بكر: ابعث معه من يدور به على مجالس المهاجرين والانصار فمن كان تلا عليه آية التحريم فليشهد عليه فإنّ لم يكن تلا عليه آية التحريم فلا شئ عليه ففعل أبو بكر بالرجل ما قال علي‌عليه‌السلام فلم يشهد عليه أحد فخلى سبيله فقال سلمان لعلي‌عليه‌السلام: لقد ارشدتهم فقال علي‌عليه‌السلام: إنما أردت أن اجدد تأكيد هذه الآية في وفيهم "أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون". - الكافي - الشيخ الكليني ج ٧ ص ٢٤٩.

(٢) في الفصل الخامس من مباحث النبوة.

قال: (الخامس: الإمام بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام للنص المتواتر من النبي ﷺ ولأنه أفضل زمانه لقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[1]. ومساوي الأفضل أفضل، ولاحتياج النبي ﷺ إليه في المباهلة، ولأن الإمام يجب أن يكون معصوما، ولا أحد غيره ممن ادعي له الإمامة بمعصوم إجماعا فيكون هو الإمام، ولأنه أعلم لرجوع الصحابة في وقائعهم إليه ولم يرجع هو إلى أحد منهم، ولقوله ﷺ (أقضاكم علي)[2]، ولأنه من غيره حتى طلق الدنيا ثلاثا[3]).

أقول: لما فرغ من شرائط الإمامة شرع في تعيين الإمام، وقد اختلف

---

(١) ال عمران: ٦١.

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج١٧ ص٢٤٢، نوادر المعجزات للطبري الشيعي ص ١٣٣، المسائل العكبرية للمفيد ص ٥٣، الاحتجاج ج٢ ص ١٠٣، فتح الباري ج١٠ ص٤٨٧، شرح نهج البلاغة ج٧ ص ٢١٩.

(٣) ١ـ "يا دنيا يا دنيا إليك عني، أبي تعرضت، أم إلي تشوقت: لا حان حينك هيهات غري غيري. لا حاجة لي فيك. قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها". - نهج البلاغة - خطب الامام علي عليه السلام ج ٤ ص ،١٦

٢ـ "عن الاصبغ بن نباتة، أنه قال: كان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام إذا اتي بالمال أدخله بيت مال المسلمين، ثم جمع المستحقين، ثم ضرب يده في المال فنثره يمنة ويسرة، وهو يقول: يا صفراء، يا بيضاء، لا تغريني، غري غيري:

هــذا جنــاي وخيــاره فيــه ... إذ كــل جــان يــده إلــى فيــه

ثم لا يخرج حتى يفرق ما في بيت مال المسلمين ويؤتي كل ذي حق حقه، ثم يأمر ←

الناس في ذلك، فقال قوم إن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله العباس بن عبد المطلب بارثه، وقال جمهور المسلمين هو أبو بكر بن أبي قحافة، باختيار الناس له[١]، وقالت الشيعة هو علي بن أبي طالب عليه السلام بالنص عليه من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وذلك هو الحق وقد استدل المصنف على حقّيته بوجوه:

الأول: ما نقلته الشيعة نقلا متواترا بحيث أفاد العلم يقينا من قول النبي صلى الله عليه وآله في حقه: "سلموا عليه بإمرة المؤمنين"[٢]، و "أنت الخليفة من

←

أن يكنس ويرش، ثم يصلي فيه ركعتين، ثم يطلق الدنيا ثلاثا، يقول بعد التسليم: يا دنيا لا تتعرضي لي ولا تتشوقي ولا تغريني، فقد طلقتك ثلاثا لا رجعة لي عليك". - الأمالي - الشيخ الصدوق ص ٣٥٧.

(١) قال بعض العامة بالنص على ابي بكر، انظر شرح العقيدة الطحاوية بحث الامامة.

(٢) ورد هذا المعنى في اخبارنا كثيرا منها:

١ـ عن زيد بن الجهم الهلالي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: لما نزلت ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: سلموا على علي بإمرة المؤمنين، فكان مما أكد الله عليهما في ذلك اليوم يا زيد قول رسول الله صلى الله عليه وآله لهما: قوما فسلما عليه بإمرة المؤمنين فقالا أمن الله أو من رسوله يا رسول الله؟ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: من الله ومن رسوله، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعني به قول رسول الله صلى الله عليه وآله لهما وقولهما أمن الله أو من رسوله ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ﴾ أئمة هي أزكى من أئمتكم، قال: قلت: جعلت فداك أئمة؟ قال: إي والله أئمة قلت: فانا نقرء أربى، فقال: ما أربى؟ وأوما بيده فطرحها - ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ (يعني بعلي عليه السلام) وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن

←

←
يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا (يعني بعد مقالة رسول الله ﷺ في علي عليه السلام) وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ (يعني به عليا عليه السلام) وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ،٢٩٢

٢ـ عن الحسين بن علي عليهما السلام، قال: قال لي بريدة أمرنا رسول ﷺ أن أسلم على أبيك بأمرة المؤمنين. - عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ١ ص ،٧٣

٣ـ عن عبد الله بن عباس، قال: إن رسول الله ﷺ لما أسري به إلى السماء، انتهى به جبرئيل إلى نهر يقال له النور، وهو قول الله عز وجل: ﴿خَلَقَ... ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾، فلما انتهى به إلى ذلك النهر قال: له جبرئيل عليه السلام: يا محمد، اعبر على بركة الله، فقد نور الله لك بصرك، ومد لك أمامك، فإنّ هذا نهر لم يعبره أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، غير أن لي في كل يوم اغتماسة فيه، ثم أخرج منه، فأنفض أجنحتي، فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكا مقربا، له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان، كل لسان يلفظ بلغة لا يفقهها اللسان الآخر. فعبر رسول الله ﷺ، حتي انتهى إلى الحجب، والحجب خمسمائة حجاب، من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام، ثم قال: تقدم يا محمد. فقال له: يا جبرئيل، ولم لا تكون معي؟ قال: ليس لي أن أجوز هذا المكان. فتقدم رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يتقدم، حتى سمع ما قال الرب تبارك وتعالى: أنا المحمود، وأنت محمد، شققت اسمك من اسمي، فمن وصلك وصلته ومن قطعك بتلته انزل إلى عبادي فأخبرهم بكرامتي إياك، وأني لم أبعث نبيا إلا جعلت له وزيرا، وأنك رسولي، وأن عليا وزيرك. فهبط رسول الله ﷺ، فكره أن يحدث الناس بشئ كراهية أن يتهموه، لانهم كانوا حديثي عهد بالجاهلية، حتى مضى لذلك ستة أيام، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾، فاحتمل رسول الله ﷺ ذلك حتى كان يوم الثامن، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ
←

←

﴿إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، فقال رسول الله ﷺ: تهديد بعد وعيد، لامضين أمر الله عز وجل، فإنّ يتهموني ويكذبوني، فهو أهون علي من أن يعاقبني العقوبة الموجعة في الدنيا والآخرة. قال: وسلم جبرئيل على علي بإمرة المؤمنين، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، أسمع الكلام ولا أحس الرؤية. فقال: يا علي، هذا جبرئيل، أتاني من قبل ربي بتصديق ما وعدني. ثم أمر رسول الله ﷺ رجلا فرجلا من أصحابه حتى سلموا عليه بإمرة المؤمنين، ثم قال: يا بلال، ناد في الناس أن لا يبقى غدا أحد إلا عليل إلا خرج إلى غدير خم، فلما كان من الغد خرج رسول الله ﷺ بجماعة أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعا مخافة ان تتهموني وتكذبوني حتى أنزل الله علي وعيدا بعد وعيد، فكان تكذيبكم إياي أيسر علي من عقوبة الله إياي، إن الله تبارك وتعالى أسرى بي وأسمعني وقال: يا محمد، أنا المحمود، وأنت محمد، شققت اسمك من اسمي، فمن وصلك وصلته، ومن قطعك بتلته، انزل إلى عبادي فأخبرهم بكرامتي إياك، وأني لم أبعث نبيا إلا جعلت له وزيرا، وأنك رسولي، وأن عليا وزيرك. ثم أخذ ﷺ بيدي علي بن أبي طالب، فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما، ولم ير قبل ذلك، ثم قال: أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى مولاي، وأنا مولى المؤمنين، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. فقال الشكاك والمنافقون <والّذين> في قلوبهم مرض وزيغ: نبرأ إلى الله من مقالة ليس بحتم، ولا نرضى أن يكون علي وزيره، هذه منه عصبية. فقال سلمان والمقداد وأبو ذر وعمار بن ياسر: والله ما برحنا العرصة حتى نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ فكرر رسول الله ﷺ ذلك ثلاثا، ثم قال: إن كمال الدين وتمام النعمة ورضا الرب بإرسالي إليكم، بالولاية بعدي لعلي بن أبي طالب. - الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٤٣٥.

بعدي"(١)، ....

(١) ١ـ عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله جل جلاله أوحى إلى الدنيا: أن أتعبي من خدمك، واخدمي من رفضك، وإن العبد إذا تخلى بسيده في جوف الليل المظلم وناجاه، أثبت الله النور في قلبه، فإذا قال: يا رب يا رب، ناداه الجليل جل جلاله: لبيك عبدي، سلني أعطك، وتوكل علي أكفك، ثم يقول جل جلاله لملائكته: يا ملائكتي، أنظروا إلى عبدي، فقد تخلى بي في جوف الليل المظلم، والبطالون لا هون، والغافلون نيام، اشهدوا أني قد غفرت له. ثم قال عليه السلام: عليكم بالورع والاجتهاد والعبادة، وزوهدوا في هذه الدنيا الزاهدة فيكم، فإنها غرارة، دار فناء وزوال، كم من مغتر بها قد أهلكته، وكم من واثق بها قد خانته، وكم من معتمد عليها قد خدعته وأسلمته، واعلموا أن أمامكم طريقا مهولا، وسفرا بعيدا، وممركم على الصراط، ولا بد للمسافر من زاد، فمن لم يتزود وسافر عطب وهلك، وخير الزاد التقوى، ثم اذكروا وقوفكم بين يدي الله جل جلاله، فإنه الحكم العدل، واستعدوا لجوابه إذا سألكم، فإنه لابد سائلكم عما عملتم بالثقلين من بعدي، كتاب الله، وعترتي، فانظروا أن لا تقولوا: أما الكتاب فغيرنا وحرفنا، وأما العترة ففارقنا وقتلنا، فعند ذلك لا يكون جزاؤكم إلا النار، فمن أراد منكم أن يتخلص من هول ذلك اليوم، فليتول وليي، وليتبع وصيي وخليفتي من بعدي علي ابن أبي طالب، فإنه صاحب حوضي، يذود عنه أعداءه، ويسقي أولياءه، فمن لم يسق منه لم يزل عطشان ولم يرو أبدا، ومن سقي منه شربة لم يشق ولم يظمأ أبدا، وإن علي بن أبي طالب عليه السلام لصاحب لوائي في الآخرة، كما كان صاحب لوائي في الدنيا، وإنه أول من يدخل الجنة، لانه يقدمني وبيده لوائي، تحته آدم ومن دونه من الانبياء. - الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٣٥٣،

٢ـ عن أبي عبد الله الصادق، عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: بلغ أم سلمة زوجة النبي صلى الله عليه وآله أن مولى لها يتنقص عليا عليه السلام ويتناوله، فأرسلت إليه، فلما أن صار إليها قالت له: يا بني، بلغني أنك تتنقص عليا وتتناوله. قال لها: نعم، يا أماه. قالت: اقعد ثكلتك أمك ←

→

حتى أحدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ، ثم اختر لنفسك، إنا كنا عند رسول الله ﷺ تسع نسوة، وكانت ليلتي ويومي من رسول الله ﷺ فدخل النبي ﷺ وهو متهلل، أصابعه في أصابع علي، واضعا يده عليه، فقال: يا أم سلمة، اخرجي من البيت، وأخليه لنا، فخرجت واقبلا يتناجيان، اسمع الكلام، وما أدري ما يقولان، حتى إذا انتصف النهار، أتيت الباب، فقلت: أدخل يا رسول الله؟ قال: لا. فكبوت كبوة شديدة مخافة أن يكون ردني من سخطة، أو نزل في شئ من السماء، ثم لم ألبث أن أتيت الباب الثانية، فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: لا. فكبوت كبوة أشد من الاولى. ثم لم ألبث حتى أتيت الباب الثالثة، فقلت: أدخل يا رسول الله؟ فقال: ادخلي يا أم سلمة. فدخلت وعلي عليه السلام جاث بين يديه، وهو يقول: فداك أبي وأمي يا رسول الله، إذا كان كذا وكذا فما تأمرني؟ قال: آمرك بالصبر. ثم أعاد عليه القول الثانية، فأمره بالصبر، فأعاد عليه القول الثالثة، فقال له: يا علي يا أخي، إذا كان ذاك منهم فسل سيفك، وضعه على عاتقك، واضرب به قدما قدما، حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم، ثم التفت عليه السلام إلي، فقال لي: ما هذا الكآبة يا أم سلمة؟ قلت: للذي كان من ردك لي يا رسول الله. فقال لي: والله ما رددتك من موجدة، وإنك لعلى خير من الله ورسوله، لكن أتيتني وجبرئيل عن يميني، وعلي عن يساري، وجبرئيل يخبرني بالاحداث الّتي تكون من بعدي، وأمرني أن أوصي بذلك عليا. يا أم سلمة، اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، أخي في الدنيا وأخي في الآخرة. يا أم سلمة، اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة. يا أم سلمة، اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، حامل لوائي في الدنيا وحامل لوائي غدا في القيامة. يا أم سلمة، اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، وصيي وخليفتي من بعدي، وقاضي عداتي، والذائد عن حوضي، يا أم سلمة، اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب، سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. قلت: يا رسول الله، من الناكثون؟

←

←

قال: <الّذين> يبايعونه بالمدينة، وينكثون بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان. فقال مولى أم سلمة: فرجت عني فرج الله عنك، والله لا سببت عليا أبدا. - الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٤٦٣،

٣ـ عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في حديث طويل يقول في آخره: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لام سلمة - رضى الله عنها -: يا ام سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب أخي في الدنيا وأخي في الاخرة، يا ام سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا ووزيري في الاخرة، يا ام سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا و حامل لواء الحمد غدا في الاخرة، يا ام سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب وصيي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي، يا ام سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين قلت: يا رسول الله من الناكثون؟ قال: <الّذين> يبايعونه بالمدينة وينكثونه بالبصرة. قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام. [ثم] قلت من المارقون؟ قال: أصحاب النهروان. - معاني الأخبار- الشيخ الصدوق ص ٢٠٤،

٤ـ أخبرنا محمد بن عبد الله، قال حدثنا أبو الحسن عيسى بن العراد الكبير، قال حدثني أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر بن مسلم بن لاحق اللاحفي بالبصرة في سنة عشر وثلاثمائة، قال حدثنا محمد بن عمارة السكري، عن ابراهيم بن عاصم، عن عبد الله بن هارون الكر؟ حى، قال حدثنا احمد بن عبد الله بن يزيد ابن سلامة: عن حذيفة اليمان قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثم أقبل بوجهه الكريم علينا فقال: معاشر أصحابي أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته، فمن عمل بها فاز وغنم ومن انجح وتركها حلت به الندامة، فالتمسوا بالتقوى السلامة من أهوال يوم القيامة، فكأني أدعى فأجيب، واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما ان تمسكتم

←

→

بهما لن تضلوا، ومن تمسك بعترتي من بعدي كان من الفائزين، ومن تخلف عنهم كان من الهالكين. فقلت: يا رسول الله على من تخلفنا؟ قال: على من خلف موسى ابن عمران قومه. قلت: على وصيه يوشع بن نون. قال: فإنّ وصي وخليفتي من بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله. قلت: يا رسول الله فكم يكون الائمة من بعدك؟ قال: عدد نقباء بنى اسرائيل، تسعة من صلب الحسين عليه السلام، اعطاهم الله علمي وفهمي، خزان علم الله ومعادن وحيه. قلت: يا رسول الله فما لاولاد الحسن؟ قال: ان الله تبارك وتعالى جعل الامامة في عقب الحسين، وذلك قوله تعالى "وجعلها كلمة باقية في عقبه" (الزخرف: ٢٨). قلت: أفلا تسميهم لي يا رسول الله؟ قال: نعم، انه لما عرج بي الى السماء ونظرت الى ساق العرش فرأيت مكتوبا بالنور: لا اله الا الله محمد رسول الله، ايدته بعلي ونصرته به، ورأيت أنوار الحسن والحسين وفاطمة، ورأيت في ثلاثة مواضع عليا عليا عليا ومحمدا ومحمدا وموسى وجعفرا والحسن والحجة يتلاءلاء من بينهم كأنه كوكب دري. فقلت: يا رب من هؤلاء <الّذين> قرنت أسماءهم باسمك؟ قال: يا محمد انهم هم الاوصياء والائمة بعدك، خلقتهم من طينتك، فطوبى لمن أحبهم والويل لمن أبغضهم، فبهم أنزل الغيث وبهم أثيب وأعاقب. ثم رفع رسول الله صلى الله عليه وآله يده الى السماء ودعا بدعوات فسمعته فيما يقول: اللهم اجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي وفي زرعي وزرع زرعي. - كفاية الأثر- الخزاز القمي ص ١٣٦،

٥- "قال: ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إليهما يوما وقد أقبلا، فقال: هذان والله سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما. إن خير الناس عندي وأحبهم إلي وأكرمهم علي أبوكما ثم أمكما، وليس عند الله أحد أفضل مني وأخي ووزيري وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي علي بن أبي طالب. ألا إن أخي وخليلي ووزيري وصفيي وخليفتي من بعدي وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي علي بن أبي طالب، فإذا هلك فابني الحسن من بعده، فإذا هلك فابني الحسين من بعده ثم الأئمة التسعة من عقب الحسين. هم الهداة

←

و"أنت ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي"(١)، وغير ذلك من الألفاظ الدالة على

→

المهتدون، هم مع الحق والحق معهم، لا يفارقونه ولا يفارقهم إلى يوم القيامة. هم زر الأرض <الّذين> تسكن إليهم الأرض، وهم حبل الله المتين، وهم عروة الله الوثقى الّتي لا انفصام لها، وهم حجج الله في أرضه وشهداءه على خلقه وخزنة علمه ومعادن حكمته. - كتاب سليم بن قيس- تحقيق محمد باقر الأنصاري ص ٢٧٥.

(١) ١ـ قال الامام الحسين بن علي عليه السلام يوم الطف مناشدا اعدائه: "فأنشدكم الله، هل تعلمون أن عليا كان أولهم إسلاما، وأعلمهم علما، وأعظمهم حلما، وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللهم نعم" - الأمالي- الشيخ الصدوق ص ،٢٢٣

٢ـ عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي، أنت صاحب حوضي، وصاحب لوائي، ومنجز عداتي، وحبيب قلبي، ووارث علمي، وأنت مستودع مواريث الانبياء، وأنت أمين الله في أرضه، وأنت حجة الله على بريته، وأنت ركن الايمان، وأنت مصباح الدجى، وأنت منار الهدى، وأنت العلم المرفوع لاهل الدنيا، من تبعك نجا، ومن تخلف عنك هلك، وأنت الطريق الواضح، وأنت الصراط المستقيم، وأنت قائد الغر المحجلين، وأنت يعسوب المؤمنين، وأنت مولى من أنا مولاه، وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة، لا يحبك إلا طاهر الولادة، ولا يبغضك إلا خبيث الولادة، وما عرج بي ربي عز وجل إلى السماء قط وكلمني ربي إلا قال لي: يا محمد، اقرأ عليا مني السلام، وعرفه أنه إمام أوليائي، ونور أهل طاعتي، فهنيئا لك - يا علي - على هذه الكرامة. - الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٣٨٢.

٣ـ عن زيد بن أرقم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خم يقول: إن الصدقة لا تحل لي ولا لاهل بيتي، لعن الله من ادعى إلى غير أبيه، لعن الله من تولى غير مواليه، الولد لصاحب الفراش وللعاهر الحجر، وليس لوارث وصية، ألا وقد سمعتم مني ورأيتموني، ألا من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من الناس، ألا واني فرط لكم على الحوض، ومكاثر بكم الامم يوم القيامة، فلا تسودوا وجهي، ألا لاستنقذن رجالا من النار،

←

←

وليستنقذن من يدي أقوام، إن الله مولاي، وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة، ألا فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه. - الأمالي - الشيخ الطوسي ص ،٢٢٧

٤ـ عن عبد الله بن يزيد، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: علي بن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة، وهو وليكم من بعدي. - الأمالي - الشيخ الطوسي ص ،٢٤٧

٦ـ عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: قال أبي: دفع النبي ﷺ الراية يوم خيبر إلى علي ابن أبي طالب عليه السلام، ففتح الله عليه، وأوقفه يوم غدير خم، فاعلم الناس أنه مولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال له: (أنت مني، وأنا منك). وقال له: (تقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل). وقال له: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى). وقال له: (أنا سلم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت). وقال له: (أنت العروة الوثقى). وقال له: (أنت تبين لهم ما اشتبه عليهم بعدي). وقال له: (أنت إمام كل مؤمن ومؤمنة، وولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي) وقال له: (أنت الّذي أنزل فيه: (وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر). وقال له: (أنت الآخذ بسنتي والذب عن ملتي). وقال له: (أنا أول من تنشق عنه الأرض، وأنت معي). وقال له: (أنا عند الحوض، وأنت معي). وقال له: (أنا أول من يدخل الجنة، وأنت بعدي تدخلها، والحسن والحسين وفاطمة). وقال له: (إن الله أوحى إلي بأن أقوم بفضلك، فقمت به في الناس، وبلغتهم ما أمرني الله بتبليغة) وقال له: (اتق الضغائن الّتي لك في صدر من لا يظهرها إلا بعد موتي، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون). - الأمالي - الشيخ الطوسي ص ،٣٥١

٧ـ ومن طرق العامة: عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم فنودى فينا الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد على رضى الله تعالى عنه فقال ألستم تعلمون انى أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال ألستم تعلمون انى أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فأخذ بيد على فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال له هنيأ يا ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن

←

المقصود فيكون هو الإمام وذلك هو المطلوب.

الثاني: أنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ فيكون هو الإمام، لقبح تقديم المفضول على الفاضل[١]، أما أنه أفضل فلوجهين:

الأول: أنه مساو للنبي ﷺ، والنبي أفضل فكذا مساويه، وإلا لم يكن مساويا، أما أنه مساو له فلقوله تعالى في آية المباهلة: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[٢]، والمراد بأنفسنا هو علي بن أبي طالب عليه السلام لما ثبت بالنقل الصحيح[٣]، ولا شك أنه ليس المراد به أن نفسه هي نفسه لبطلان الاتحاد،

←

ومؤمنة. - مسند احمد - الامام احمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١.

(١) تقدم ان تقديم المفضول على الفاضل يكون قبيحا فيما لو تصدى الفاضل، فهنا مقدمات: الاولى: معرفة الفاضل.

الثانية: تصديه للامر.

الثالثة: اقصاءه ونصب المفضول.

الرابعة: كون ما به التفاضل دخيلا في الغرض.

وحينئذ يكون تقديم المفضول على الفاضل قبيحا لمخالفة نصبه للغاية من نصبه.

وفي المقام توفرت هذه الاركان فقبح تقديم غير علي (صلوات الله عليه) عليه.

(٢) وتمام الاية: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ - آل عمران: ٦١.

(٣) اما من الشيعة: ١- عن أبى جعفر الاحول قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما تقول قريش في الخمس؟ قال: قلت: تزعم انه لها قال: ما انصفونا والله لو كان مباهلة ليباهلن بنا، ولئن كان مبارزة ليبارزن بنا ثم نكون وهم على سواء. - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ١٧٦،

←

→

٢ـ عن الاحول عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت له شيئا مما أنكر به الناس، فقال: قل لهم: ان قريشا قالوا: نحن أولوا القربى <الّذين> هم لهم الغنيمة فقل لهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يدع للبراز يوم بدر غير أهل بيته، وعند المباهلة جاء بعلى والحسن والحسين والفاطمة عليهم السلام، أفيكون لهم المر ولهم الحلو؟! - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ١٧٦،

٣ـ عن المنذر قال: حدثنا على عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية "قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم" الآية قال: أخذ بيد على وفاطمة وابنيهما عليهم السلام فقال رجل من النصارى (اليهود خ ل) لا تفعلوا فتصيبكم عنت فلم يدعوه. - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ١٧٧،

٤ - عن عامر بن سعد قال: قال معاوية لابي: ما يمنعك ان تسب ابا تراب؟ قال: لثلث رويتهن عن النبي صلى الله عليه وآله لما نزلت آية المباهلة ﴿تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ الاية أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد على وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قال: هؤلاء اهلي. - تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي ج ١ ص ١٧٧،

٥ـ وفي عيون اخبار الرضا عليه السلام في باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والامة حديث طويل وفيه قالت العلماء فأخبرنا هل فسرالله تعالى الاصطفاء في الكتاب فقال الرضا عليه السلام فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثنى عشر موطنا وموضعا، فأول ذلك قوله عزوجل إلى أن قال واما الثالثة حين ميز الله الطاهرين من خلقه، فأمر نبيه صلى الله عليه وآله بالمباهلة بهم في آية الابتهال، فقال عزوجل: يا محمد ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فأبرز النبي صلى الله عليه وآله عليا والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم، وقرن أنفسهم بنفسه فهل تدرون ما معنى قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ قالت العلماء عنى به نفسه قال أبو الحسن عليه السلام غلطتم انما عنى به على بن ابى طالب عليه السلام ومما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله حين قال

←

←

لينتهين بنو وليعة اولا بعثن إليهم رجلا كنفسي يعنى على بن ابى طالبعليه السلام، وعنى بالابناء الحسن والحسينعليهما السلام، وعنى بالنساء فاطمةعليها السلام فهذه خصوصية لا يتقدمهم فيها احد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه خلق، إذ جعل نفس على كنفسه. - تفسير نور الثقلين - الشيخ الحويزي ج ١ ص ٣٤٩. وتمام الخبر في الملحق الثالث.

اما من طرق العامة:

١ـ عن عامر بن سعد عن ابيه قال لما نزلت هذه الآية ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ دعا رسول اللهصلى الله عليه وآله عليا وفاطمة وحسنا وحسيناعليهم السلام فقال اللهم هؤلاء اهلي × هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه × - المستدرك - الحاكم النيسابوري ج ٣ ص ،١٥٠

٢ـ عن جابر بن عبد الله قال: قدم وفد أهل نجران على النبيصلى الله عليه وآله العاقب والسيد، فدعاهما إلى الاسلام، فقالا أسلمنا قبلك، قال كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الاسلام: فقالا: هات أنبئنا، قال: حب الصليب، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، فدعاهما إلى الملاعنة، فوعداه على أن يغادياه بالغداة فغدا رسول اللهصلى الله عليه وآله فأخذ بيد علي وفاطمة وبيد الحسن والحسين، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا، فأقرا له بالخراج فقال النبيصلى الله عليه وآله: والّذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي نارا. قال جابر: فنزلت فيهم هذه الآية - فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم - قال الشعبي: أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا علي بن أبي طالب رضى الله عنهم. - أسباب نزول الآيات- الواحدي النيسابوري ص ،٦٨

٣ـ عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: قدم وفد م هل نجران على النبيصلى الله عليه وآله [فهم] العاقب والسيد فدعاهما إلى الاسلام فقالا: أسلمنا قبلك. قال: كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الاسلام. فقالا: هات أنبئنا. قال: حب الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير، فدعاهما إلى الملاعنة فوعداه أن يغاديانه بالغداة فغدا

←

→

رسول الله وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيئا، وأقرا له بالخراج فقال النبي: والّذي بعثني بالحق لو فعلا لامطر الوادي [عليهما] نارا قال جابر: فنزلت هذه الاية: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ قال الشعبي: أبناءنا الحسن والحسين عليهما السلام ونساءنا فاطمة وأنفسنا علي بر أبي طالب عليه السلام. - شواهد التنزيل - الحاكم الحسكاني ج ١ ص ١٥٨،

٤- "والخامس أراد القرابة القريبة ذكرهما علي بن أحمد النيسابوري فأما الابتهال فقال ابن قتيبة هو التداعي باللعن يقال عليه بهلة الله وبهلته أي لعنته وقال الزجاج معنى الابتهال في اللغة المبالغة في الدعاء وأصله الالتعان يقال بهله الله أي لعنه وأمر بالمباهلة بعد إقامة الحجة قال جابر بن عبد الله قدم وفد نجران فيهم السيد والعاقب فذكر الحديث إلى أن قال في دعاهما إلى الملاعنة فواعداه أن يفادياه يحيى فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل اليهما فأبيا أن يجيباه فأقرا له بالخراج فقال والّذي يعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي عليهم نارا" - زاد المسير - ابن الجوزي ج ١ ص ٣٣٩،

٥- عن الشعبي عن جابر قال: قدم على النبي صلى الله عليه وآله العاقب والطيب فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة قال: فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا وأقرا له بالخراج قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله "والّذي بعثني بالحق لو قالا: لا لا مطر عليهم الوادي نارا" قال جابر: وفيهم نزلت ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ قال جابر ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ الحسن والحسين ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ فاطمة. وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن علي بن عيسى عن أحمد بن محمد بن الازهري عن علي بن حجر عن علي بن مسهر عن داود بن أبي هند به بمعناه. ثم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا. قالا: وقد رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن المغيرة عن الشعبي مرسلا وهذا أصح وقد روى عن ابن عباس والبراء

←

فيكون المراد أنه مثله و مساويه كما يقال: زيد الأسد، أي مثله في الشجاعة، وإذا كان مساويا له كان أفضل وهو المطلوب[١].

الثاني: أن النبي ﷺ احتاج إليه في المباهلة في دعائه دون غيره من الصحابة والأنساب، والمحتاج إليه أفضل من غيره خصوصا في هذه الواقعة العظيمة الّتي هي من قواعد النبوة ومؤسساتها.

←

نحو ذلك. - تفسير ابن كثير - ابن كثير ج ١ ص ٣٧٨.

(١) قال الشيخ ابو جعفر الطوسي شيخ الطائفةﷺ: "واستدل أصحابنا بهذه الاية على أن أمير المؤمنينعليه السلام كان أفضل الصحابة من وجهين: أحدهما - أن موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن مقطوعا على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله. والثاني - أنهﷺ جعله مثل نفسه بقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ لانه أراد بقوله: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسينعليهما السلام بلا خلاف. وبقوله: ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ فاطمةعليها السلام وبقوله: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ أراد به نفسه، ونفس عليعليه السلام لانه لم يحضر غيرهما بلا خلاف، وإذا جعله مثل نفسه، وجب ألا يدانيه أحد في الفضل، ولا يقاربه. ومتى قيل لهم أنه أدخل في المباهلة الحسن والحسينعليهما السلام مع كونهما غير بالغين وغير مستحقين للثواب، وإن كانا مستحقين للثواب لم يكونا أفضل الصحابة. قال لهم أصحابنا: إن الحسن والحسينعليهما السلام. كانا بالغين مكلفين، لان البلوغ وكمال العقل لا يفتقر إلى شرط مخصوص، ولذلك تكلم عيسى في المهد بما دل على كونه مكلفا عاقلا، وقد حكيت ذلك عن امام من أئمة المعتزلة مثل ذلك وقالوا أيضا أعني أصحابنا: إنهما كانا أفضل الصحابة بعد أبيهما وجدهما، لان كثرة الثواب ليس بموقوف على كثرة الافعال، فصغر سنهما لا يمنع من أن يكون معرفتهما وطاعتهما لله، وإقرارهما بالنبيﷺ وقع على وجه يستحق به من الثواب ما يزيد على ثواب كل من عاصر هما سوى جدهما وأبيهما". - التبيان - الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٤٨٥.

الثالث: أن الإمام يجب أن يكون معصوما ولا شئ من غير علي عليه السلام ممن ادعيت له الإمامة بمعصوم فلا شئ من غيره بإمام.

أما الصغرى: فقد تقدم[1] بيانها.

وأما الكبرى: فللإجماع على عدم عصمة العباس وأبي بكر فيكون علي عليه السلام هو المعصوم فيكون هو الإمام، وإلا لزم إما خرق الاجماع لو أثبتناها لغيره أو خلو الزمان من إمام معصوم وكلاهما باطلان.

الرابع: أنه أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون هو الإمام، أما الأول فلجهات:

الأولى: أنه كان شديد الحدس والذكاء والحرص على التعلم، ودائم المصاحبة للرسول صلى الله عليه وآله الّذي هو الكامل المطلق بعد الله تعالى، وكان شديد المحبة له والحرص على تعليمه وإذا اتفق هذا الشخص وجب أن يكون أعلم من كل أحد بعد ذلك المعلم وهو ظاهر.

الثانية: أن أكابر العلماء من الصحابة والتابعين كانوا يرجعون إليه في الوقائع الّتي تعرض لهم[2]، ويأخذون بقوله ويرجعون عن اجتهادهم،

---

(١) في الفصل السادس من مباحث الامامة.

(٢) ١ـ "سعيد بن المسيب قال كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني علي بن أبي طالب" - فتح الباري - ابن حجر ج ١٣ ص ٢٨٦،

٢ـ "وعمر مع هذا يقول في قضية نبهه علي عليه السلام عليها لولا قول علي لهلك عمر ويقول أعوذ بالله من كل معضلة ليس لها أبو حسن"- تأويل مختلف الحديث- ابن قتيبة ص ١٥٢،

٣ـ "فإنّ فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذ عن علي عليه السلام. أما ابن عباس فظاهر، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من ←

وذلك بين في كتب التواريخ والسير.

الثالثة: إن أرباب الفنون في العلوم كلها يرجعون إليه[1]، فإنّ أصحاب التفسير يأخذون بقول ابن عباس وهو كان أحد تلامذته، حتى

←

المسائل الّتي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: لو لا على لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن. وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعلى حاضر، فقد عرف بهذا الوجه أيضا انتهاء الفقه إليه. - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ١ ص ،١٨

٤ـ "عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن، وكان عمر يقول: لولا علي لهلك عمر. وقال ابن الاثير في اسد الغابة بعد إيراده آثارا في علم عليعليه السلام ولو ذكرنا ما سأله الصحابة مثل عمر وغيره لاطلنا". - فتح الملك العلى- أحمد بن الصديق المغربي ص ،٧١

٥ـ وفي رواية محمد بن عمرو بن سعيد رفعه " أن امرأة أتت عمر فقالت: يا أمير المؤمنين إنى فجرت فأقم في حد الله عزوجل فأمر برجمها وكان على أمير المؤمنينعليه السلام حاضرا فقال: سلها كيف فجرت، فسألها فقالت: كنت في فلاة من الارض فأصابني عطش شديد فرفعت لى خيمة فأتيتها فأصبت فيها رجلا أعرابيا فسألته ماء فأبى علي أن يسقيني إلا أن امكنه من نفسي، فوليت منه ها ربة فاشتد بى العطش حتى غارت عيناي وذهب لساني، فلما بلغ منى العطش أتيته فسقاني ووقع على، فقال علىعليه السلام: هذه الّتي قال الله عزوجل: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ هذه غير باغية ولا عادية فخل سبيلها، فقال عمر: لو لا علي لهلك عمر". - من لايحضره الفقيه - الشيخ الصدوق ج ٤ ص ٣٥.

(١) ينبغي ملاحظة ان هذا الرجوع هو على مستوى الاعتراف بعلم امير المؤمنين لا كرجوع الامامية اليه فإنّ الامامية ياخذون الدين بجميع تفاصيله عن الائمة الهداةعليهم السلام وعلي سيدهم.

قال أنه شرح لي في باء: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ من أول الليل إلى آخره، وأرباب الكلام يرجعون إليه، أما المعتزلة فيرجعون إلى أبي علي الجبائي، وهو يرجع في العلم إلى أبي هاشم، وهو يرجع إلى محمد بن الحنفية وهو يرجع إلى علي عليه السلام.

وأما الأشاعرة: فإنهم يرجعون إلى أبي الحسن الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجبائي.

وأما الإمامية: فرجوعهم إليه ظاهر[1] ولو لم يكن إلا كلامه في نهج البلاغة، الّذي قرر فيه المباحث الإلهية في التوحيد والعدل، والقضاء والقدر، وكيفية السلوك ومراتب المعارف الحقيقية، والقواعد الخطابية وقوانين الفصاحة والبلاغة، وغير ذلك من الفنون لكان فيه غُنية للمعتبر، وعبرة للمتفكر، وأما أرباب الفقه فرجوع رؤساء المجتهدين من الفرق إلى تلامذته مشهور، وفتاويه العجيبة في الفقه مذكورة في مواضعها، لحكمه في قضية الحالف أنه لا يحل قيد عبده حتى يتصدق بوزنه فضة[2]،

---

(١) من الابحاث المهمة في الامور الاعتقادية هو صحة انتساب ما عليه الامامية ـ اعز الله تعالى دعوتهم واظهر حجتهم ـ الى ال البيت عليهم السلام. وكذلك وجوب اتباع مذهب ال البيت عليهم السلام انظر الملحق الرابع والخامس.

(٢) "مسألة: رجل قيد عبده بقيد حديد، وحلف ان لا ينزعه من قدميه حتى يتصدق بوزنه، كيف يفعل في ذلك؟ الجواب: ورد الخبر بان الجواب في ذلك، قضية امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام، وورد الخبر في ذلك على وجهين: احدهما ان رجلا قيد عبده بقيد حديد، وحلف ان لا ينزعه من رجليه حتى يتصدق بوزنه، وان احدا لم يحسن الجواب. عن ذلك غيره. والوجه الاخر: ان رجلين في عهد عمر بن الخطاب، شاهدا عبدا مقيدا، فقال احدهما: ان لم يكن في قيده كذا، فامرأته طالق ثلاثا، فقال

←

وحكمه في قضية صاحب الأرغفة[1] وغير ذلك.

→

الاخر: ان كان في قيده ما قلت، فامرأته طالق ثلاثا، وذهبا إلى سيد العبد فقالا له: انا قد حلفنا على كذا وكذا، فحل قيد عبدك حتى نراه فقال السيد: امرأته طالق ثلاثا ان احله عنه حتى يتصدق بوزنه، فارتفعوا إلى عمر بن الخطاب، فقصوا عليه القصة، فامرهم عمر فقال: مولاه احق به، وقال فاذهبوا فاعتزلوا نسائكم. فقالوا: اذهبوا بنا إلى على بن ابى طالبعليه السلام، لعل ان يكون عنده في هذا شئ. فاتوه وقصوا عليه القصة، وقال علىعليه السلام: ما اهون هذا، ثم امر باحضار جفنة وشد القيد بخيط، ووقف العبد في الجفنة، والقيد مرسل اسفلها، ثم صب الماء عليه حتى امتلات، ثم امر برفع القيد، فرفع حتى خرج من الماء فلما خرج نقص، ثم دعا ببرادة الحديد، فالقيت في الماء حتى ارتفع وعاد إلى حده الاول، ثم قالعليه السلام: أو زنوا هذا ففيه وزن العبد.

وهذا من احسن استخراجه صلوات الله عليه وعلى الائمة الابرار من عترته. والحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا". - جواهر الفقه - القاضي ابن البراج ص ٢٤٢.

(١) "عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الاخر ثلاثة أرغفة، فلما وضعا الغذاء بين ايديهما مر بهما رجل فسلم، فقالا: اجلس للغذاء، فجلس واكل معهما، واستوفوا في أكلهم الارغفة الثمانية، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم، وقال: خذا هذا عوضا عما أكلت منكما ونلته من طعامكما، فتنازعا: قال صاحب الخمسة أرغفة: لي خمسة دراهم، ولك ثلاثة. وقال صاحب الارغفة الثلاثة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين. وارتفعا الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقصا عليه قصتهما، فقال لصاحب الثلاثة: "قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة". فقال: لا والله، لا رضيت منه إلا بمر الحق. فقال علي صلوات الله عليه: "ليس لك في مر الحق إلا درهم واحد، وله سبعة". فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين هو يعرض علي ثلاثة فلم أرض،

←

الرابعة: قول النبيﷺ في حقهعليه السلام: "أقضاكم علي"[(١)]، ومعلوم أن

→

وأشرت علي بأخذها فلم أرض، وتقول الان: انه لا يجب في مر الحق إلا درهم واحد؟! فقال له علي: "عرض عليك صاحبك أن تأخذ الثلاثة صلحا، فقلت: لا أرضى إلا بمر الحق، ولا يجب لك في مر الحق إلا واحد". فقال له الرجل: فعرفني بالوجه في مر الحق حتى أقبله؟ فقال عليهعليه السلام: "أليس الثمانية الارغفة أربعة وعشرين ثلثا، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الاكثر منكم ولا الاقل؟ فتحملون في أكله على السواء". قال: بلى. وقال: "فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنما لك تسعة أثلاث، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وبقي له سبعة، وأكل لك واحدة من تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة بسبعته". قال: رضيت الان". - مناقب أهل البيتعليهم السلام - المولى حيدر الشيرواني ص ١٩٧، - كنز العمال - المتقي الهندي ج ٥ ص ٨٣٥.

(١) ١ـ عن عبد الرحمن بن يزيد، عن عبد الله، قال: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة عليعليه السلام. - الأمالي- الشيخ الطوسي ص ،٣٨٧

٢ـ عن عبد الرحمن بن زيد عن علقمة عن عبد الله قال كنا نتحدث ان اقضي اهل المدينة علي بن ابي طالب رضى الله عنه × هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه × - المستدرك - الحاكم النيسابوري ج ٣ ص ،١٣٥

٣ـ "وقد روت العامة والخاصة قولهﷺ: "أقضاكم على". - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ١ ص :١٨

٤ـ "عن سماك بن حرب قال سمعت عكرمة يحدث عن بن عباس قال إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها". - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ج ٢ ص ،٣٣٨

٥ـ عن عبد الرحمن بن يزيد عن علقمة عن عبدالله قال كنا نتحدث أن من أقضى أهل المدينة بن أبي طالب" - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ج ٢ ص ،٣٣٨

٦ـ "إسماعيل عن أبي إسحاق أن عبدالله كان يقول أقضى أهل المدينة بن أبي

←

→
طالب". - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ج ٢ ص ٣٣٩،
٧- "عن أبي هريرة قال: قال عمر بن الخطاب علي أقضانا" - الطبقات الكبرى - محمد بن سعد ج ٢ ص ٣٣٩.
تنبيه: هذا المضمون ورد بالفاظ مختلفة وبطرق متعددة وقد اعترف العجلوني بانه " هذه الطرق يقوي بعضها بعضا " فلا مجال لدعوى الوضع الّتي تولى كبرها ابن الجوزي، واليك تمام ما افاده العجلوني حول الحديث فانه موافق للعلم والانصاف، قال: (أقضاكم علي) تقدم بمعناه في حديث أرحم أمتي، ورواه البغوي في شرح السنة والمصابيح عن أنس، ورواه البخاري وابن الإمام أحمد عن ابن عباس بلفظ قال، قال عمر بن الخطاب علي أقضانا وأبي أقرؤنا، والحاكم وصححه عن ابن مسعود بلفظ: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي، ورواه الملا في سيرته عن ابن عباس في حديث مرفوع أوله "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر"، ورواه عبد الرزاق عن قتادة رفعه مرسلا بلفظ "أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر واصدقهم حياء عثمان وأقضاهم علي" - الحديث، وهو موصول في فوائد ابن أبي نجيح عن أبي سعيد الخدري، وروى البغوي في المرفوع عن أنس أيضا "أقضى أمتي علي" وعزاه الطبري في الرياض النضرة للحاكم بسند واه عن معاذ بن جبل مرفوعا في حديث أوله "يا علي، تخصم الناس بسبع"، وذكر منها "وأبصرهم بالقضية"، لكن أوردها ابن الجوزي في الموضوعات، ونحوه عند أبي نعيم عن أبي سعيد "يا علي لك سبع خصال لا يحاجك فيها أحد"، وأثبت منها كلها ما رواه الحاكم وابن ماجه والترمذي والبزار من طرق عن علي أحسنها رواية البزار عنه بسند واه أنهﷺ لما بعثه إلى اليمن قاضيا قال "يا رسول الله بعثتني أقضي بينهم وأنا شاب لا أدري ما القضاء" فضرب رسول اللهﷺ في صدره وقال اللهم اهده وثبت لسانه، قال فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين، وقد رواه ابن حبان عن أبن عباس عنه، وهذه الطرق يقوي بعضها بعضا، نعم روى البخاري في التفسير وأبو نعيم عن ابن عباس قال، قال
←

القضاء يحتاج إلى العلوم الكثيرة فيكون محيطا بها.

الخامسة: قوله عليه السلام: (لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آية نزلت في ليل أو نهار أو سهل أو جبل إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، وفي أي شئ نزلت)[1]، وذلك

→

عمر: "أقضانا علي وأقرؤنا أبي"، ونحوه عن أبي وآخرين، وللحاكم عن ابن مسعود قال: "كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي"، وقال صحيح، ومثل هذه الصيغة حكمها الرفع على الصحيح، وكذا قاله في الأصل ونظر فيه القاري في الموضوعات أي لأنه مما يمكن أن يكون للرأي فيه مجال فليتأمل". - كشف الخفاء - العجلوني ج ١ ص ١٦٢.

(١) ١ـ عن الأصبغ بن نباته قال قال امير المؤمنين عليه السلام لو كسرت لى وسادة فقعدت عليها لقضيت بين اهل التورية بتوريتهم واهل الأنجيل بانجيلهم واهل الزبور بزبورهم واهل الفرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلى الله يزهر والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار الا وقد علمت فيمن انزلت ولا ممن مر على راسه المواسى من قريش الا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه إلى الجنة أو إلى النار فقام إليه رجل فقال يا امير المؤمنين ما الآية الّتي نزلت فيك قال له اما سمعت الله يقول افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه قال رسول الله صلى الله عليه وآله على بينة من ربه وانا شاهد له فيه واتلوه معه. - بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ،١٥٢

٢ـ عن سلمة بن كهيل قال قال على عليه السلام لو استقامت لى الامة وثنيت لى الوسادة لحكمت في التورية بما انزل الله في التورية ولحكمت في الانجيل بما انزل الله في الانجيل و لحكمت في الزبور بما انزل الله في الزبور حتى يزهر إلى الله وانى قد حكمت في القرآن بما انزل الله. - بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ،١٥٤

←

يدل على إحاطتهعليه السلام بمجموع العلوم الإلهية وإذا كان أعلم كان متعينا

←

٣ـ عن عمرو بن ابى المقدام يرفعه إلى امير المؤمنينعليه السلام قال لو ثنيت لى وسادة لحكمت بين اهل القرآن بالقران حتى يظهر إلى الله ولحكمت بين اهل التورية بالتورية حتى يظهر إلى الله ولحكمت بين اهل الانجيل بالانجيل حتى يزهر إلى الله ولحكمت بين اهل الزبور بالزبور حتى يزهر إلى الله ولولا اية في كتاب الله لانبأتكم بما يكون حتى تقوم الساعة. - بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ،١٥٤

٤ـ عن الاصبغ بن نباتة، قال: لما جلس عليعليه السلام في الخلافه وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمما بعمامة رسول اللهﷺ لابسا بردة رسول اللهﷺ، متنعلا نعل رسول اللهﷺ، متقلدا سيف رسول اللهﷺ فصعد المنبر فجلسعليه السلام عليه متمكنا، ثم شبك بين أصابعه فوضعها أصفل بطنه، ثم قال: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول اللهﷺ، هذا ما زقني رسول اللهﷺ زقا زقا، سلوني فإنّ عندي علم الاولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها لافتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الانجيل بإنجيلهم حتى ينطق الانجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تتلون القرآن ليلا ونهارا فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، ولولا آية في كتاب الله لاخبرتكم بما كان وبما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ،٣٠٥

٥- "وروى المدائني أيضا، قال: خطب علىعليه السلام، فقال: لو كسرت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهل أو جبل إلا وأنا عالم متى أنزلت، وفيمن أنزلت". - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ٦ ص ١٣٦.

للإمامة وهو المطلوب.

السادسة: أنه أزهد الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون هو الإمام، لأن الأزهد أفضل، أما أنه أزهد فناهيك في ذلك تصفح كلامه في الزهد، والمواعظ والأوامر والزواجر، والإعراض عن الدنيا، وظهرت آثار ذلك عنه حتى طلق الدنيا ثلاثا وأعرض عن مستلذاتها في المأكل والمشرب والملبس، ولم يعرف له أحد ورطة في فعل دنيوي حتى أنه كان يختم أوعية خبزه فقيل له في ذلك، فقال أخاف أن يضع فيه أحد ولدي أداما ويكفيك بزهده أنه آثر بقوته وقوت عياله، المسكين واليتيم والأسير حتى نزل في ذلك قرآن[1] دال على أفضليته وعصمته.

---

(١) ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ الانسان: ١ الى ١٢.
قال ابن ابي الحديد: "وأما السخاء والجود: فحاله فيه ظاهرة، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده، وفيه أنزل ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ - شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢١.

قال: (والأدلة في ذلك لا تحصى كثرة).

أقول: الدلائل على إمامة عليعليه السلام أكثر من أن تحصى[١] حتى أن

---

(١) "سأل ضرار هشام بن الحكم عن الدليل على الامام بعد النبيصلى الله عليه وآله فقال هشام: الدلالة عليه ثمان دلالات، أربعة منها في نعت نسبه، وأربعة في نعت نفسه أما الاربعة الّتي في نعت نسبه فإنّ يكون معروف القبيلة معروف الجنس معروف النسب معروف البيت وذلك انه إذا لم يكن معروف القبيلة معروف الجنس معروف النسب معروف البيت جاز أن يكون في اطراف الارض وفي كل جنس من الناس فلما لم يجز أن يكون إلا هكذا ولم نجد جنسا في العالم أشهر من جنس محمدصلى الله عليه وآله وهو جنس العرب الّذي منه صاحب الملة والدعوة الّذي ينادى باسمه في كل يوم وليلة خمس مرات على الصوامع والمساجد في جميع الاماكن أشهد أن لاإله إلا الله وان محمدا رسول الله، ووصل دعوته إلى كل بر و فاجر من عالم وجاهل معروف غير منكر في كل يوم وليلة فلم يجز أن يكون الدليل في أشهر الاجناس، ولما لم يجز ان يكون إلا في هذا الجنس لشهرته فلم يجز إلا ان يكون في هذه القبيلة الّتي منها صاحب الملة دون سائر القبائل من العرب، ولما لم يجز إلا ان يكون في هذا البيت الّذي هو بيت النبي لقرب نسبه من النبيصلى الله عليه وآله اشارة إليه دون غيره من أهل بيته، ثم ان يكون اشارة إليه اشتركت أهل هذا البيت وادعيت فيه فإذا وقعت الدعوة فيه وقع الاختلاف والفساد بينهم ولا يجوز إلا أن يكون من النبيصلى الله عليه وآله إشارة إلى رجل من أهل بيته دون غيره لئلا يختلف فيه أهل البيت انه أفضلهم واعلمهم واصلحهم لذلك الامر، وأما الاربعة الّتي في نعت نفسه فإنّ يكون أعلم الخلق واسخى الخلق واشجع الخلق واعف الخلق واعصمهم من الذنوب صغيرها وكبيرها لم تصبه فترة ولا جاهلية ولابد من ان يكون في كل زمان قايم بهذه الصفة إلى ان تقوم الساعة فقال عبد الله بن يزيد الاباضي وكان حاضرا من اين زعمت يا هشام انه لا بد ان يكون اعلم الخلق؟ قال ان لم يكن ←

المصنف رحمه الله وضع كتابا في الإمامة وسماه كتاب "الألفين"، وذكر فيه ألفي دليل عللا إمامته، وصنف في هذا الفن جماعة من العلماء مصنفات كثيرة لا يمكن حصرها، ولنذكر هنا جملة من ذلك تشرفا وتيمنا بذكر فضائله عليه السلام وهو من وجوه:

←

عالما لم يؤمن ان ينقلب شرايعه واحكامه فيقطع من يجب عليه الحد ويحد من يجب عليه القطع وتصديق ذلك فوق الله عز وجل: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ قال فمن أين زعمت انه لابد من ان يكون معصوما من جميع الذنوب؟ قال ان لم يكن معصوما لم يؤمن ان يدخل فيما دخل فيه غيره من الذنوب فيحتاج إلى من يقيم عليه الحد كما يقيمه على غيره، وإذا دخل في الذنوب لم يؤمن ان يكتم على جاره وحبيبه وقريبه وصديقه وتصديق ذلك قول الله عز وجل: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال له فمن اين زعمت انه لا بد ان يكون أشجع الخلق؟ قال لانه قيمهم الّذي يرجعون إليه في الحرب فإنّ هرب فقد باء بغضب من الله ولايجوز ان يبوء الامام بغضب من الله وذلك قوله عز وجل: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ قال فمن اين زعمت انه لابد ان يكون اسخى الخلق؟ قال: لانه ان لم يكن سخيا لم يصلح للامامة لحاجة الناس إلى نواله وفضله والقسمة بينهم بالسوية وليجعل الحق في موضعه لانه إذا كان سخيا لم يتق نفسه إلى اخذ شئ من حقوق الناس والمسلمين ولا يفضل نصيبه في القسمة على احد من رعيته وقد قلنا انه معصوم فإذا لم يكن اشجع وأعلم الخلق واسخى الخلق واعف الخلق لم يجز أن يكون إماما. - علل الشرائع - الشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٠٢.

الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[١]، وذلك يتوقف على مقدمات:

الأولى: إنما للحصر بالنقل عن أهل اللغة قال الشاعر[٢]:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلـي

فلو لم يكن للحصر لم يتم افتخاره.

الثانية: إن المراد بالولي، إما الأولى بالتصرف، أو الناصر إذ غير ذلك من معانيه غير صالح هنا قطعا، لكن الثاني باطل لعدم اختصاص النصرة بالمذكور فتعين المعنى الأول.

الثالثة: إن الخطاب للمؤمنين لأن قبله بلا فصل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، فيكون الضمير عائدا إليهم حقيقة.

الرابعة: إن المراد بالذين آمنوا في الآية هو بعض المؤمنين لوجهين:

الوجه الأول: أنه لولا ذلك لكان كل واحد وليا لنفسه بالمعنى المذكور وهو باطل.

الوجه الثاني: أنه وصفهم بوصف غير حاصل لكلهم، وهو إيتاء الزكاة حال الركوع إذ الجملة هنا حالية.

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) هو الفرزدق.

الخامسة: أن المراد بذلك البعض هو علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة للنقل الصحيح[١]، واتفاق أكثر المفسرين على أنه كان يصلي فسأله سائل

---

(١) من طرقنا الكثير ومنها:

١ـ عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال: إن الله تعالى أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، حيث يقول: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني الائمة منا. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٤٦،

٢ـ عن الحسين بن أبي العلاء قال: ذكرت لابي عبد الله عليه السلام قولنا في الاوصياء أن طاعتهم مفترضة قال: فقال: نعم، هم <الّذين> قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وهم <الّذين> قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٨٧،

٣ـ عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: الاوصياء طاعتهم مفترضة؟ قال: نعم هم <الّذين> قال الله عز وجل: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وهم <الّذين> قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ١٨٩.

٤ - عن أحمد بن عيسى، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال: إنما يعني أولى بكم أي أحق بكم وباموركم وأنفسكم وأموالكم، الله ورسوله <والّذين> آمنوا يعني عليا وأولاده الائمة عليهم السلام إلى يوم القيامة، ثم وصفهم الله عز وجل فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الظهر وقد صلى ركعتين وهو راكع وعليه حلة قيمتها ألف دينار، وكان النبي صلى الله عليه وآله كساه إياها، وكان النجاشي أهداها له، فجاء سائل فقال: السلام عليك يا ولي الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، تصدق على مسكين، فطرح الحلة إليه ←

فأعطاه خاتمه راكعا، وإذا كان هو عليه السلام أولى بالتصرف فينا تعين أن يكون هو الإمام لأنا لا نعني بالإمام إلا ذلك.

الثاني: أنه نقل نقلا متواترا أن النبي صلى الله عليه وآله لما رجع من حجة الوداع أمر بالنزول بغدير خم(١) وقت الظهيرة، ووضعت له الأحمال شبه المنبر،

→

وأومأ بيده إليه أن احملها: فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية وصير نعمة أولاده بنعمته فكل من بلغ من أولاده مبلغ الامامة، يكون بهذه النعمة مثله فيتصدقون وهم راكعون والسائل الّذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام من الملائكة، <والّذين> يسألون الائمة من أولاده يكونون من الملائكة. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٨٨.

ومن طرق مخالفينا بطرق متعددة منها:

١ـ عن سلمة بن كهيل قال تصدق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.- تفسير ابن كثير - ابن كثير ج ٢ ص ،٧٣

٢ـ وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا غالب بن عبد الله سمعت مجاهدا يقول في قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية نزلت في على بن أبي طالب تصدق وهو راكع. ـ انظر جامع البيان للطبري (تفسير الطبري) ج٦ ص،٣٩٠

٣ـ ورواه ابن مردويه عن طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس قال كان علي بن أبي طالب قائما يصلي فمر سائل وهو راكع فأعطاه خاتمه فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية. الضحاك لم يلقى ابن عباس. - تفسير ابن كثير - ابن كثير ج ٢ ص ٧٣.

(١) "خم: اسم موضع غدير خم، خم في اللغة: قفص الدجاج، فإنّ كان منقولا من الفعل فيجوز أن يكون مما لم يسم فاعله من قولهم خم الشئ إذا ترك في الخم، وهو حبس الدجاج، وخم إذا نطف، كله عن الزهري، قال السهيلي عن ابن إسحاق: وخم

←

وخطب الناس واستدعى علياعليه السلام ورفع بيده وقال صلى الله عليه وآله:

(أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيف ما دار)[1].

ويكرر ذلك عليهم ثلاثا، والمراد بالمولى هو الأولى، لأن أول الخبر يدل على ذلك، وهو قوله صلى الله عليه وآله: (ألست أولى بكم)، ولقوله تعالى في حق

←

بئر كلاب بن مرة، من خممت البيت إذا كنسته، ويقال: فلان مخموم القلب أي نقيه، فكأنها سميت بذلك لنقائها، قال الزمخشري: خم إسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الّذي هو بين مكة والمدينة بالجحفة، وقيل: هو على ثلاثة أميال من الجحفة، وذكر صاحب المشارق أن خما اسم غيضة هناك وبها غدير نسب إليها، قال: وخم موضع تصب فيه عين بين الغدير والعين، وبينهما مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال عرام: ودون الجحفة على ميل غدير خم وواديه يصب في البحر، لا نبت فيه غير المرخ والثمام والاراك والعشر، وغدير خم هذا من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء المطر أبدا، وبه أناس من خزاعة وكنانة غير كثير، وقال معن بن أوس المزني:

عفا، وخلا ممن عهدت به خم ... وشاقك بالمسحاء من شرف رسم

عفا حقبا، من بعد ما خف أهله ... وحنت به الارواح والهطل السجم

وقال الحازمي: خم واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده خطب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة ". - معجم البلدان - الحموي ج ٢ ص ٣٨٩.

(١) تفسير القمي ج١ ص ١٧٤وعنه بحار الانوار ج٣٧ص١١٥، وانظر ج٣٨ص١٤٢ وغيرها. ومسند احمد ج١ ص١١٨ وغيرها والمستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣ ص ١٠٩. وغيرها من المصادر انظر كتاب الغدير للعلامة الاميني ج١.

الكفار: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾[١]، أي أولى بكم[٢]، وأيضا فإنّ غير ذلك من معانيه غير جائز هنا كالجار، والمعتق والحليف، وابن العم، لاستحالة أن يقوم النبيﷺ في ذلك الوقت الشديد الحر، ويدعو الناس ويخبرهم بأشياء لا مزيد فائدة فيها، بأن يقول من كنت جاره أو معتقه أو ابن عمه فعلي كذلك، وإذا كان عليعليه السلام هو الأولى بنا فيكون هو الإمام[٣].

---

(١) الحديد: ١٥.

(٢) قال الثعالبي: "وقوله تعالى ﴿هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ قال المفسرون معناه هي أولى بكم"- تفسير الثعالبي - الثعالبي ج ٥ ص ٣٨٥.

(٣) ١ـ عن ابى جعفرعليه السلام في قول الله ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال هي الولاية وهو في قول الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ قال هي الولاية. - بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ،٥٣٥

٢ـ عن زرارة والفضيل بن يسار، وبكير بن أعين ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية وأبي الجارود جميعا عن أبي جعفرعليه السلام قال: أمر الله عز وجل رسوله بولاية علي وأنزل عليه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وفرض ولاية أولي الامر، فلم يدروا ما هي، فأمر الله محمداﷺ أن يفسر لهم الولاية، كما فسر لهم الصلاة، والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله، ضاق بذلك صدر رسول اللهﷺ وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه فضاق صدره وراجع ربه عز وجل فأوحى الله عز وجل إليه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فصدع بأمر الله تعالى ذكره فقام بولاية عليعليه السلام يوم غدير خم، فنادى الصلاة جامعة وأمر الناس أن يبلغ الشاهد الغائب. - قال عمر بن اذينة: قالوا جميعا غير أبي الجارود - وقال أبو جعفرعليه السلام: وكانت الفريضة تنزل بعد الفريضة الاخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عز وجل

←

←

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ قال أبو جعفرعليه السلام: يقول الله عز وجل: لا انزل عليكم بعد هذه فريضة، قد أكملت لكم الفرائض. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٨٩،

٣ـ عن أبي بصير، عن أبي جعفرعليه السلام قال كنت عنده جالسا، فقال له رجل: حدثني عن ولاية علي، أمن الله أو من رسوله؟ فغضب ثم قال: ويحك كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخوف من أن يقول ما لم يأمره به الله، بل افترضه كما افترض الله الصلاة والزكاة والصوم والحج. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٩٠،

٤ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: لما نزلت ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام وكان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله: سلموا على علي بإمرة المؤمنين، فكان مما أكد الله عليهما في ذلك اليوم يا زيد قول رسول الله صلى الله عليه وآله لهما: قوما فسلما عليه بإمرة المؤمنين فقالا أمن الله أو من رسوله يا رسول الله؟ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: من الله ومن رسوله، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعني به قول رسول الله صلى الله عليه وآله لهما وقولهما أمن الله أو من رسوله ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ﴾ أئمة هي أزكى من أئمتكم، قال: قلت: جعلت فداك أئمة؟ قال: إي والله أئمة قلت: فانا نقرء أربى، فقال: ما أربى؟ وأومأ بيده فطرحها - ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ (يعني بعلي عليه السلام) وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۞ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا (يعني بعد مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام) وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ (يعني به عليا عليه السلام) وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٩٢،

٥ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع ابن نون، وأوصى يوشع بن

←

→

نون إلى ولد هارون، ولم يوص إلى ولده ولا إلى ولد موسى، إن الله تعالى له الخيرة، يختار من يشاء ممن يشاء، وبشر موسى ويوشع بالمسيح عليهما السلام فلما أن بعث الله عز وجل المسيح عليه السلام قال المسيح لهم: إنه سوف يأتي من بعدي نبي اسمه أحمد من ولد إسماعيل عليه السلام يجيئ بتصديقي وتصديقكم، وعذري وعذركم وجرت من بعده في الحواريين في المستحفظين، وإنما سماهم الله تعالى المستحفظين لانهم استحفظوا الاسم الاكبر وهو الكتاب الّذي يعلم به علم كل شئ، الّذي كان مع الانبياء صلوات الله عليهم يقول الله تعالى. " ولقد أرسلنا رسلا قبلك وأنزلنا معهم الكتاب والميزان " الكتاب الاسم الاكبر وإنما عرف مما يدعى الكتاب التوراة والانجيل والفرقان فيها كتاب نوح وفيها كتاب صالح وشعيب وإبراهيم عليهما السلام فأخبر الله عز وجل: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ فأين صحف إبراهيم، إنما صحف إبراهيم الاسم الاكبر، وصحف موسى الاسم الاكبر فلم تزل الوصية في عالم بعد عالم حتى دفعوها إلى محمد صلى الله عليه وآله. فلما بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله أسلم له العقب من المستحفظين وكذبه بنو إسرائيل ودعا إلى الله عز وجل وجاهد في سبيله، ثم أنزل الله جل ذكره عليه أن أعلن فضل وصيك فقال: رب إن العرب قوم جفاة، لم يكن فيهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي ولا يعرفون فضل نبوات الانبياء عليهم السلام ولا شرفهم، ولا يؤمنون بي إن أنا اخبرتهم بفضل أهل بيتي، فقال الله جل ذكره: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فذكر من فضل وصيه ذكرا فوقع النفاق في قلوبهم، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك وما يقولون، فقال الله جل ذكره: يا محمد! ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ولكنهم يجحدون بغير حجة لهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم ويستعين ببعضهم على بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئا في فضل وصيه حتى نزلت هذه السورة، فاحتج عليهم حين اعلم بموته، ونعيت إليه نفسه، فقال الله جل ذكره: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ يقول: إذا فرغت فانصب علمك، وأعلن وصيك فأعلمهم فضله علانية،

←

←

فقال ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه - ثلاث مرات - ثم قال: لابعثن رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار يعرض بمن رجع، يجبن أصحابه ويجبنونه، و قال ﷺ: علي سيد المؤمنين وقال: علي عمود الدين، وقال: هذا هو الّذي يضرب الناس بالسيف على الحق بعدي وقال: الحق مع علي أينما مال، وقال: إني تارك فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلوا: كتاب الله عز وجول أهل بيتي عترتي، أيها الناس اسمعوا وقد بلغت، إنكم ستردون علي الحوض فأسألكم عما فعلتم في الثقلين والثقلان: كتاب الله جل ذكره وأهل بيتي، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم. فوقعت الحجة بقول النبي ﷺ وبالكتاب الّذي يقرأه الناس فلم يزل يلقي فضل أهل بيته بالكلام ويبين لهم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وقال عز ذكره: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ثم قال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فكان علي عليه السلام وكان حقه الوصية الّتي جعلت له، والاسم الاكبر، ميراث العلم، وآثار علم النبوة فقال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ثم قال: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ يقول أسألكم عن المودة الّتي أنزلت عليكم فضلها، مودة القربى بأي ذنب قتلتموهم وقال جل ذكره: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قال: الكتاب [هو] الذكر، وأهله آل محمد عليهم السلام أمر الله عزوجل بسؤالهم ولم يؤمروا بسؤال الجهال وسمى الله عزوجل القرآن ذكرا فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وقال عزوجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ وقال عزوجل: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وقال عزوجل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى (إلى الله و) ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ فرد الامر - أمر الناس - إلى أولي الامر منهم <الّذين> أمر بطاعتهم وبالرد إليهم. فلما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا

←

الثالث: ورد متواترا أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"[(١)]، أثبت له جميع منازل هارون من موسى

←

بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ فنادى الناس فاجتمعوا وأمر بسمرات فقم شوكهن، ثم قال صلى الله عليه وآله: يا أيها الناس من وليكم وأولى بكم من أنفسكم؟ فقالوا: الله ورسوله، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه - ثلاث مرات - فوقعت حسكة النفاق في قلوب القوم وقالوا: ما أنزل الله جل ذكره هذا على محمد قط وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمه. فلما قدم المدينة أتته الانصار فقالوا: يا رسول الله إن الله جل ذكره قد أحسن إلينا وشرفنا بك وبنزولك بين ظهرانينا، فقد فرح الله صديقنا وكبت عدونا وقد يأتيك وفود، فلا تجد ما تعطيهم فيشمت بك العدو، فنحب أن تأخذ ثلث أموالنا حتى إذا قدم عليك وفد مكة وجدت ما تعطيهم، فلم يرد رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم شيئا وكان ينتظر ما يأتيه من ربه فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ولم يقبل أموالهم، فقال المنافقون: ما أنزل الله هذا على محمد وما يريد إلا أن يرفع بضبع ابن عمه ويحمل علينا أهل بيته يقول أمس: من كنت مولاه فعلي مولاه واليوم: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ثم نزل عليه آية الخمس فقالوا: يريد أن يعطيهم أموالنا وفيئنا، ثم أتاه جبرئيل فقال: يا محمد إنك قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل الاسم الاكبر، وميراث العلم وأثار علم النبوة عند علي عليه السلام فإني لم أترك الارض إلا ولي فيها علم تعرف به طاعتي، وتعرف به ولايتي، ويكون حجة لمن يولد بين قبض النبي إلى خروج النبي الآخر، قال: فأوصى إليه بالاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة، وأوصى إليه بألف كلمة وألف باب، يفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٩٢.

(١) ١ـ في الكافي: "عن أبي امية يوسف بن ثابت بن أبي سعيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنهم قالوا حين دخلوا عليه: إنما أحببناكم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله ولما أوجب الله

←

←

عز وجل من حقكم، ما أحببناكم للدنيا نصيبها منكم إلا لوجه الله والدار الآخرة وليصلح لامرء منا دينه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدقتم صدقتم، ثم قال: من أحبنا كان معنا أو جاء معنا يوم القيامة هكذا ثم جمع بين السبابتين ثم قال: والله لو أن رجلا صام النهار وقام الليل ثم لقى الله عز وجل بغير ولايتنا أهل البيت للقيه وهو عنه غير راض أو ساخط عليه، ثم قال: وذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۞ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ ثم قال: وكذلك الايمان لا يضر معه العمل وكذلك الكفر لا ينفع معه العمل ثم قال: إن تكونوا وحدانيين فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وحدانيا يدعو الناس فلا يستجيبون له وكان أول من استجاب له علي بن أبي طالب عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي". - الكافي - الشيخ الكليني ج ٨ ص ١٠٦. وروي اخر النص في المحاسن - أحمد بن محمد بن خالد البرقى ج ١ ص،١٥٩

٢ـ وفي العلل: "عن أبى رافع قال: ان رسول صلى الله عليه وآله خطب الناس فقال: يا أيها الناس، ان الله عز وجل أمر موسى وهارون ان يبنيا لقومها بمصر بيوتا وامرهما ان لا يبيت في مسجد هما جنب ولا يقرب فيه النساء إلا هارون وذريته، وان عليا عليه السلام مني بمنزلة هارون من موسى فلا يحل لاحد ان يقرب النساء في مسجدي ولا يبيت فيه جنب إلا علي وذريته فمن ساءه ذلك فهاهنا، وضرب بيده نحو الشام". - علل الشرائع - الشيخ الصدوق ج ١ ص ،٢٠١

٣ـ وفي التوحيد: "عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين عليهما السلام، قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض خطبه: من الّذي حضر سبخت الفارسي وهو يكلم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال القوم: ما حضره منا أحد، فقال علي عليه السلام: لكني كنت معه عليه السلام وقد جاءه سبخت وكان رجلا من

←

←

ملوك فارس وكان ذربا، فقال: يا محمد إلى ما تدعوه؟ قال: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، فقال سبخت: وإين الله يا محمد؟ قال: هو في كل مكان موجود بآياته، قال: فكيف هو؟ فقال: لا كيف له ولا أين لانه عزوجل كيف الكيف وأين الاين، قال: فمن أين جاء؟ قال: لا يقال له: جاء، وإنما يقال: جاء للزائل من مكان إلى مكان، وربنا لا يوصف بمكان ولا بزوال، بل لم يزل بلا مكان ولا يزال، فقال: يا محمد إنك لتصف ربا عظيما بلا كيف، فكيف لي أن أعلم أنه أرسلك؟ فلم يبق بحضرتنا ذلك اليوم حجر ولا مدر ولا جبل ولا شجر ولا حيوان إلا قال مكانه: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وقلت أنا أيضا: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، فقال: يا محمد من هذا؟ فقال: هو خير أهلي وأقرب الخلق مني، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وروحه من روحي، وهو الوزير مني في حياتي والخليفة بعد وفاتي، كما كان هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي، فاسمع له وأطع فإنه على الحق، ثم سماه عبد الله". - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٣١٠.

٤- وروته العامة في كتبهم المعتبرة ومنها:

روايات سعد ابن ابي وقاص في صحيح مسلم

أ- "عن عامر بن سعد بن ابى وقاص عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ لعلى انت منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبى بعدى قال سعيد فاحببت ان اشافه بها سعدا فلقيت سعدا فحدثته بما حدثنى عامر فقال انا سمعته فقلت آنت سمعته فوضع اصبعيه على اذنيه فقال نعم والا فاستكتا

ب - عن مصعب بن سعد بن ابى وقاص عن سعد بن ابى وقاص قال خلف رسول الله ﷺ على بن ابى طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفنى في النساء والصبيان فقال اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبى بعدى

جـ - عن عامر بن سعد بن ابى وقاص عن ابيه قال امر معاوية بن ابى سفيان سعدا

←

واستثنى النبوة، ومن جملة منازل هارون من موسى أنه كان خليفة له لكنه توفي قبله وعلي عليه السلام عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فتكون خلافته ثابتة إذ لا موجب لزوالها.

الرابع: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[1]، فالمراد بأولي الأمر إما من علمت عصمته أو لا، والثاني باطل لاستحالة أن يأمرنا الله بالطاعة المطلقة لمن يجوز عليه الخطأ، فيتعين الأول، فيكون هو علي بن أبي طالب عليه السلام إذ لم تدع العصمة إلا فيه وفي أولاده فيكونون هم المقصودين وهو المطلوب، وهذا الاستدلال بعينه جار في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[2].

←

فقال ما منعك ان تسب ابا التراب فقال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن اسبه لان تكون لى واحدة منهن احب إلى من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له على يارسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدى وسمعته يقول يوم خيبر لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لى عليا فاتى به ارمد فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء اهلي.

ءـ ابراهيم بن سعد عن سعد عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعلى اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى" – صحيح مسلم – مسلم النيسابوري ج ٧ ص ١١٩ وما بعدها.

(١) النساء: ٥٩.

(٢) التوبة: ١١٩.

الخامس: أنه عليه السلام ادعى الإمامة وظهر المعجز على يده، وكل من كان كذلك فهو صادق في دعواه.

أما أنه ادعى الإمامة، فظاهر مشهور في كتب السير والتواريخ حكاية أقواله وشكايته ومخاصمته حتى أنه لما رأى تخاذلهم عنه قعد في بيته واشتغل بجمع كتاب ربه[1]، طلبوه للبيعة فامتنع، فأضرموا في بيته النار

---

(١) ١ـ "عن عبد الله بن عبد الرحمن قال: ثم إن عمر احتزم بازاره، وجعل يطوف بالمدينة وينادي إن أبا بكر قد بويع له، فهلموا إلى البيعة فينثال الناس فيبايعون، فعرف أن جماعة في بيوت مستترون فكان يقصدهم في جمع فيكبسهم و يحضرهم في المسجد فيبايعون، حتى إذا مضت أيام أقبل في جمع كثير إلى منزل علي بن أبي طالب عليه السلام فطالبه بالخروج فأبى فدعا عمر بحطب ونار وقال: والّذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لاحرقنه على ما فيه، فقيل له إن فيه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وولد رسول الله وآثار رسول الله؟ فانكر الناس ذلك من قوله، فلما عرف إنكارهم قال: ما بالكم أتروني فعلت ذلك إنما اردت التهويل فراسلهم على أن ليس إلى خروجي حيلة لاني في جمع كتاب الله الّذي قد نبذتموه، وألهتكم الدنيا عنه، وقد حلفت أن لا أخرج من بيتى ولا أضع ردائي على عاتقي حتى أجمع القرآن.

قال: وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم فوقفت على الباب ثم قالت لا عهد لي بقوم أسوء محضرا منكم، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم فيما بينكم، فلم تؤمرونا، ولم تروا لنا حقنا، كأنكم لم تعلموا ما قال يوم غدير خم؟! والله لقد عقد له يومئذ الولاء ليقطع منكم بذلك منها الرجاء، ولكنكم قطعتم الاسباب بينكم وبين نبيكم، والله حسيب بيننا وبينكم في الدنيا والاخرة. - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٢٨ ص ٢٠٤:

٢ـ " أقسم علي أن لا يرتدي برداء إلا الجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف، ففعل "- كنز العمال - المتقي الهندي ج ١٣ ص ١٢٧.

وأخرجوه قهرا ويكفيك في الوقوف على شكايته في هذا المعنى خطبته الموسومة بالشقشقية[١] في نهج البلاغة.

وأما ظهور المعجزة فكثيرة:

منها: قلع باب خيبر[٢].

---

(١) انظر الملحق السادس.

(٢) ١ـ عن أبي سعيد الخدري، قال: أتت فاطمةعليها السلام النبيﷺ فذكرت عنده ضعف الحال، فقال لها: أما تدرين ما منزلة علي عندي؟ كفاني أمري وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ست عشرة سنة، وقتل الابطال وهو ابن تسع عشرة سنة، وفرج همومي وهو ابن عشرين سنة، ورفع باب خيبر وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وكان لا يرفعه خمسون رجلا، قال: فأشرق لون فاطمةعليها السلام ولم تقر قدماها حتى أتت علياعليه السلام فأخبرته، فقال: كيف لو حدثك بفضل الله علي كله! - الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٤٨٢ - الأمالي- الشيخ الطوسي ص ٤٣٩،

٢ـ روي أن أمير المؤمنينعليه السلام قال في رسالته إلى سهل بن حنيفرضي الله عنه: والله ما قلعت باب خيبر ورميت بها خلف ظهري أربعين ذراعا بقوة جسدية، ولا حركة غذائية، لكني أيدت بقوة ملكوتية، ونفس بنور ربها مضية، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء، والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت، ولو أمكنتني الفرصة من رقابها لما بقيت، ومن لم يبال متى حتفه عليه ساقط فجنانه في الملمات رابط. - الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٦٠٤،

٣ـ روى أصحاب الاثار عن أبي عبد الله الجدلي قال: سمعت أمير المؤمنينعليه السلام يقول: "لما عالجت باب خيبر جعلته مجنا لي وقاتلت القوم فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقا، ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل: لقد حملت منه ثقلا! فقال: ماكان إلا مثل جنتي الّتي في يدي في غير ذلك المقام". - الارشاد - الشيخ المفيد ج ١ ص ١٢٨.

←

ومنها: مخاطبة الثعبان على منبر الكوفة(١).

←

اما من طرق العامة: ١ـ عن المطلب بن زياد عن ليث عن أبي جعفر يعني محمد بن علي قال حدثني جابر بن عبد الله ان عليا حمل باب خيبر يوم افتتحها وأنهم جربوه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلا. - تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ج ١١ ص ٣٢٢. - ميزان الاعتدال - الذهبي ج ٣ ص ١١٢.

لكنهم طعنوا فيه بامور فقالوا:

الاول: قال الفتني:"فيه ليث ضعيف والراوي عنه شيعي قلت طرقه كلها واهية ولذا أنكره بعض العلماء" - تذكرة الموضوعات- الفتني ص ٩٦.

الثاني: "وقال في اللآلئ زعم بعض العلماء أن هذا الحديث لا أصل له وإنما روي عن رعاع الناس" - كشف الخفاء - العجلوني ج ١ ص ٢٣٢.

ونقول: ان هذا الانكار من من نتاج النصب المرتكز في نفوس القوم، والا فإنّ للخبر طرقا يمكن دعوى تعاضدها وله شاهد رواه احمد، لذا قال العجلوني بعد ذكر ما نقله عن اللالي: تتمة: "وليس كما قال وذكر له طرقا"، وقال ابن حجر:"قلت × له شاهد من حديث ابى رافع رواه احمد في مسنده لكن لم يقل اربعون رجلا" - لسان الميزان - ابن حجر ج ٤ ص ١٩٦.

(١) "عن جابر عن ابى جعفر عليه السلام قال بينا امير المؤمنين عليه السلام على المنبر إذ اقبل ثعبان من ناحية باب من ابواب المسجد فهم الناس ان يقتلوه فارسل امير المؤمنين عليه السلام إليهم ان كفوا فكفوا واقبل الثعبان ينساب حتى انتهى إلى المنبر فتطاول وسلم على امير المؤمنين عليه السلام فاشار امير المؤمنين بيده فنظر الناس والثعبان في اصل المنبر حتى فرغ على امير المؤمنين عليه السلام من خطبته ثم اقبل عليه فقال له من انت قال انا عمرو بن عثمان خليفتك على الجن وان ابى مات واوصاني ان آتيك فاستطلع رأيك فقد اتيتك يا امير المؤمنين فما تأمرني به وما ترى فقال له امير المؤمنين عليه السلام اوصيك بتقوى الله و ان تنصرف فتقوم مقام ابيك في الجن فانك خليفتي عليهم قال فودع امير المؤمنين

←

ومنها: رفع الصخرة العظيمة عن فم القليب لما عجز العسكر عن قلعها[1].

→

وانصرف فهو خليفته على الجن فقلت له جعلت فداك فيأتيك عمرو وذلك الواجب عليه قال نعم".- بصائر الدرجات- محمد بن الحسن الصفار ص ١١٧. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٩٦.

(١) قال الشيخ المفيد: "ومن ذلك ما رواه أهل السيرة، واشتهر الخبربه عند العامة والخاصة، حتى نظمته الشعرا، وخطبت به البلغاء، ورواه الفقهاء والعلماء، من حديث الراهب بأرض كربلاء والصخرة، وشهرته تغني عن تكلف إيراد الاسناد له. وذلك أن الجماعة روت: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لما توجه إلى صفين، لحق أصحابه عطش. شديد ونفد ما كان معهم من الماء، فأخذوا يمينا وشمالا يلتمسون الماء فلم يجدوا له أثرا، فعدل بهم أمير المؤمنين عن الجادة وسار قليلا فلاح لهم دير في وسط البرية فسار بهم نحوه، حتى إذا صار في فنائه أمر من نادى ساكنه بالاطلاع إليهم فنادوه فاطلع، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: "هل قرب قائمك هذا ماء يتغوث به هؤلاء القوم؟" فقال: هيهات، بيني وبين الماء أكثر من فرسخين، وما بالقرب مني شئ من الماء، ولولا انني أوتى بماء يكفيني كل شهر على التقتير لتلفت عطشا. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "أسمعتم ما قال الراهب؟" قالوا: نعم، أفتأمرنا بالمسير إلى حيث أومأ إليه لعلنا ندرك الماء وبنا قوة؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: "لا حاجة بكم إلى ذلك، ولوى عنق بغلته نحو القبلة وأشار لهم إلى مكان يقرب من الدير فقال: "اكشفوا الارض في هذا المكان" فعدل جماعة منهم إلى الموضع فكشفوه بالمساحي، فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين، هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي، فقال لهم: "إن هذه الصخرة على الماء فإنّ زالت عن موضعها وجدتم الماء، فاجتهدوا في قلبها" فاجتمع القوم وراموا تحريكها فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا واستصعبت عليهم. فلما رآهم عليه السلام قد اجتمعوا وبذلوا الجهد في قلع الصخرة فاستصعبت عليهم، لوى عليه السلام رجله عن سرجه حتى صار على الارض، ثم حسر عن ذراعيه ووضع أصابعه تحت

←

→

جانب الصخرة فحركها، ثم قلعها بيده ودحا بها اذرعا كثيرة، فلما زالت عن مكانها ظهر لهم بياض الماء، فتبادروا إليه فشربوا منه، فكان أعذب ماء شربوا منه في سفرهم وأبرده وأصفاه، فقال لهم: "تزودوا وارتووا" ففعلوا ذلك. ثم جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت، وأمر أن يعفى أثرها بالتراب، والراهب ينظر من فوق ديره، فلما استوفى علم ما جرى نادى: يا معشر الناس أنزلوني أنزلوني. فاحتالوا في إنزاله فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا هذا أنت نبي مرسل؟ قال: "لا" قال: فملك مقرب؟ قال: "لا" قال: فمن أنت؟

قال: "أنا وصي رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين" قال: ابسط يدك أسلم لله تبارك وتعالى على يدك، فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يده وقال له: "اشهد الشهادتين" فقال: أشهد أن لا إله الا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، وأشهد انك وصي رسول الله وأحق الناس بالامر من بعده. فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام عليه شرائط الاسلام ثم قال له: "ما الّذي دعاك الان إلى الاسلام بعد طول مقامك في هذا الدير على الخلاف؟" فقال: أخبرك - يا أمير المؤمنين - إن هذا الدير بني على طلب قالع هذه الصخرة ومخرج الماء من تحتها، وقد مضى عالم قبلي لم يدركوا ذلك، وقد رزقنيه الله عزوجل، وإنا نجد في كتاب من كتبنا وناثر عن علمائنا، أن في هذا الصقع عينا عليها صخرة لا يعرف مكانها إلا نبي أو وصي نبي، وانه لا بد من ولي لله يدعو إلى الحق آيته معرفة مكان هذه الصخرة وقدرته على قلعها، واني لما رأيتك قد فعلت ذلك تحققت ما كنا ننتظره وبلغت الامنية منه، فأنا اليوم مسلم على يدك ومؤمن بحقك ومولاك. فلما سمع ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بكى حتى اخضلت لحيته من الدموع ثم قال: " الحمد لله الّذي لم أكن عنده منسيا، الحمد لله الّذي كنت في كتبه مذكورا " ثم دعا الناس فقال لهم: "اسمعوا ما يقول أخوكم هذا المسلم" فسمعوا مقالته، وكثر حمدهم لله وشكرهم على النعمة الّتي أنعم الله بها عليهم في معرفتهم بحق أمير المؤمنين عليه السلام.

←

ومنها: رد الشمس حتى عادت إلى موضعها في الفلك[1].

→

ثم سارعليه السلام والراهب بين يديه في جملة أصحابه حتى لقي أهل الشام، فكان الراهب من جملة من استشهد معه، فتولىعليه السلام الصلاة عليه ودفنه وأكثر من الاستغفار له، وكان إذا ذكره يقول: "ذاك مولاي".

وفي هذا الخبر ضروب من المعجز: أحدها: علم الغيب، والثاني: القوة الّتي خرق العادة بها وتميز بخصوصيتها من الانام، مع ما فيه من ثبوت البشارة به في كتب الله الاولى، وذلك مصداق وله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ﴾. - الارشاد - الشيخ المفيد ج ١ ص ٣٣٤.

(١) ١ـ عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: "صلى رسول اللهصلى الله عليه وآله العصر، فجاء عليعليه السلام ولم يكن صلاها، فأوحى الله إلى رسولهصلى الله عليه وآله عند ذلك، فوضع رأسه في حجر عليعليه السلام، فقام رسول اللهصلى الله عليه وآله عن حجره حين قام وقد غربت الشمس فقال: يا علي، أما صليت العصر؟ فقال: لا، يا رسول الله.

قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: اللهم إن عليا كان في طاعتك، فاردد عليه الشمس. فردت عليه الشمس عند ذلك". - قرب الاسناد- الحميري القمي ص ،١٧٥

٢ـ وقال النبيصلى الله عليه وآله: "يكون في هذه الامة كل ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل و [حذو] القذة بالقذة". وقال عزوجل: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وقال عزوجل: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾، فجرت هذه السنة في رد الشمس على أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في هذه الامة، رد الله عليه الشمس مرتين، مرة في أيام رسول اللهصلى الله عليه وآله، ومرة بعد وفاتهصلى الله عليه وآله:

أما في أيامهصلى الله عليه وآله: فروي عن أسماء بنت عميس أنها قالت: "بينما رسول اللهصلى الله عليه وآله نائم ذات يوم ورأسه في حجر عليعليه السلام ففاتته العصر حتى غابت الشمس فقال: "اللهم إن عليا كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس" قالت أسماء: فرأيتها والله غربت ثم طلعت بعد ما غربت ولم يبق جبل ولا أرض طلعت عليه حتى قام عليعليه السلام

←

←

فتوضأ وصلى ثم غربت".

وأما بعد وفاة النبيﷺ فإنه: روي عن جويرية بن مسهر أنه قال: "أقبلنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من قتل الخوارج حتى إذا قطعنا في أرض بابل حضرت صلاة العصر فنزل أمير المؤمنينعليه السلام ونزل الناس، فقال عليعليه السلام: أيها الناس إن هذه أرض ملعونة قد عذبت في الدهر ثلاث مرات وفي خبر آخر مرتين وهي تتوقع الثالثة وهي إحدى المؤتفكات، وهي أول أرض عبد فيها وثن، وإنه لا يحل لنبي ولا لوصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فليصل، فمال الناس عن جنبي الطريق يصلون وركب هوعليه السلام بغلة رسول اللهﷺ ومضى، قال جويرية فقلت: والله لاتبعن أمير المؤمنينعليه السلام ولاقلدنه صلاتي اليوم، فمضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سوراء حتى غابت الشمس فشككت، فالتفت إلي وقال: يا جويرية أشككت؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فنزلعليه السلام [عن] ناحية فتوضأ ثم قام فنطق بكلام لا أحسنه إلا كأنه بالعبراني، ثم نادى الصلاة فنظرت الله إلى الشمس قد خرجت من بين جبلين لها صرير فصلى العصر وصليت معه، فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان فالتفت إلي وقال: يا جويرية بن مسهر الله عزوجل يقول: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ وإني سألت الله عزوجل باسمه العظيم فرد علي الشمس. وروي أن جويرية لما رأى ذلك قال: انت وصي نبي ورب الكعبة". - من لايحضره الفقيه - الشيخ الصدوق ج ١ ص ٢٠٣.

اما من طرق العامة: ١ـ عن فاطمة بنت حسين عن أسماء بنت عميس قالت كان رسول اللهﷺ يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول اللهﷺ اللهم ان عليا كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ورأيتها طلعت بعدما غربت واللفظ لحديث عثمان. - المعجم الكبير - الطبراني ج ٢٤ ص ١٤٧،

٢ـ عن فاطمة بنت علي عن أسماء بنت عميس قالت كان رسول اللهﷺ إذا نزل عليه

←

وغير ذلك مما لا يحصى[١].

وأما أن كل من كان كذلك فهو صادق فلما تقدم[٢] في النبوة.

السادس: أن النبيﷺ أما أن يكون قد نص على إمام أو لا، الثاني باطل لوجهين:

←

الوحي كاد يغشى عليه فأنزل عليه يوما وهو في حجر علي فقال له رسول اللهﷺ صليت العصر يا علي قال لا يا رسول الله فدعا الله فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت فرأيت الشمس طلعت بعدما غابت حين ردت حتى صلى العصر حرة عن أسماء بنت عميس. - المعجم الكبير - الطبراني ج ٢٤ ص ١٤٧.

وقال الفتني في تذكرة الموضوعات:" حديث أسماء في رد الشمس فيه فضيل بن مرزوق ضعيف وله طريق آخر فيه ابن عقدة رافضي رمي بالكذب ورافضي كاذب قلت فضيل صدوق احتج به مسلم والأربعة وابن عقدة من كبار الحفاظ وثقه الناس وما ضعفه إلا عصري متعصب والحديث صرح جماعة بتصحيحه: منهم القاضي عياض، وفي اللآلئ عن أسماء بنت عميس "كانﷺ يوحي إليه ورأسه في حجر عليعليه السلام فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعد ما غربت" قيل هو منكر وقيل موضوع: قلت صرح به جماعة من الحفاظ بأنه صحيح، وفي المقاصد رد الشمس على علي قال أحمد لا أصل له وتبعه ابن الجوزي ولكن صححه الطحاوي وصاحب الشفا وكذا رددت للنبيﷺ". - تذكرة الموضوعات- الفتني ص ٩٦.

وقد فصل القول في هذا الخبر سيدنا المحقق المتتبع اية الله السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان (دام ظله) في كتابه "مزيل اللبس عن حديث رد الشمس".

(١) انظر عيون المعجزات للسيد هاشم البحرانيقدس سره.

(٢) المبحث الاول من مباحث النبوة.

الأول: أن النص على إمام واجب تكميلا للدين وتعيينا لحافظه فلو أخل به رسول الله ﷺ لزم إخلاله بالواجب.

الثاني: أنه ﷺ لما كان من شفقته ورأفته للمكلفين ورعايته لمصالحهم بحيث علمهم مواقع الاستنجاء، والجنابة وغير ذلك، مما لا نسبة له في المصلحة إلى الإمامة، فيستحيل في حكمته وعصمته أن لا يعين لهم من يرجعون إليه في وقائعهم وسد عوراتهم ولم شعثهم، فتعين الأول.

ولم يدع النص لغير علي عليه السلام وأبي بكر إجماعا فبقي أن يكون المنصوص عليه إما عليا عليه السلام أو أبا بكر والثاني باطل[1] فتعين الأول، أما بطلان الثاني فلوجوه:

الأول: أنه لو كان منصوصا عليه لكان توقيف الأمر على البيعة معصية قادحة في إمامته.

الثاني: أنه لو كان منصوصا عليه لذكر ذلك وادعاه في حال بيعته أو بعدها، أو قبلها، إذ لا عطر بعد عرس، لكنه لم يدع ذلك فلم يكن منصوصا عليه.

الثالث: أنه لو كان منصوصا عليه لكانت استقالته من الخلافة في قوله: (أقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم)[2] من أعظم المعاصي، إذ هو

---

(١) انظر الملحق التاسع.

(٢) ١ـ عن الحسن أن أبا بكر الصديق خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن أكيس الكيس التقوى وأحق الحمق الفجور ألا إن الصدق عندي الامانة والكذب الخيانة، ألا إن القوي ضعيف حتى آخذ منه الحق، والضعيف عندي قوي حتى آخذ ←

رد على الله ورسولهﷺ فيكون قادحا في إمامته.

الرابع: أنه لو كان منصوصا عليه لما شك عند موته في استحقاقه الامامة، لكنه شك حيث قال: (يا ليتني كنت سألت رسول الله هل للأنصار في هذا الأمر حق أم لا)[1].

→

له الحق، ألا وإني قد وليت عليكم ولست بخيركم...". - كنز العمال - المتقي الهندي ج ٥ ص ٥٩٩،

٢ـ عن أنس قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر على المنبر... ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أما بعد أيها الناس، فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإنّ أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلا، وأطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. - كنز العمال - المتقي الهندي ج ٥ ص ٦٠٠،

٣ـ عن أبى بكر الصديق أنه كان يقول في حال خلافته: اقيلوني فلست بخيركم. - السير الكبير - الشيباني ج ١ ص ٣٦.

(١) ١ـ عن عبد الرحمن ابن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه قال: قال أبو بكر في مرضه الّذي قبض فيه: أما إني لا آسى من الدنيا إلا على ثلاث فعلتها ووددت أني تركتها، وثلاث تركتها ووددت أني فعلتها، وثلاث وددت أني كنت سألت عنهن رسول اللهﷺ أما الّتي وددت أني تركتها فوددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة وإن كان أعلن علي الحرب. ووددت أني لم أكن أحرقت الفجاءة وأني قتلته سريحا أو أطلقته نجيحا، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الامر في عنق أحد

←

→

الرجلين: عمر، أو أبي عبيدة، فكان أميرا وكنت وزيرا. وأما الّتي تركتها [فوددت أني فعلتها] فوددت أني يوم أتيت بالاشعث أسيرا كنت ضربت عنقه فانه يخيل لي أنه لم ير صاحب شر إلا أعانه، ووددت أني حين سيرت خالدا إلى أهل الردة كنت قدمت إلى قرية فإنّ ظفر المسلمون ظفروا وإن هزموا كيدا كنت بصدد لقاء أو مدد، ووددت أني كنت إذ وجهت خالدا إلى الشام قذفت المشرق لعمر بن الخطاب فكنت بسطت يدي يميني وشمالي في سبيل الله، وأما الّتي وددت أني كنت سألت عنهن رسول اللهﷺ فوددت أني كنت سألته فيمن هذا الامر فلم ننازعه أهله، ووددت أني كنت سألته هل للانصار في هذا الامر نصيب، ووددت أني كنت سألته عن ميراث الاخ والعم، فإنّ في نفسي منها حاجة. -الخصال- الشيخ الصدوق ص ،١٧١

٢ـ وعن عبد الرحمن بن عوف قال دخلت على أبى بكر أعوده في مرضه الّذي توفى فيه فسلمت عليه وسألته كيف أصبحت فاستوى جالسا فقال أصبحت بحمد الله بارئا فقال أما إنى على ما ترى وجع وجعلتم لى شغلا مع وجعى جعلت لكم عهدا من بعدى واخترت لكم خيركم في نفسي فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الامر له ورأيت الدنيا أقبلت ولما تقبل وهى خائنة و ستجدون بيوتكم بستور الحرير ونضائد الديباج وتألمون النوم على الصوف الاذربى كأن أحدكم على حسك السعدان والله لان يقدم أحدكم فيضرب عنقه في غير حد خير له من أن يسبح في غمرة الدنيا ثم قال أما إنى لا آسى على شئ إلا على ثلاث فعلتهن وددت أنى لم أفعلهن وثلاث لم أفعلهن وددت أنى فعلتهن وثلاث وددت أنى سألت رسول اللهﷺ عنهن فاما الثلاث الّتي وددت أنى لم أفعلهن فوددت أنى لم أكن كسفت بيت فاطمة وتركته وأن أعلق على الحرب ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قذفت الامر في عنق أحد الرجلين أبى عبيدة أو عمر وكان أمير المؤمنين وكنت وزيرا ووددت أنى حين وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الردة أقمت بذى القصة فإنّ ظفر المسلمون ظفروا وإلا كنت ردءا ومددا وأما الثلاث اللاتى وددت أنى فعلتها فوددت أنى يوم أتيت بالاشعث أسيرا

←

الخامس: أنه لو كان منصوصا عليه لما أمره رسول الله ﷺ بالخروج مع جيش أسامة[١] بن زيد لأنه ﷺ كان عليلا وقد نعيت إليه نفسه، حتى

→

ضربت عنقه فانه يخيل إلى أنه لا يكون شر إلا طار إليه ووددت أنى يوم أتيت بالعجاة السلمى لم أكن أحرقته وقتلته شريحا أو أطلعته نجيحا ووددت أنى حين وجهت خالد بن الوليد إلى الشام وجهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت يمينى وشمالي في سبيل الله عز وجل وأما الثلاث اللاتى وددت أنى سألت رسول الله ﷺ عنهن فوددت أنى سألته فيمن هذا الامر فلا ينازعه أهله ووددت انى كنت سألته هل للانصار في هذا الامر سبب ووددت أنى سألته عن العمة وبنت الاخ فإنّ في نفسي منهما حاجة. - مجمع الزوائد - الهيثمى ج ٥ ص ٢٠٢. - المعجم الكبير - الطبراني ج ١ ص ٦٢. - كنز العمال - المتقي الهندي ج ٥ ص ٦٣١.

(١) ١ـ قال امير المؤمنين عليه السلام: "ثم كان آخر ما تكلم به في شئ من أمر امته أن يمضي جيش اسامة ولا يتخلف عنه أحد ممن أنهض معه، وتقدم في ذلك أشد التقدم وأوعز فيه أبلغ الايعاز وأكد فيه أكثر التأكيد فلم أشعر بعد أن قبض النبي ﷺ إلا برجال من بعث اسامة بن زيد وأهل عسكره قد تركوا مراكزهم، وأخلوا مواضعهم، وخالفوا أمر رسول الله ﷺ فيما أنهضهم له و أمرهم به وتقدم إليهم من ملازمة أميرهم والسير معه تحت لوائه حتى ينفذ لوجهه الّذي أنفذه إليه، فخلفوا أميرهم مقيما في عسكره، وأقبلوا يتبادرون على الخيل ركضا إلى حل عقدة عقدها الله عز وجل لي ولرسوله ﷺ في أعناقهم فحلوها، وعهد عاهدوا الله ورسوله فنكثوه، وعقدوا لانفسهم عقدا ضجت به أصواتهم واختصت به آراؤهم من غير مناظرة لاحد منا بني عبد المطلب أو مشاركة في رأي أو استقالة لما في أعناقهم من بيعتى، فعلو ذلك وأنا برسول الله ﷺ مشغول وبتجهيزه عن سائر الاشياء مصدود فإنه كان أهمها وأحق ما بدئ به منها، فكان هذا يا أخا اليهود أقرح ما ورد على قلبي مع الّذي أنا فيه من عظيم الرزية، وفاجع المصيبة، وفقد من لا خلف منه إلا الله تبارك وتعالى". - الخصال- الشيخ

←

قال: (نعيت إلي نفسي ويوشك أن أقبض لأنه كان جبرئيل يعارضني

←

الصدوق ص ،٣٧٢

٢ـ "معصية أبي بكر وعمر للرسولﷺ واعتراضاتهما عليه وتخلفه وصاحبه عن جيش أسامة بن زيد مع تسليمهما عليه بالأمرة. - كتاب سليم بن قيس- تحقيق محمد باقر الأنصاري ص ،٢٣٣

٣ـ قال الشيخ المفيد: "فلما سلم انصرف إلى منزله واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضر المسجد من المسلمين ثم قال: (ألم آمر أن تنفذوا جيش اسامة؟!) قالوا: بلى يا رسول الله. قال: (فلم تأخرتم عن أمري؟) فقال أبو بكر: إنني كنت خرجت ثم عدت لأجدد بك عهدا. وقال عمر: يا رسول الله، لم أخرج لأنني لم احب أن أسأل عنك الركب. فقال النبيﷺ: (فانفذوا جيش أسامة فانفذوا جيش اسامة) يكررها ثلاث مرات. ثم أغمي عليه من التعب الّذي لحقه والأسف، فمكث هنيهة مغمى عليه، وبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وولده والنساء المسلمات ومن حضر من المسلمين ". - الارشاد - الشيخ المفيد ج ١ ص ،١٨٣

٤ـ ان ابن جريج قال: بلغني أن النبيﷺ أوصى عند موته بأن لا يترك يهودي ولا نصراني بأرض الحجاز، وأن يمضى جيش أسامة إلى الشام، وأوصى بالقبط خيرا فإنّ لهم قرابة. - المصنف - عبد الرزاق الصنعاني ج ٦ ص ،٥٧

٥ـ أخبرنا ابن جريج قال: بلغني أن النبيﷺ أوصى عند موته بأن لا يترك يهودي ولا نصراني بالحجاز، وأن يمضى جيش أسامة إلى الشام، وأوصى بالقبط خيرا، فإنّ لهم قرابة. - المصنف - عبد الرزاق الصنعاني ج ١٠ ص ،٣٦١

٦ـ عن جابر عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن أبيه عن جده أن رسول اللهﷺ أوصى عند موته بثلاث أوصى أن ينفذ جيش أسامة ولا يسكن معه المدينة إلا أهل دينه قال محمد ونسيت الثالثة. - المعجم الكبير - الطبراني ج ٣ ص ١٣٠.

بالقرآن كل سنة مرة وأنه عارضني به السنة مرتين)[١]، فلو كان والحال هذه والإمام هو أبا بكر لما أمره بالتخلف عنه، لكنهﷺ حث على خروج

---

(١) ١ـ عن عائشة، قالت: أقبلت فاطمةعليها السلام تمشي، كأن مشيتها مشية رسول اللهﷺ، فقال النبي: مرحبا بابنتي، فأجلسها عن يمينه، أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت، ثم أسر إليها حديثا فضحكت، فقلت لها: حدثك رسول الله بحديث فبكيت، ثم حدثك بحديث فضحكت، فما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن من فرحك؟ وسألتها عما قال فقالت: ما كنت لافشي سر رسول اللهﷺ، حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه أسر إلي، فقال: إن جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة واحدة، وإنه عارضني به العام مرتين، ولا أراني إلا وقد حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحوقا بي، ونعم السلف أنا لك، فبكيت لذلك، ثم قال: ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الامة؟ أو نساء المؤمنين، فضحكت لذلك. - الأمالي- الشيخ الصدوق ص ٦٩٢،

٢ـ عن عائشة قالت أقبلت فاطمة تمشى كان مشيتها مشية رسول اللهﷺ فقال مرحبا بابنتى ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم انه أسر إليها حديثا فبكت فقلت لها استخصك رسول اللهﷺ حديثه ثم تبكين ثم انه أسر إليها حديثا فضحكت فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عما قال فقالت ما كنت لافشى سر رسول اللهﷺ حتى إذا قبض النبيﷺ سألتها فقالت انه أسر إلى فقال ان جبريلعليه السلام كان يعارضنى بالقرآن في كل عام مرة وانه عارضنى به العام مرتين ولا أراه الا قد حضر أجلى وانك أول أهل بيتى لحوقا بى ونعم السلف انا لك فبكيت لذلك ثم قال ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة أو نساء المؤمنين قالت فضحكت لذلك. - مسند احمد - الامام احمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٨٢،

٣ـ عن عائشة عن فاطمةعليها السلام اسر إلى النبيﷺ ان جبريل يعارضنى بالقرآن كل سنة وانه عارضنى العام مرتين ولا اراه الا حضر اجلى. - صحيح البخارى - البخاري ج ٦ ص ١٠١.

الكل، ولعن المتخلف وأنكر عليه لما تخلف عنهم.

السادس: أنه لا واحد من غير علي عليه السلام من الجماعة <الّذين> أدعيت لهم الإمامة يصلح لها فتعين هو عليه السلام.

أما الأول: فلأنهم كانوا ظلمة لتقدم كفرهم، فلا ينالهم عهد الإمامة لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

---

(١) البقرة: ١٢٤.

قال: (ثم من بعده ولده الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي الباقر ثم جعفر بن محمد صادق ثم موسى بن جعفر الكاظم ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن علي الجواد ثم علي بن محمد الهادي ثم الحسن بن علي العسكري ثم محمد بن الحسن[١] صاحب الزمان صلوات الله عليهم

---

(١) اختلف الاصحاب في جواز تسمية الامام الثاني عشر باسمه الشريف، فذهب بعضهم كصاحب الوسائلﷺ الى عدم الجواز لكن خصه بزمن التقية وعمم الحكم لسائر الائمة الهداةعليهم السلام انظر الوسائل (طبعة مؤسسة ال البيتعليهم السلام) ج ١٦ ص ٢٣٧، وذهب المحققان الصدوق و المجلسيرحمهما الله الى عدم الجواز مطلقا، وهو الاحوط، والاخبار مختلفة المضامين في هذا الباب فمنها ما اطلق فيه النهي عن التسمية، ومنها ما علل بالخوف عليهعليه السلام، ومنها ما جعل الغاية للنهي هو ظهوره الشريف، وعمدة ما تمسك به المجوزون هو تسميته في بعض الاخبار.

ونقول ان التسمية لاجل التعريف لا تنافي نهي الشيعة عن تسميته بعد ان يعرفوا اسمه اذ لا موضوع للنهي عن التسمية ما لم يُعرفوه لشيعتهم، وجعل الغاية للنهي هي الظهور ينفي التقييد بخصوص التقية، اما في حال التقية فلا خصوصية للحجة ابن الحسنعليه السلام بل لا خصوصية للائمةعليهم السلام اذ مع فرض التقية والتفصي عن مورد الخوف على الشخص يستوي في ذلك حتى عوام الشيعة، لكننا في الاخبار نجد ان النهي خصوصية للامام الثاني عشر "يخفى عنكم شخصه و لا تحل لكم تسميته". ولسان هذه الاخبار ومقتضى الجمع بينها اب عن تخصيصه بزمن التقية كما ذهب اليه الشيخ الحر في الوسائل وبعض المعاصرين في القواعد الفقهية ج ١ ص ٤٩٤. او بزمن الغيبة الصغرى.

والتحقيق هو ما ذهب اليه المحقق المجلسي انظر البحار ج٥١ ص٣٢ حيث قال: "هذه التحديدات مصرحة في نفي قول من خص ذلك بزمان الغيبة الصغرى تعويلا ←

اجمعين، بنص كل سابق منهم على لاحقه وبالأدلة السابقة).

أقول: لما فرغ من إثبات إمامة عليعليه السلام شرع في إثبات إمامة الأئمة[1] القائمين بالأمر بعد ه والدليل على ذلك من وجوه:

الأول: النص من النبيصلى الله عليه وآله فمن ذلك قوله للحسينعليه السلام: (هذا ولدي الحسين إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة تاسعهم قائمهم أفضلهم)[2].

ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾[3]. قلت: يا رسول الله عرفنا الله فأطعناه، وعرفناك فأطعناك، فمن أولي الأمر الّذي أمرنا الله بطاعتهم؟ فقال: هم خلفائي يا جابر وأولياء الأمر بعدي، أولهم أخي علي ثم من بعده الحسن ولده، ثم الحسين، ثم علي بن

→

على بعض العلل المستنبطة والاستبعادات الوهمية".

(١) انظر الملحق السابع للتعرف بايجاز على الائمة الاثني عشر من خلال روايات الكافي الشريف.

(٢) ١ـ عن سلمان الفارسيرضي الله عنه، قال: دخلت على النبيصلى الله عليه وآله، فإذا الحسين بن علي على فخذه، وهو يقبل عينيه ويلثم فاه، ويقول: أنت سيد ابن سيد، أنت إمام ابن إمام أبو أئمة، أنت حجة الله ابن حجته، وأبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم. - الامامة والتبصرة- ابن بابويه القمي ص ،١١٠

٢ـ عن أبي بصير، عن أبي جعفرعليه السلام قال: يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي، تاسعهم قائمهم. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٣٣.

(٣) النساء: ٥٩.

الحسين، ثم محمد بن علي، وستدركه يا جابر فإذا أدركته فاقرأه مني السلام، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم محمد بن الحسن يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما)(١).

ومن ذلك ما روي عنه ﷺ أنه قال: (إن الله اختار من الأيام يوم الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان، ومن الليالي ليلة القدر، واختار من الناس الأنبياء، واختار من الأنبياء الرسل، واختارني من الرسل، اختار مني عليا واختار من علي الحسن والحسين، واختار من الحسين الأوصياء وهم تسعة من ولده ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين).

الثاني: النص المتواتر من كل واحد منهم على لاحقه وذلك كثير لا يحصى، نقلته الإمامية على اختلاف طبقاتهم(٢).

---

(١) "وقال ﷺ: وقد سأله جابر الانصاري عن معنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ قال جابر قلت يارسول الله: عرفنا الله فأطعناه، وعرفناك فأطعناك، فمن أولي الامر <الّذين> أمرنا بطاعتهم؟ فقال: "هم خلفائي يا جابر وأولياء الامر بعدي، أولهم أخي علي ثم بعده ولده الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي الباقر، وستدركه يا جابر فإذا أدركته فاقرأه مني السلام، ثم جعفر الصادق، ثم موسى الكاظم، ثم علي الرضا، ثم محمد الجواد، ثم علي الهادي، ثم الحسن العسكري، ثم الخلف الحجة القائم المنتظر المهدي أئمة بعدي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين". - عوالي اللئالي - ابن ابي جمهور الأحسائي ج ٤ ص ٨٩.

(٢) في النص على الائمة الاثني عشر ﵈: عن الحسن بن الجهم قال: حضرت ←

→

مجلس المأمون يوما وعنده علي بن موسى الرضاعليه السلام وقد اجتمع الفقهاء وأهل الكلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له: يا بن رسول الله بأي شئ تصح الامامة لمدعيها؟ قال بالنص والدليل... عيون أخبار الرضاعليه السلام - الشيخ الصدوق ج ١ ص ٢١٧.

وفيه مقامان

المقام الاول: النصوص العامة

١ـ "سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول: فرض الله عز وجل على العباد خمسا، أخذوا أربعا وتركوا واحدا، قلت: أتسميهن لي جعلت فداك؟ فقال: الصلاة وكان الناس لا يدرون كيف يصلون، فنزل جبرئيلعليه السلام فقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم، ثم نزلت الزكاة فقال: يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم، ثم نزل الصوم فكان رسول اللهصلى الله عليه وآله إذا كان يوم عاشورا بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال، ثم نزل الحج فنزل جبرئيلعليه السلام فقال: أخبرهم من حجهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم. ثم نزلت الولاية وإنما أتاه ذلك في يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله عز وجل ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ وكان كمال الدين بولاية علي ابن أبي طالبعليه السلام فقال عند ذلك رسول اللهصلى الله عليه وآله: امتي حديثوا عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم بهذا في ابن عمي يقول قائل، ويقول قائل - فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني - فأتتني عزيمة من الله عز وجل بتلة أوعدني إن لم ابلغ أن يعذبني، فنزلت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ فأخذ رسول اللهصلى الله عليه وآله بيد عليعليه السلام فقال: أيها الناس إنه لم يكن نبي من الانبياء ممن كان قبلي إلا وقد عمره الله، ثم دعاه فأجابه، فاوشك أن ادعى فاجيب وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟ فقالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت، وأديت ما عليك فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين، فقال: اللهم اشهد - ثلاث مرات

←

←

- ثم قال: يا معشر المسلمين هذا وليكم من بعدي فليبلغ الشاهد منكم الغائب. قال أبو جعفر عليه السلام: كان والله علي عليه السلام أمين الله على خلقه وغيبه ودينه الّذي ارتضاه لنفسه، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله حضره الّذي حضر، فدعا عليا فقال: يا علي إني اريد أن أئتمنك على ما ائتمنني الله عليه من غيبه وعلمه ومن خلقه ومن دينه الّذي ارتضاه لنفسه فلم يشرك والله فيها يا زياد أحدا من الخلق ثم إن عليا عليه السلام حضره الّذي حضره فدعا ولده وكانوا اثنا عشر ذكرا فقال لهم: يا بني إن الله عز وجل قد أبى إلا أن يجعل في سنة من يعقوب وإن يعقوب دعا ولده وكانوا اثنا عشر ذكرا، فأخبرهم بصاحبهم، ألا وإني أخبركم بصاحبكم، إلا إن هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فاسمعوا لهما وأطيعوا، ووازروهما فإني قد ائتمنتهما على ما ائتمنني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله مما ائتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه ومن دينه الّذي ارتضاه لنفسه، فأوجب الله لهما من علي عليه السلام ما أوجب لعلي عليه السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن لاحد منهما فضل على صاحبه إلا بكبره، وإن الحسين كان إذ حضر الحسن لم ينطق في ذلك المجلس حتى يقوم، ثم إن الحسن عليه السلام حضره الّذي حضره فسلم ذلك إلى الحسين عليه السلام، ثم إن حسينا حضره الّذي حضره فدعا ابنته الكبرى فاطمة - بنت الحسين عليه السلام - فدفع إليها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة و كان علي بن الحسين عليه السلام مبطونا لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا. الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن منصور بن يونس، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام مثله.

٢ـ عن أبي بصير قال: قلت لابي جعفر عليه السلام: إن رجلا من المختارية لقيني فزعم أن محمد بن الحنفية إمام، فغضب أبو جعفر عليه السلام، ثم قال: أفلا قلت له؟ قال قلت: لا والله ما دريت ما أقول، قال: أفلا قلت له: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى إلى علي والحسن والحسين فلما مضى علي عليه السلام أوصى إلى الحسن والحسين ولو ذهب يزويها عنهما لقالا له: نحن وصيان مثلك ولم يكن ليفعل ذلك، وأوصى الحسن إلى الحسين ولو

←

←

ذهب يزويها عنه لقال: أنا وصي مثلك من رسول الله‌ﷺ ومن أبي ولم يكن ليفعل ذلك، قال الله عزوجل: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ هي فينا وفي أبنائنا". - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٩٠ وما بعدها.

٣ـ عن أبي بصير، عن أبي عبد الله‌عليه‌السلام قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الانصاري إن لي إليك حاجة فمتى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها، فقال له جابر: أي الاوقات أحببته فخلا به في بعض الايام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الّذي رأيته في يد أمي فاطمة‌عليها‌السلام بنت رسول الله‌ﷺ وما أخبرتك به امي أنه في ذلك اللوح مكتوب؟ فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على امك فاطمة‌عليها‌السلام في حياة رسول الله‌ﷺ فهنيتها بولادة الحسين ورأيت في يديها لوحا أخضر، ظننت أنه من زمرد ورأيت فيه كتابا أبيض، شبه لون الشمس، فقلت لها: بأبي وامي يا بنت رسول الله‌ﷺ ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله إلى رسول الله‌ﷺ فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الاوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك، قال جابر فأعطتنيه امك فاطمة‌عليها‌السلام فقرأته واستنسخته، فقال له أبي: فهل لك يا جابر: أن تعرضه علي قال: نعم، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق، فقال: يا جابر انظر في كتابك لاقرأ أنا عليك، فنظر جابر في نسخته فقرأه أبي فما خالف حرف حرفا، فقال جابر: فأشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوبا. بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح الامين من عند رب العالمين، عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي، إني أنا الله إله إلا أنا قاصم الجبارين ومديل المظلومين وديان الدين، إني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي، عذبته عذابا لا اعذبه أحدا من العالمين فإياي فاعبد وعلي فتوكل، إني لم أبعث نبيا فأكملت أيامه و انقضت مدته إلا جعلت له وصيا وإني فضلتك على الانبياء وفضلت وصيك على الاوصياء وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين، فجعلت حسنا معدن علمي، بعد انقضاء

←

←

مدة أبيه وجلعت حسينا خازن وحيي وأكرمته بالشهادة وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامة معه و حجتي البالغة عنده، بعترته اثيب واعاقب، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين وابنه شبه جده المحمود محمد الباقر علمي والمعدن لحكمتي سيهلك المرتابون في جعفر، الراد عليه كالراد علي، حق القول مني لاكرمن مثوى جعفر ولاسرنه في أشياعه وأنصاره وأوليائه، اتيحت بعده موسى فتنة عمياء حندس لان خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفى وأن أوليائي يسقون بالكأس الاوفى، من جحد واحدا منهم فقد جحد نعمتي ومن غير آية من كتابي فقد افترى علي، ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي وليي وناصري و من أضع عليه أعباء النبوة وأمتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينة الّتي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي حق القول مني لاسرنه بمحمد ابنه وخليفته من بعده ووارث علمه، فهو معدن علمي وموضع سري وحجتي على خلقي لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني علي وحيي، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن واكمل ذلك بابنه " م ح م د " رحمة للعالمين، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب فيذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون و يكونون خائفين، مرعوبين، وجلين، تصبغ الارض بدمائهم ويفشو الويل والرنا في نسائهم أولئك أوليائي حقا، بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والاغلال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون. قال عبد الرحمن بن سالم: قال أبو بصير: لو لم تسمع في دهرك، إلا هذا الحديث لكفاك، فصنه إلا عن أهله. الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٢٧،

٤ـ عن سليم بن قيس قال: سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنا عند معاوية، أنا

←

←

والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن ام سلمة واسامة بن زيد، فجرى بيني وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثم أخي علي بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد علي فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا علي، ثم ابنه محمد بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين، ثم تكمله اثني عشر إماما تسعة من ولد الحسين، قال عبد الله بن جعفر: واستشهدت الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن ام سلمة واسامة بن زيد، فشهدوا لي عند معاوية، قال سليم: وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٥٢٩.

المقام الثاني: النصوص المختصة

اولا: النص على الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام

١ـ عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: لما أن قضى محمد نبوته، واستكمل أيامه، أوحى الله تعالى إليه أن يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الّذي عندك والايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب، فإني لن أقطع العلم والايمان والاسم الاكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من ذريات الانبياء. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٩٢.

وقد تقدمت بعض النصوص الدالة على امامته عليه السلام

ثانيا: النص على الامام الحسن بن علي عليهما السلام

١ـ عن سليم بن قيس قال: شهدت وصية أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمدا وجميع ولده ورؤساء شيعته

←

←

وأهل بيته، ثم دفع إليه الكتاب والسلاح وقال لابنه الحسن عليه السلام: يا بني أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن اوصي إليك وأن أدفع إليك كتبي وسلاحي كما أوصى إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ودفع إلى كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين عليه السلام، ثم اقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال، وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثم أخذ بيد علي بن الحسين عليه السلام ثم قال لعلي بن الحسين: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله أن تدفعها إلى ابنك محمد بن علي واقرأه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومني السلام.

٢ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه لما حضره الّذي حضره قال لابنه الحسن: ادن مني حتى اسر إليك ما أسر رسول اله صلى الله عليه وآله إلي، وأئتمنك على ما ائتمنني عليه، ففعل.

٣ـ عن أبي بكر الحضرمي قال: حدثني الاجلح وسلمة بن كهيل وداود بن أبي يزيد وزيد اليمامي قالوا: حدثنا شهر بن حوشب: أن عليا عليه السلام حين سار إلى الكوفة استودع ام سلمة كتبه والوصية، فلما رجع الحسن عليه السلام دفعتها إليه. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٢٩٧.

ثالثا: النص على الامام الحسين بن علي عليهما السلام

١ـ عن محمد ابن مسلم قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول: لما حضر الحسن بن علي عليهما السلام الوفاة قال للحسين عليه السلام: يا أخي إني اوصيك بوصية فاحفظها، إذا أنا مت فهيئني ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لاحدث به عهدا ثم اصرفني إلى امي عليها السلام ثم ردني فادفني بالبقيع، واعلم أنه سيصيبني من عائشة ما يعلم الله والناس صنيعها وعداوتها لله ولرسوله وعداوتها لنا أهل البيت، فلما قبض الحسن عليه السلام [و] وضع على السرير ثم انطلقوا به إلى مصلى رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي كان يصلي فيه على الجنائز فصلى عليه الحسين عليه السلام وحمل وادخل إلى المسجد فلما اوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب ذو العوينين إلى عائشة فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوا مع النبي صلى الله عليه وآله فخرجت مبادرة على بغل بسرج - فكانت أول امرأة ركبت في الاسلام سرجا - فقالت نحوا

→

←

ابنكم عن بيتي، فإنه لا يدفن في بيتي ويهتك على رسول الله حجابه، فقال لها الحسين عليه السلام: قديما هتكت أنت وأبوك حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأدخلت عليه ببيته من لا يحب قربه، وإن الله سائلك عن ذلك يا عائشة.

٢ـ عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما حضرت الحسن بن علي عليهما السلام الوفاة، قال: يا قنبر انظر هل ترى من وراء بابك مؤمنا من غير آل محمد عليهم السلام؟ فقال: الله تعالى ورسوله وابن رسوله أعلم به مني، قال: ادع لي محمد بن علي، فأتيته فلما دخلت عليه، قال: هل حدث إلا خير؟ قلت: أجب أبا محمد فعجل على شسع نعله، فلم يسوه وخرج معي يعدو، فلما قام بين يديه سلم، فقال له الحسن بن علي عليهما السلام: اجلس فإنه ليس مثلك يغيب عن سماع كلام يحيى به الاموات، ويموت به الاحياء، كونوا أوعية العلم، ومصابيح الهدى، فإنّ ضوء النهار بعضه أضوء من بعض. أما علمت أن الله جعل ولد إبراهيم عليه السلام أئمة، وفضل بعضهم على بعض، وآتى داود عليه السلام زبورا وقد علمت بما استأثر به محمدا صلى الله عليه وآله يا محمد بن علي إني أخاف عليك الحسد وإنما وصف الله به الكافرين، فقال الله عزوجل: ﴿كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ ولم يجعل الله عزوجل للشيطان عليك سلطانا، يا محمد بن علي ألا اخبرك بما سمعت من أبيك فيك؟ قال: بلى، قال: سمعت أباك عليه السلام يقول يوم البصرة: من أحب ان يبرني في الدينا والآخرة فليبر محمدا ولدي، يا محمد بن علي لو شئت أن اخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لاخبرتك، يا محمد بن علي أما علمت أن الحسين بن علي عليهما السلام بعد وفاة نفسي، ومفارقة روحي جسمي، إمام من بعدي، وعند الله جل اسمه في الكتاب، وراثة من النبي صلى الله عليه وآله أضافها الله عزوجل له في وراثة أبيه وامه فعلم الله أنكم خيرة خلقه، فاصطفى منكم محمدا صلى الله عليه وآله واختار محمد عليا عليه السلام واختارني علي عليه السلام بالامامة واخترت أنا الحسين عليه السلام، فقال له محمد بن علي: أنت إمام وأنت وسيلتي إلى محمد صلى الله عليه وآله والله لوددت أن نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام ألا وإن في رأسي كلاما لا تنزفه الدلاء ولا تغيره نغمة الرياح،

←

→

كالكتاب المعجم في الرق المنمنم أهم بابدائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل أو ما جاءت به الرسل، وإنه لكلام يكل به لسان الناطق، ويد الكاتب، حتى لا يجد قلما، ويؤتوا بالقرطاس حمما فلا يبلغ إلى فضلك وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة إلا بالله، الحسين أعلمنا علما، و أثقلنا حلما، وأقربنا من رسول الله ﷺ رحما، كان فقيها قبل أن يخلق، وقرأ الوحي قبل أن ينطق، ولو علم الله في أحد خيرا ما اصطفى محمدا ﷺ، فلما اختار الله محمدا واختار محمد عليا واختارك علي إماما واخترت الحسين، سلمنا ورضينا، من [هو] بغيره يرضى و [من غيره] كنا نسلم به من مشكلات أمرنا. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٠٠.

رابعا: النص على الامام علي بن الحسين عليهما السلام

١ـ عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الحسين بن علي عليهما السلام لما حضره الّذي حضره، دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فدفع إليها كتابا ملفوفا ووصية ظاهرة وكان علي بن الحسين عليهما السلام مبطونا معهم لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين عليه السلام ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا يا زياد قال: قلت: ما في ذلك الكتاب جلعني الله فداك؟ قال: فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفنى الدنيا، والله إن فيه، الحدود، حتى أن فيه أرش الخدش.

٢ـ عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضر الحسين عليه السلام ما حضره، دفع وصيته إلى ابنته فاطمة ظاهرة في كتاب مدرج، فلما أن كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان، دفعت ذلك إلى علي بن الحسين عليهما السلام، قلت له: فما فيه - يرحمك الله -؟ فقال: ما يحتاج إليه ولد آدم منذ كانت الدنيا إلى أن تفنى.

٣ - عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الحسين صلوات الله عليه لما صار إلى العراق استودع ام سلمة رضي الله عنها الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين عليه السلام دفعتها إليه. ـ الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٠٣.

←

→

خامسا: النص على الامام محمد بن علي عليهما السلام

١ـ عن محمد بن عبد الله عن عيسى بن عبد الله، عن أبيه، عن جده قال: التفت علي بن الحسين عليهما السلام إلى ولده وهو في الموت وهم مجتمعون عنده، ثم التفت إلى محمد بن علي فقال: يا محمد هذا الصندوق اذهب به إلى بيتك، قال: أما إنه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكن كان مملوءا علما.

٢ـ عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن حزم أن يرسل إليه بصدقة علي وعمر وعثمان وإن ابن حزم بعث إلى زيد بن الحسن وكان أكبرهم، فسأله الصدقة، فقال زيد: إن الوالي كان بعد علي الحسن، وبعد الحسن الحسين، وبعد الحسين علي بن الحسين، وبعد علي ابن الحسين محمد بن علي، فابعث إليه فبعث ابن حزم إلى أبي، فأرسلني أبي بالكتاب إليه حتى دفعته إلى ابن حزم. فقال له بعضنا: يعرف هذا ولد الحسن؟ قال: نعم كما يعرفون أن هذا ليل ولكنهم يحملهم الحسد ولو طلبوا الحق بالحق لكان خيرا لهم ولكنهم يطلبون الدنيا. الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن عبد الكريم بن عمرو، عن ابن أبي يعقور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول؟ إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى ابن حزم، ثم ذكر مثله إلا أنه قال: بعث ابن حزم إلى زيد بن الحسن و كان أكبر من أبي عليه السلام. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٠٥.

سادسا: النص على الامام جعفر بن محمد عليهما السلام

١ـ عن أبي الصباح الكناني قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام يمشي فقال: ترى هذا؟ هذا من <الذين> قال الله عزوجل: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾.

٢ـ عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما حضرت أبي عليه السلام الوفاة قال: يا جعفر اوصيك بأصحابي خيرا، قلت: جعلت فداك والله لادعنهم - والرجل منهم

←

←

يكون في المصر - فلا يسأل أحدا.

٣ـ عن سدير الصيرفي قال: سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول: إن من سعادة الرجل أن يكون له الولد، يعرف فيه شبه خلقه وخلقه وشمائله، وإني لاعرف من ابني هذا شبه خلقي وخلقي وشمائلي، يعني أبا عبد اللهعليه السلام.

٤ـ عن علي بن الحكم، عن طاهر قال: كنت عند أبي جعفرعليه السلام فأقبل جعفرعليه السلام فقال أبو جعفرعليه السلام: هذا خير البرية أو أخير. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٠٦.

سابعا: النص على الامام موسى بن جعفرعليهما السلام

١ـ عن الفيض بن المختار قال: قلت لابي عبد اللهعليه السلام خذ بيدي من النار من لنا بعدك؟ فدخل عليه أبو إبراهيمعليه السلام - وهو يومئذ غلام - فقال: هذا صاحبكم، فتمسك به.

٢ـ عن ثبيت عن معاذ بن كثير، عن ابي عبد اللهعليه السلام قال: قلت له: أسأل الله الّذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها، فقال: قد فعل الله ذلك قال: قلت: من هو - جعلت فداك -؟ فأشار إلى العبد الصالح وهو راقد فقال: هذا الراقد وهو غلام.

٣ـ عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت عبد الرحمن في السنة الّتي اخذ فيها أبو الحسن الماضيعليه السلام فقلت له: إن هذا الرجل قد صار في يد هذا وما ندري إلى ما يصير فهل بلغك عنه في أحد من ولده شئ؟ فقال لي: ما ظننت أن أحدا يسألني عن هذه المسألة، دخلت على جعفر بن محمد في منزله فإذا هو في بيت كذا في داره في مسجد له وهو يدعو وعلى يمنيه موسى بن جعفرعليه السلام يؤمن على دعائه، فقلت له، جعلني الله فداك قد عرفت انقطاعي إليك وخدمتي لك، فمن ولي الناس بعدك؟ فقال: إن موسى قد لبس الدرع وساوى عليه، فقلت له: لا أحتاج بعد هذا إلى شئ. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٠٧.

→

←

ثامنا: النص على الامام علي بن موسى عليه السلام

١ـ عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: كنت وأنا وهشام بن الحكم وعلي بن يقطين ببغداد، فقال علي بن يقطين: كنت عند العبد الصالح جالسا فدخل عليه ابنه علي فقال لي: يا علي بن يقطين هذا علي سيد ولدي، أما إني قد نحلته كنيتي، فضرب هشام بن الحكم براحته جبهته، ثم قال: ويحك كيف قلت؟ فقال علي بن يقطين: سمعت والله منه كما قلت، فقال هشام: أخبرك أن الامر فيه من بعده. أحمد بن مهران، عن محمد بن علي، عن الحسين بن نعيم الصحاف قال: كنت عند العبد الصالح "وفي نسخة الصفواني" قال: كنت أنا - ثم ذكر مثله -.

٢ـ عن نعيم القابوسي عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: إن ابني عليا أكبر ولدي وأبرهم عندي وأحبهم إلي وهو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي.

٣ـ عن داود الرقي قال: قلت لابي إبراهيم عليه السلام: جعلت فداك إني قد كبر سني، فخذ بيدي من النار، قال: فأشار إلى ابنه أبي الحسن عليه السلام، فقال: هذا صاحبكم من بعدي. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣١١،

٤ـ عن محمد بن علي وعبيد الله بن المرزبان عن ابن سنان قال: دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام من قبل أن يقدم العراق بسنة وعلي ابنه جالس بين يديه، فنظر إلي فقال: يا محمد أما إنه سيكون في هذه السنة حركة، فلا تجزع لذلك، قال: قلت: وما يكون جعلت فداك؟ فقد أقلقني ما ذكرت فقال: أصير إلى الطاغية، أما إنه لا يبداني منه سوء ومن الّذي يكون بعده، قال: قلت: وما يكون جعلت فداك؟ قال: يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء، قال: قلت: وما ذاك جعلت فداك؟ قال: من ظلم ابني هذا حقه وجحد إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب حقه وجحده إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: قلت: والله لئن مد الله لي في العمر لاسلمن له حقه ولاقرن له بإمامته، قال: صدقت يا محمد يمد الله في عمرك وتسلم له حقه وتقر له بامامته من يكون من بعده، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال محمد ابنه، قال: قلت: له الرضا

←

←

والتسليم. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣١٩.

تاسعا: النص على الامام محمد بن علي عليهما السلام

١ـ عن يحيى بن حبيب الزيات قال: أخبرني من كان عند أبي الحسن الرضا عليه السلام جالسا، فلما نهضوا قال لهم: القوا أبا جعفر فسلموا عليه وأحدثوا به عهدا، فلما نهض القوم التفت إلي فقال: يرحم الله المفضل إنه كان ليقنع بدون هذا.

٢ـ عن معمر بن خلاد قال: سمعت الرضا عليه السلام وذكر شيئا فقال: ما حاجتكم إلى ذلك، هذا أبو جعفر قد أجلسته مجلسي وصيرته مكاني وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا القذة بالقذة.

٣ـ عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه محمد بن عيسى قال: دخلت على أبي جعفر الثاني عليه السلام فناظرني في أشياء، ثم قال لي: يا أبا علي ارتفع الشك ما لابي غيري.

٤ـ عن الحسين بن بشار قال: كتب أبن قياما إلى أبي الحسن عليه السلام كتابا يقول فيه: كيف تكون إماما وليس لك ولد؟ فأجابه أبو الحسن الرضا عليه السلام - شبه المغضب -: وما علمك أنه لا يكون لي ولد والله لا تمضي الايام والليالي حتى يرزقني الله ولدا ذكرا يفرق به بين الحق والباطل.

٥ـ عن ابن أبي نصر قال: قال لي ابن النجاشي: من الامام بعد صاحبك؟ فأشتهي أن تسأله حتى أعلم، فدخلت على الرضا عليه السلام فأخبرته، قال: فقال لي: الامام ابني، ثم قال: هل يتجرى أحد أن يقول ابني وليس له ولد. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٢٠.

عاشرا: النص على الامام علي بن محمد عليهما السلام

١ـ عن إسماعيل بن مهران قال: لما خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة إلى بغداد في الدفعة الاولى من خرجتيه، قلت له عند خروجه: جعلت فداك إني أخاف عليك في هذا الوجه، فإلى من الامر بعدك؟ فكر بوجهه إلي ضاحكا وقال ليس الغيبة حيث ظننت في هذه السنة، فلما اخرج به الثانية إلى المعتصم صرت إليه فقلت له: جعلت

←

←

فداك أنت خارج فإلى من هذا الامر من بعدك؟ فبكى حتى اخضلت لحيته، ثم التفت إلي فقال: عند هذه يخاف علي، الامر من بعدي إلى ابني علي.

٢ـ عن الخيراني عن أبيه أنه قال: كان يلزم باب أبي جعفرعليه السلام للخدمة الّتي كان وكل بها وكان أحمد بن محمد بن عيسى يجيئ في السحر في كل ليلة ليعرف خبر علة أبي جعفرعليه السلام وكان الرسول الّذي يختلف بين أبي جعفرعليه السلام وبين أبي إذا حضر قام أحمد وخلا به أبي، فخرجت ذات ليله وقام أحمد عن المجلس وخلا أبي بالرسول واستدار أحمد فوقف حيث يسمع الكلام، فقال الرسول لابي: إن مولاك يقرأ عليك السلام ويقول لك: إني ماضي والامر صائر إلى ابني علي وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبي ثم مضى الرسول ورجع أحمد إلى موضعه وقال لابي ما الّذي قد قال لك؟ قال: خيرا، قال: قد سمعت ما قال، فلم تكتمه؟ وأعاد ما سمع فقال له أبي: قد حرم الله عليك ما فعلت لان الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ فاحفظ الشهادة لعلنا نحتاج إليها يوما ما وإياك أن تظهرها إلى وقتها. فلما أصبح أبي كتب نسخة الرسالة في عشر رقاع وختمها ودفعها إلى عشرة من وجوه العصابة وقال: إن حدث بي حدث الموت قبل أن اطالبكم بها فافتحوها واعملوا بما فيها، فلما مضى أبو جعفرعليه السلام ذكر أبي أنه لم يخرج من منزله حتى قطع على يديه نحو من أربعمائة إنسان واجتمع رؤساء العصابة عند محمد بن الفرج يتفاوضون هذا الامر، فكتب محمد بن الفرج إلى أبي يعلمه باجتماعهم عنده وأنه لولا مخافة الشهرة لصار معهم إليه ويسأله أن يأتيه، فركب أبي وصار إليه، فوجد القوم مجتمعين عنده، فقالوا لابي: ما تقول في هذا الامر؟ فقال أبي لمن عنده الرقاع: احضروا الرقاع فأحضروها، فقال لهم: هذا ما امرت به، فقال بعضهم: قد كنا نحب أن يكون معك في هذا الامر شاهد آخر؟ فقال لهم: قد آتاكم الله عزوجل به هذا أبو جعفر الاشعري يشهد لي بسماع هذه الرسالة وسأله أن يشهد بما عنده، فأنكر أحمد أن يكون سمع من هذا شيئا فدعاه أبي إلى المباهلة، فقال: لما حقق عليه، قال: قد سمعت ذلك وهذا مكرمة كنت احب أن تكون لرجل

←

→

من العرب لا لرجل من العجم: فلم يبرح القوم حتى قالوا بالحق جميعا. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٢٣.

حادي عشر: النص على الامام الحسن بن علي عليهما السلام

١ـ عن يحيى بن يسار القنبري قال: أوصى أبو الحسن عليه السلام إلى ابنه الحسن قبل مضيه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي.

٢ـ عن علي بن عمر النوفلي قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام في صحن داره، فمر بنا محمد ابنه فقلت له: جلعت فداك هذا صاحبنا بعدك؟ فقال: لا، صاحبكم بعدي الحسن.

٣ـ عن عبد الله بن محمد الاصفهاني قال: قال أبو الحسن عليه السلام: صاحبكم بعدي الّذي يصلي علي، قال: ولم نعرف أبا محمد قبل ذلك، قال: فخرج أبو محمد فصلى عليه.

٤ـ عن علي بن جعفر قال: كنت حاضرا أبا الحسن عليه السلام لما توفي ابنه محمد فقال للحسن: يا بني أحدث لله شكرا فقد أحدث فيك أمرا.

٥ـ عن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مروان الانباري قال: كنت حاضرا عند مضي أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فجاء أبو الحسن عليه السلام فوضع له كرسي فجلس عليه، وحوله أهل بيته، وأبو محمد قائم في ناحية، فلما فرغ من أمر أبي جعفر التفت إلى أبي محمد عليه السلام فقال: يا بني أحدث لله تبارك وتعالى شكرا فقد أحدث فيك أمرا. - الكافي - الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٢٥.

ثاني عشر: النص على الامام الحجة ابن الحسن عجل الله فرجه

١ـ عن محمد بن علي بن بلال قال: خرج إلي من أبي محمد قبل مضيه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إلى من قبل مضيه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده.

٢ - عن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لابي محمد عليه السلام: جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أن أسألك؟ فقال: سل، قلت: يا سيدي هل لك ولد؟ فقال: نعم، فقلت: فإنّ بك حدث فأين أسأل عنه؟ فقال: بالمدينة.

←

الثالث: أن الإمام يجب أن يكون معصوما ولا شئ من غيرهم بمعصوم فلا شئ من غيرهم بإمام.

أما الأول: فقد مر بيانه.

وأما الثاني: فبالإجماع أنه لم تدع العصمة في أحد في زمان كل واحد منهم فيكونون هم الأئمةعليهم السلام وبيانه كما تقدم.

الرابع: أنهم كانوا أفضل من كل واحد من أهل زمانهم، وذلك معلوم في كتب السير والتواريخ فيكونون أئمة لقبح تقديم المفضول على الفاضل.

الخامس: أن كل واحد منهم ادعى الإمامة وظهر المعجز على يده فيكون إماما.

وبيان ذلك: قد تقدم، ومعجزاتهم قد نقلتها الإمامية في كتبهم فعليك في ذلك بكتاب خرائج الجرائح للراوندي وغيره من الكتب في هذا الفن.

←

٣ـ عن عمرو الاهوازي قال: أراني أبو محمد ابنه وقال: هذا صاحبكم من بعدي.

٤ـ عن حمدان القلانسي قال: قلت للعمري: قد مضى أبو محمد؟ فقال لي: قد مضى ولكن قد خلف فيكم من رقبته مثل هذه، وأشار بيده.

٥ـ عن أحمد بن محمد بن عبد الله قال: خرج عن أبي محمدعليه السلام حين قتل الزبيري لعنه الله هذا جزاء من اجترأ على الله في أوليائه، يزعم أنه يقتلني وليس لي عقب، فكيف رأى قدرة الله فيه، وولد له ولد سماه "م ح م د" في سنه ست وخمسين ومائتين. – الكافي – الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٢٨.

وقد اوفى التتبع حقه فاغنى الباحثين ويسر الطريق سيدنا الاعظم اية الله السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله) في كتابه (في رحاب العقيدة الجزء الثالث) فراجع.

فائدة

الإمام الثاني عشر عليه السلام حي موجود من حين ولادته، وهي سنة ست وخمسين ومائتين[١] إلى آخر زمان التكليف[٢] لأن كل زمان لا بد فيه من

---

(١) قال الشيخ الكليني انه ولد سنة خمس وخمسين ومائتين. الكافي ج١ ص ٥١٤. وكذلك الشيخ المفيد في الارشاد ج ٢ ص ٣٣٩. ولكن القول بان ولادته المقدسة كانت سنة ست وخمسين ومائتين قول معروف ايضا ذكره الكليني في اول روايات مولده الشريف، والظاهر انه من كلام الراوي لا الامام عليه السلام.

(٢) ظاهره انقضاء التكليف بموت الامام الثاني عشر عجل الله فرجه وقد ورد في اخبارنا ان الامام بعد المهدي هو الحسين بن علي عليهما السلام وهو من يغسل المهدي ويحكم مدة طويلة تبلغ ثلاثمائة وثلاثة عشر عاما، ويرجع الرسول الاعظم والائمة عليهم السلام واخر الائمة رجوعا هو امير المؤمنين عليه السلام وبهذا لا يكون اخر زمن الامام المهدي عجل الله فرجه اخر ازمنة التكليف.

عن ابي عبد الله عليه السلام: ان آخر من يموت الامام عليه السلام لئلا يحتج احد على الله انه تركه بغير حجة عليه. - مختصر بصائر الدرجات- الحسن بن سليمان الحلي ص ٢١١.

وقال الشيخ حسن بن سليمان الحلي رحمه الله: "المراد بالامام هنا الّذي هو آخر من يموت من الجنس لان الحجة تقوم على الخلق بمنذر أو هاد في الجملة دون المشار إليه صلى الله عليه على ما ورد عنهم صلوات الله عليهم فيما تقدم من ان الحسين بن علي عليهما السلام هو الّذي يغسل المهدي عجل الله فرجه ويحكم بعده في الدنيا ما شاء الله. ويجب على من يقر لآل محمد صلى الله عليه وعليهم بالامامة وفرض الطاعة ان يسلم إليهم فيما يقولون ولا يرد شيئا من حديثهم المروي عنهم إذا لم يخالف الكتاب والسنة المتفق عليهما ورجعتهم صلوات الله عليهم جاءت في الكتاب والسنة لاريب فيها والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله اجمعين. - مختصر بصائر الدرجات- الحسن بن سليمان الحلي ص ،٢١١

٢ـ عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "يملك القائم عجل الله فرجه تسع

←

←

عشرة سنة وأشهرا". - كتاب الغيبة- محمد بن ابراهيم النعماني ص ٣٣١. - كتاب الغيبة- محمد بن ابراهيم النعماني ص ،٣٣١

٣ـ عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن على عليهما السلام يقول: "والله ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعا، قال: فقلت له: و متى يكون ذلك؟ قال: بعد موت القائم عليه السلام، قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتى يموت؟ فقال: تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته". - كتاب الغيبة- محمد بن ابراهيم النعماني ص ٣٣١. - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٥٢ ص ٢٩٨. قال الشيخ المجلسي رحمه الله: "بيان: إشارة إلى ملك الحسين عليه السلام أو غيره من الائمة في الرجعة". - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٥٢ ص ،٢٩٩

٤ـ "عن محمد بن مسلم قال: سمعت حمران بن أعين وأبا الخطاب يحدثان جميعا قبل أن يحدث أبو الخطاب ما أحدث أنهما سمعا أبا عبد الله عليه السلام يقول: أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا، الحسين بن علي عليه السلام وإن الرجعة ليست بعامة، وهي خاصة لا يرجع إلا من محض الايمان محضا أو محض الشرك محضا". - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٥٣ ص ،٣٩

٥ـ عن بكير بن أعين قال: قال لي: من لا أشك فيه يعني أبا جعفر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعليا سيرجعان. - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٥٣ ص ،٣٩

٦ـ عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أسرى بي ربي عزوجل فأوحى إلي من وراء حجاب ما أوحى، وكلمني بما كلم به وكان مما كلمني به أن قال: يا محمد إني أنا الله لا إله إلا أنا عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني أنا الله لا إله إلا أنا الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، إني أنا الله لا إله إلا أنا الخالق البارئ المصور، لي الأسماء الحسنى، يسبح لي من في السموات والأرض، وأنا العزيز الحكيم. يا محمد إني أنا الله لا إله إلا أنا الأول فلا شئ قبلي، وأنا الآخر فلا شئ بعدي، وأنا الظاهر فلا شئ

←

إمام معصوم لعموم الدلالة، وغيره ليس بمعصوم فيكون هو الإمام.

وأما استبعاد بقاء مثله فباطل، لأن ذلك ممكن خصوصا و قد وقع في الأزمنة السالفة في حق السعداء[١] والأشقياء[٢] ما هو أزيد من عمرهعليه السلام.

وأما سبب[٣] خفائهعليه السلام، فإما لمصلحة استأثره بعلمها أو لكثرة العدو وقلة الناصر، لأن حكمته تعالى وعصمتهعليه السلام لا يجوز معهما منع اللطف فيكون من الغير المعادي وذلك هو المطلوب.

اللهم عجل فرجه وأرنا فلجه واجعلنا من أعوانه وأتباعه وأرزقنا طاعته ورضاه واعصمنا من مخالفته وسخطه بحق الحق والقائل بالصدق.

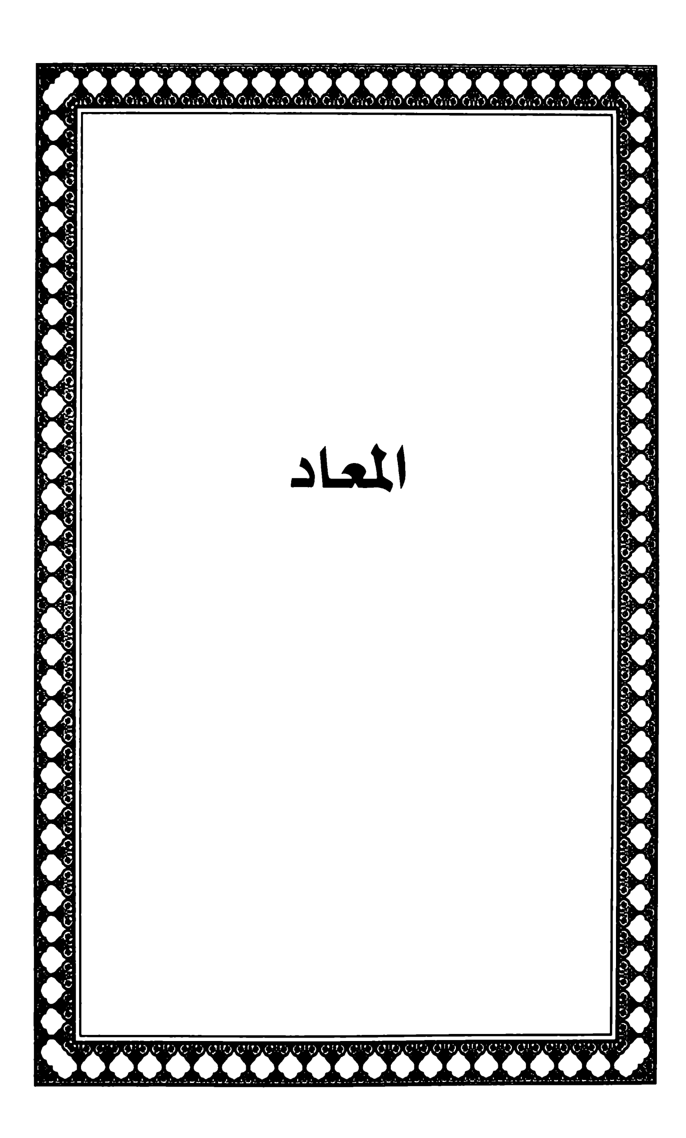
←

فوقي، وأنا الباطن فلا شئ دوني، وأنا الله لا إله إلا أنا بكل شئ عليم. يا محمد! علي أول ما آخذ ميثاقه من الأئمة، يا محمد! علي آخر من أقبض روحه من الأئمة، وهو الدابة الّتي تكلمهم، يا محمد! علي أظهره على جميع ما أوحيه إليك ليس لك أن تكتم منه شيئا، يا محمد ابطنه الّذي أسررته إليك فليس ما بيني وبينك سر دونه، يا محمد علي علي، ما خلقت من حلال وحرام علي عليم به. بيان: قوله تعالى: "علي علي" الأول اسم والثاني صفة أي هو عالي الشأن أو كلاهما اسمان وخبران لمبتدأ محذوف، كما يقال: هو فلان إذا كان مشتهرا معروفا في الكمال. - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٥٣ ص ٦٨.

(١) كنبي الله نوحعليه السلام.

(٢) كابليس لعنه الله تعالى.

(٣) انظر الملحق الثامن.



المعاد

الفصل السابع:
في المعاد

(قال: الفصل السابع في المعاد

اتفق المسلمون كافة على وجود المعاد البدني ولأنه لولاه لقبح التكليف ولأنه ممكن، والصادق أخبر بثبوته فيكون حقا، والآيات الدالة عليه والإنكار على جاحده).

أقول: المعاد[1] زمان العود أو مكانه، والمراد به هنا الوجود الثاني

---

(١) المعاد هو "بعث النفوس بعد الموت لتنال جزائها عما اكتسبت في دار الدنيا من العقاب والثواب". ـ اصول العقيدة تأليف اية الله السيد محمد سعيد الحكيم، ص٤٠٧.

وهو من العقائد الضرورية الواضحة حيث ابتنت عليه ديانات السماء واعترفت به حتى كتبها المحرفة لضرورة وجود الجزاء على الاعمال في هذه الدنيا، وهل هو مسألة عقلية او تعبدية؟ ـ انظر المعاد للشيخ المطهري، ف١ عناصر عامة حول المعاد.

فنقول: قد عرفت ان المسائل العقائدية ترجع الى ثلاثة اقسام:

القسم الاول: ما يرتبط بالادراك العقلي.

القسم الثاني: ما يرتبط بالاخبار الغيبي.

القسم الثالث ما يرتبط بالتاريخ.

وعلى هذه المحاور الثلاثة تدور قضايا العقيدة في مجالاتها العامة اعني ما يشمل

←

→

اصول الدين وغيرها ومن الاول معرفة وجود الباري وتوحيده ومن الثاني الرجعة ومن الثالث ظلامات اهل البيت كغصب الخلافة وغياب الحجة ابن الحسن عليه السلام، والمعاد من القسم الثاني فهو اخبار غيبي وما ذكر في القرآن الكريم من نصوص قيل انها بلغت الفا واربعمائة موردا انما هو لامور:

الاول: كونها امر غيبي.

الثاني: غفلة الناس عنها عند انهماكهم في تفاصيل حياتهم اليومية.

الثالث: استبعاد عود الانسان من جديد بعد ان صار رميما وترابا قالوا ﴿مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾.

الرابع: وهو الاهم وهو ارتباط الرسالة السماوية في روحها واساس دعوتها بالمعاد حيث يشكل البعث والجزاء المحور الاهم في تعاطي السماء مع الانسان في مجال تشجيعه او ردعه.

ولهذ وذاك وربما لغيرها وردت النصوص الشريفة مؤكدة على وقوعه بل ان السماء اكدت وقوع المعاد برفع الاستبعاد عن اذهان الناس بعود بعض الموتى الى الحياة الدنيا كما في احياء العزير واصحاب الكهف واللذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وغيرها.

والمسألة العقلية في نظرنا هي ما يمكن للوحي تنبيه العقل اليها ليؤمن عن وعي بها مثل قضية التوحيد لا على ان يستقل العقل بادراكها وخصائصها وعلى هذا فمسألة المعاد عقلية بمعنى انها يمكن ان تكون، ويكون دور المخبر الصادق هو الاخبار بوقوعها فالحاصل ان التصديق بالمعاد له مقدمتان احداهما عقلية يحصلها العقل بتنبيه الوحي والثانية اخبار غيبي، وبعبارة اخرى للمعاد جنبتان يكون باحداهما عقلي وبالاخرى غيبي والى كليهما اشارت النصوص الشريفة، ومن الاول ـ الجانب العقلي ـ الآيات الّتي دلت على احياء بعض الناس بعد الموت كما تقدم ومنها قوله تعالى ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ

←

للأجسام وإعادتها بعد موتها وتفرقها[١] وهو حق واقع خلافا للحكماء[٢]، والدليل على ذلك من وجوه:

الأول: إجماع المسلمين على ذلك من غير نكير بينهم فيه وإجماعهم حجة.

→

خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

ومن الثاني ـ الجانب التعبدي ـ قوله تعالى ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة ٢٨) وقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (بقرة ٢٨١) وقوله تعالى ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يونس ٥٦) وقوله تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (أنبياء ٣٥) وقوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (مؤمنون ١١٥).

(١) ذهب المتاخرون من المتكلمين الى ان المعاد هو عبارة عن جمع الاجزاء المتفرقة بالموت، وهذا المسلك نشأ من تاثرهم بمعطيات الفلسفة المشائية فانهم لما وجدوا ان من مقررات تلك الفلسفة هو القول "بعدم امكان اعادة المعدوم" فلا ريب يجدون من انفسهم التصادم بين ما ورد من فناء الاشياء المستلزم لكون المعاد من اعادة المعدوم، وبين المعطى الفلسفي الّذي ظنوه معطى عقليا، والصحيح ان لا اشكال في اعادة المعدوم و لا داعي لتاويل النصوص وتمام البحث في غير المقام من الابحاث الموسعة.

(٢) نسب الى الحكماء القول بعدم ثبوت المعاد عقلا ورجع المؤمن منهم الى ثبوته سماعا فقط، و حكماء الحكمة المتعالية اسسوا لمعنى اخر واضح البطلان، انظر: "المعاد اشكالية المنهج" و "المعاد" لسماحة اية الله السيد جعفر سيدان (دام ظله).

الثاني: أنه لو لم يكن المعاد حقا لقبح التكليف والتالي باطل والمقدم مثله.

بيان الشرطية: أن التكليف مشقة مستلزمة للتعويض عنها، فإنّ المشقة من غير عوض ظلم، وذلك العوض ليس بحاصل في زمان التكليف، فلا بد حينئذ من دار أخرى يحصل فيها الجزاء على الأعمال، وإلا لكان التكليف ظلما وهو قبيح تعالى الله عنه.

الثالث: أن حشر الأجسام ممكن والصادق أخبر بوقوعه فيكون حقا.

أما إمكانه: فلأن أجزاء الميت قابلة للجمع وإفاضة الحياة عليها، وإلا لما اتصف بها من قبل، والله تعالى عالم بأجزاء كل شخص لما تقدم من أنه عالم بكل المعلومات وقادر على جميعها، لأن ذلك ممكن والله تعالى قادر على كل الممكنات فثبت أن إحياء الأجسام ممكن.

وأما أن الصادق أخبر بوقوع ذلك فلأنه ثبت بالتواتر أن النبيﷺ كان يثبت المعاد البدني ويقول به فيكون حقا وهو المطلوب.

الرابع: دلالة القرآن على ثبوته والإنكار على جاحده فيكون حقا.

أما الأول: فالآيات الدالة عليه كثيرة نحو قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[1]، وغير ذلك من الآيات.

---

(١) يس: ٧٨ ـ ٧٩.

قال: (وكل من له عوض أو عليه عوض يجب بعثه عقلا وغيره يجب إعادته سمعا).

أقول: الّذي يجب إعادته على قسمين:

أحدهما: يجب إعادته عقلا وسمعا وهو كل من له حق من ثواب أو عوض ليصل حقه إليه، وكل من عليه حق من عقاب أو عوض لأخذ الحق منه.

وثانيهما: من ليس له حق ولا عليه حق من باقي الأشخاص انسانية[١] كانت أو غيرها من الحيوانات[٢] الإنسية والوحشية وذلك يجب

---

(١) "عن زرارة، عن أبي جعفرعليه السلام قال: سألته هل سئل رسول اللهﷺ عن الاطفال؟ فقال: قد سئل فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. ثم قال: يا زرارة هل تدري قوله: "الله أعلم بما كانوا عاملين"؟ قلت: لا، قال: لله فيهم المشيئة إنه إذا كان يوم القيامة جمع الله عزوجل الاطفال والّذي مات من الناس في الفترة والشيخ الكبير الّذي أدرك النبيﷺ وهو لا يعقل والاصم والابكم الّذي لا يعقل والمجنون والابله الّذي لا يعقل، وكل واحد منهم يحتج على الله عزوجل فيبعث الله إليهم ملكا من الملائكة فيؤجج لهم نارا ثم يبعث الله إليهم ملكا فيقول لهم: إن ربكم يأمركم أن تثبوا فيها، فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما وادخل الجنة ومن تخلف عنها دخل النار". - الكافي - الشيخ الكليني ج ٣ ص ٢٤٨.

(٢) ١ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾. الانعام: ٣٨.

٢ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾. التكوير: ٥،

٣ـ "فإنّ قيل: كل من اتصف بالحياة هل يعاد بعد الموت ام لا؟

فالجواب: كل من اتصف بالحياة يعاد بعد الموت. فإنّ قيل: ما الدليل على ذلك؟

فالجواب: الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ

←

إعادته سمعا لدلالة القرآن والأخبار المتواترة عليه.

→

﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾. واخبار الصادق عليه السلام. فإنّ العقل دل على اعادة من له عوض أو عليه عوض. والنقل دل على اعادة الجميع. فإنّ قيل: كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله من سؤال القبر، ومنكر ونكير، ومبشر وبشر، وحشر الابدان والنفوس، والميزان، وتطاير الكتب، وشهادة الجوارح، والصراط، والجنة وما وعد الله فيها من النعيم الدائم الّذي لا ينقطع ابدا، والنار وما وعد الله فيها من العقاب الدائم الّذي لا ينقطع ابدا، وشفاعة محمد صلى الله عليه وآله لاهل الكبائر والكوثر الّذي يسقي منه أمير المؤمنين عليه السلام العطاش من المؤمنين حق ام لا؟ فالجواب: حق لا يشك فيه احد من المؤمنين. فإنّ قيل: ما الدليل على ان كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله فهو حق؟ - النكت الإعتقادية- الشيخ المفيد ص ،٤٦

٤ـ "﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء. ويحشر الله سبحانه الوحوش، ليوصل إليها ما تستحقه من الأعواض على الآلام الّتي نالتها في الدنيا، وينتصف لبعضها من بعض، فإذا وصل إليها ما استحقته من الأعواض، فمن قال: إن العوض دائم تبقى منعمة إلى الأبد. ومن قال: تستحق العوض منقطعا. فقال بعضهم: يديمه ألته لها تفضلا، لئلا يدخل على المعوض غم بانقطاعه. وقال بعضهم: إذا فعل الله بها ما استحقته من الأعواض، جعلها ترابا". - تفسير مجمع البيان - الشيخ الطبرسي ج ١٠ ص :٢٧٧

٥ـ "مسألة - وأن الوحوش تحشر. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾. حدثنا عبد الله بن يوسف. نا أحمد ابن فتح. نا عبد الوهاب بن عيسى. نا أحمد بن محمد. نا أحمد بن على. نا مسلم ابن الحجاج. نا قتيبة بن سعيد. نا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء)". - المحلى - ابن حزم ج ١ ص ١٥.

قال: (ويجب الاقرار بكل ما جاء به النبيﷺ فمن ذلك الصراط[1]،

(١) ١ـ عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبد اللهعليه السلام عن الصراط. فقال: هو الطريق إلى معرفة الله عزوجل، وهما صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الاخرة. وأما الصراط الّذي في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الّذي هو جسر جهنم في الاخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط في الاخرة فتردى في نار جهنم.

٢ـ عن عبيد الله بن الحلبي، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: الصراط المستقيم أمير المؤمنين عليعليه السلام.

٣ـ حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشمرحمه الله قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد اللهعليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال: هو أمير المؤمنينعليه السلام ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنينعليه السلام قوله عزوجل: ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ وهو أمير المؤمنينعليه السلام في ام الكتاب في قوله عزوجل: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

٤ـ حدثنا محمد بن القاسم الاسترآبادي المفسر، قال: حدثني يوسف بن محمد بن زياد، وعلي بن محمد بن يسار، عن أبويهما، عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبعليهم السلام في قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال: أدم لنا توفيقك الّذي به أطعناك في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا. والصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا، و صراط في الآخرة. وأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شئ من الباطل. وأما الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنة الّذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنة. قال: وقال جعفر بن محمد الصادقعليه السلام، في قوله عزوجل: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ قال: يقول أرشدنا [إلى] الصراط المستقيم أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك، والمبلغ [إلى] دينك والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب،

←

→

أو نأخذ بآرائنا فنهلك. ثم قال عليه السلام: فإنّ من اتبع هواه وأعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه وتسفه فأحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لانظر مقداره ومحله، فرأيته قد أحدق به خلق [الكثير] من غثاء العامة فوقفت منتبذا عنهم متغشيا بلثام أنظر إليه وإليهم، فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم وفارقهم ولم يقر فتفرقت العوام عنه لحوائجهم، وتبعته أقتفي أثره فلم يلبث أن مر بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة، فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم مر بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده رمانتين مسارقة، فتعجبت منه، ثم قلت في نفسي: لعله معاملة، ثم أقول: وما حاجته إذا إلى المسارقة، ثم لم أزل أتبعه حتى مر بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه ومضى، وتبعته حتى استقر في بقعة من الصحراء، فقلت له: يا عبد الله لقد سمعت بك وأحببت لقاءك، فلقيتك ولكنني رأيت منك ما شغل قلبي! وإني سائلك عنه ليزول به شغل قلبي، قال: ما هو قلت: رأيتك مررت بخباز وسرقت منه رغيفين، ثم بصاحب الرمان وسرقت منه رمانتين! قال: فقال لي: قبل كل شئ حدثني من أنت؟ قلت: رجل من ولد آدم عليه السلام من امة محمد صلى الله عليه وآله. قال حدثني من أنت؟ قلت: رجل من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: أين بلدك قلت: المدينة. قال: لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم قلت: بلى. فقال لي: فما ينفعك شرف أصلك مع جهلك بما شرفت به وتركك علم جدك وأبيك لئلا تنكر ما يجب أن يحمد ويمدح عليه فاعله؟ قلت: وما هو؟ قال: القرآن كتاب الله! قلت: وما االذي جهلت منه؟ قال: قول الله عزوجل: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ وأني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين فهذه أربع سيئات فلما تصدقت بكل [واحد] منهما كان لي [بها] أربعين حسنة فانتقص من أربعين حسنة أربع بأربع سيئات بقي لي ست وثلاثون حسنة. قلت: ثكلتك امك! أنت الجاهل بكتاب الله، أما سمعت أنه عزوجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ إنك

←

←

لما سرقت رغيفين كانت سيئتين ولما سرقت رمانتين كانت أيضا سيئتين ولما دفعتهما إلى غير صاحبيهما بغير أمر صاحبيهما كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سيئات، فجعل يلاحظني فانصرفت وتركته. قال الصادقعليه السلام: بمثل هذا التأويل القبيح المستكره يضلون ويضلون وهذا نحو تأويل معاية [لعنه الله] لما قتل عمار بن ياسررضي الله عنه فارتعدت فرائص خلق كثير، وقالو: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: عمار تقتله الفئة الباغية. فدخل عمرو على معاوية [لعنه الله] وقال: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا. قال: لماذا؟ قال: قتل عمار. فقال معاوية [لعنه الله]: قتل عمار فماذا؟ قال: أليس قد قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: [عمار] تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاوية [لعنه الله]: دحضت في قولك، أنحن قتلناه؟ إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا! فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالبعليه السلام، فقال: إذا رسول اللهصلى الله عليه وآله هو الّذي قتل حمزة لما ألقاه بين رماح المشركين!. ثم قال الصادقعليه السلام: طوبى للذين هم كما قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

٥ـ عن المفضل بن عمر، قال: حدثني ثابت الثمالي، عن سيد العابدين علي بن الحسينعليهما السلام قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب، فلا لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمة وحيه، و نحن أركان توحيده، ونحن موضع سره.

٦ـ عن أبي جعفرعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط فلم يجز أحد إلا من كان معه كتاب فيه براة بولايتك.

٧ـ عن حنان بن سدير، عن جعفر بن محمدعليهما السلام قال: قول الله عزوجل في الحمد: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ يعني محمدا وذريته صلوات الله عليهم.

٨ - حدثنا محمد بن الحسين، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله في قول الله عزوجل: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: شيعة

←

→

علي عليه السلام <الّذين> أنعمت عليهم بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام لم يغضب عليهم ولم يضلوا.

٩ـ عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في قول الله عزوجل: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي قولوا: اهدنا صراط <الّذين> أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم <الّذين> قال الله عزوجل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ وحكي هذا بعينه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحة البدن وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة، ألا ترون أن هؤلاء قد يكونون كفارا أو فساقا؟ فما ندبتم إلى أن تدعوا بأن ترشدوا إلى صراطهم، وإنما امرتم بالدعاء بأن ترشدوا إلى صراط <الّذين> انعم عليهم بالايمان [بالله] وتصديق رسوله وبالولاية لمحمد وآله الطاهرين، وأصحابه الخيرين المنتجبين، وبالتقية الحسنة الّتي يسلم بها من شر عباد الله، ومن الزيادة في آثام أعداء الله وكفرهم، بأن تداريهم ولا تعزيهم بأذاك وأذى المؤمنين، وبالمعرفة بحقوق الاخوان من المؤمنين، فإنه ما من عبد ولا أمة والى محمد وآل محمد عليهم السلام وعادى من عاداهم إلا كان قد اتخذ من عذاب الله حصنا منيعا وجنة حصينة، وما من عبد ولا أمة دارى عباد الله فأحسن المداراة فلم يدخل بها في باطل ولم يخلج من حق إلا جعل الله عزوجل نفسه تسبيحا، وزكى عمله، وأعطاه بصيره على كتمان سرنا واحتمال الغيظ لما يسمعه من أعدائنا ثواب المتشحط بدمه في سبيل الله، وما من عبد أخذ نفسه بحقوق إخوانه، فوفاهم حقوقهم جهده، وأعطاهم ممكنه، ورضي عنهم بعفوهم وترك الاستقصاء عليهم، فيما يكون من زللهم واغتفرها لهم إلا قال الله له يوم يلقاه: يا عبدي قضيت حقوق إخوانك، ولم تستقص عليهم فيما لك عليهم، فأنا أجود وأكرم وأولى بمثل ما فعلته من المسامحة والكرم فإني أقضيك اليوم على حق [ما] وعدتك به، وأزيدك من فضلي الواسع، ولا أستقصي

←

والميزان، وإنطاق الجوارح(١)، ....

→

عليك في تقصيرك في بعض حقوقي، قال: فيلحقهم بمحمد وآله، ويجعله في خيار شيعتهم. ثم قال: قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه ذات يوم: با عبد الله أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنه لا تنال ولاية الله إلا بذلك، ولا يجد رجل طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في الدنيا، عليها يتوادون، وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئا، فقال الرجل: يا رسول الله فكيف لي أن أعلم أني قد واليت وعاديت في الله، ومن ولي الله حتى اواليه؟ ومن عدوه حتى اعاديه؟ فأشار له رسول الله ﷺ إلى علي عليه السلام فقال: أترى هذا؟ قال: بلى. قال: ولي هذا ولي الله فواله، وعدو هذا عدو الله فعاده، ووال ولي هذا ولو أنه قاتل أبيك [وولدك]، وعاد عدو هذا ولو أنه أبوك أو وولدك. - معاني الأخبار- الشيخ الصدوق ص ٣٢.

(١) قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾. فصلت ٢١ ـ ٢٢،

٢ـ قول الامام: "ثم يجتمعون في موطن آخر فيستنطقون فيه فيقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيختم الله تبارك وتعالى على أفواههم و يستنطق الايدي والارجل والجلود فتشهد بكل معصية كانت منهم، ثم يرفع عن إلسنتهم الختم فيقولون لجلودهم: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾. - التوحيد- الشيخ الصدوق ص ٢٦١.

٣ـ "عن جعفر بن محمد، عن جده قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة يصف هول يوم القيامة، ختم على الافواه فلا تكلم، وقد تكلمت الايدي، وشهدت الارجل، ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثا". - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٧ ص ٣١٣.

وتطاير الكتب[١]، لامكانها، وقد أخبر الصادق بها فيجب الاعتراف بها).

أقول: لما ثبت نبوة نبيناﷺ وعصمته، ثبت أنه صادق في كل ما أخبر بوقوعه سواء كان سابقا على زمانه، كإخباره عن الأنبياء السالفين وأممهم والقرون الماضية وغيرها، أو في زمانه كإخباره بوجوب الواجبات وتحريم المحرمات وندب المندوبات والنص على الأئمة وغير ذلك من الأخبار، أو بعد زمانه.

فأما في دار التكليف كقولهﷺ لعليعليه السلام: (ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين)[٢]، ....

---

(١) ١ـ عن أبي جعفرعليه السلام في قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ يقول: خيره وشره معه حيث كان لا يستطيع فراقه حتى يعطى كتابه يوم القيامة بما عمل.

٢ـ قال: علي بن إبراهيم في قوله: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ قال: صحف الاعمال". - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٧ ص ٣١٢.

(٢) ١ـ "اشهدي يا أم سلمة واحفظي: انه يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. فقال الشامي: فرجت عنى يا عبد الله، أشهد أن علي ابن أبى طالب مولاي ومولى كل مسلم". - علل الشرائع - الشيخ الصدوق ج ١ ص ،٦٦

٢ـ "قال عليعليه السلام: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين". - عيون أخبار الرضاعليه السلام - الشيخ الصدوق ج ١ ص ،٦٦

٣ـ "عن حكيم بن جبير، عن إبراهيم قال: سمعت علقمة يقول: سمعت علي بن أبي طالبعليه السلام يقول: امرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. قال مصنف هذا الكتابرحمه الله: الناكثون أصحاب الجمل، والقاسطون أهل الشام ومعاوية، والمارقون أهل النهروان، وقد أخرجت كل ما رويته في هذا المعنى في كتاب وصف قتال الشراة المارقين". - الخصال- الشيخ الصدوق ص ١٤٥.

←

أو بعد التكليف كأحوال الموت[١] ....

←

ومن طرق العامة

٤ـ "عن أبي ايوب الانصاري في خلافة عمربن الخطاب رضى الله عنه قال امر رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ×

٥ـ " عن ابي ايوب الانصاري رضى الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول لعلي بن ابي طالب تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالشعفات قال أبو ايوب قلت يا رسول الله مع من تقاتل هؤلاء الاقوام قال مع علي بن ابي طالب " - المستدرك - الحاكم النيسابوري ج ٣ ص ،١٣٩

٦ـ "عن على بن ربيعة قال سمعت عليا على منبركم هذا يقول عهد إلي النبي ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين" - مجمع الزوائد - الهيثمى ج ٥ ص ١٨٦.

(١) عن علي بن عقبة، عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الامر الّذي أنتم عليه وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقر به عينه إلا أن تبلغ نفسه إلى هذه ثم أهوى بيده إلى الوريد ثم اتكأ وكان معي المعلى فغمزني أن أسأله فقلت: يا ابن رسول الله فإذا بلغت نفسه هذه أي شئ يرى؟ فقلت له بضع عشرة مرة: أي شئ؟ فقال في كلها: يرى ولا يزيد عليها، ثم جلس في آخرها فقال: يا عقبة! فقلت: لبيك وسعديك، فقال: أبيت إلا أن تعلم؟ فقلت: نعم يا ابن رسول الله إنما ديني مع دينك فإذا ذهب ديني كان ذلك كيف لي بك يا ابن رسول الله كل ساعة و بكيت فزق لي؟ فقال: يراهما والله، فقلت: بأبي وامي من هما؟ قال: ذلك رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام، يا عقبة لن تموت نفس مؤمنة أبدا حتى تراهما، قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟ فقال: لا، يمضي أمامه إذا نظر إليهما مضى أمامه فقلت له: يقولان شيئا؟ قال: نعم يدخلان جميعا على المؤمن فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه وعلي عليه السلام عند رجليه فيكب عليه رسول الله ﷺ فيقول: ياولي الله أبشر أنا رسول الله إني خير لك مما تركت من الدنيا ثم ينهض رسول الله ﷺ فيقوم علي عليه السلام

←

وما بعده[١]، فمن ذلك عذاب القبر، والصراط، والميزان، والحساب،

←

حتى يكب عليه، فيقول: ياولي الله أبشر أنا علي بن أبي طالب الّذي كنت تحبه أما لانفعنك. ثم قال: إن هذا في كتاب الله عزوجل، قلت: أين جعلني الله فداك هذا من كتاب الله؟ قال: في يونس قول الله عزوجل ههنا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ - الكافي - الشيخ الكليني ج ٣ ص ١٢٨.

(١) عن سويد بن غفلة قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة مثل له ماله وولده وعمله، فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إني كنت عليك حريصا شحيحا فمالي عندك؟ فيقول: خذ مني كفنك، قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إني كنت لكم محبا وإني كنت عليكم محاميا فماذا لي عندكم؟ فيقولون: نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها، قال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنى كنت فيك لزاهدا وان كنت علي لثقيلا فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك، قال: فإنّ كان لله وليا أتاه أطيب الناس ريحا وأحسنهم منظرا وأحسنهم رياشا فقال: أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم، فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنة وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله فإذا ادخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الارض باقدامهما، أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي وديني الاسلام، ونبيي محمدﷺ، فيقولان له: ثبتك الله فيما تحب وترضى، وهو قول الله عزوجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ثم يفسحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له بابا إلى الجنة، ثم يقولان له: نم قرير العين، نوم الشاب الناعم، فإنّ الله عزوجل يقول: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ قال: وإن كان لربه عدوا فإنه

→

وإنطاق الجوارح، وتطاير الكتب، وأحوال القيامة، وكيفية حشر الأجسام، وأحوال المكلفين في البعث، ويجب الاقرار بذلك أجمع والتصديق به لأن ذلك كله أمر ممكن لا استحالة فيه وقد أخبر الصادق بوقوعه فيكون حقا.

←

يأتيه أقبح من خلق الله زيا ورؤيا وأنته ريحا فيقول له: أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وإنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه فإذا ادخل القبر أتاه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثم يقولان له: من ربك وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله عزوجل من دابة إلا وتذعر لها ماخلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار، ثم يقولان له: نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزج حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الارض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وإنه ليتمنى قيام الساعة فيما هو فيه من الشر. - الكافي - الشيخ الكليني ج ٣ ص ٢٣١.

قال: (ومن ذلك الثواب والعقاب وتفاصيلهما المنقولة من جهة الشرع صلوات الله على الصادع به).

أقول: يريد أن من جملة ما جاء به النبيﷺ الثواب والعقاب وقد اختلف في أنهما معلومان عقلا أم سمعا، أما الأشاعرة فقالوا سمعا، وأما المعتزلة فقال بعضهم بأن الثواب سمعي إذ لا يناسب الطاعات ولا يكافي ما صدر عنه من النعم العظيمة فلا يستحق عليه شئ في مقابلتها وهو مذهب البلخي، وقالت معتزلة البصرة أنه عقلي لاقتضاء التكليف ذلك ولقوله تعالى: ﴿جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[1].

وأوجبت المعتزلة العقاب للكافر وصاحب الكبيرة حتما، وقد تقدم[2] لك من مذهبنا ما يدل على وجوب الثواب عقلا، وأما العقاب فهو وإن اشتمل على اللطفية لكن لا يجزم بوقوعه في غير الكافر الّذي لا يموت على كفره.

وهنا فوائد:

الأولى: يستحق الثواب والمدح بفعل الواجب والمندوب وفعل ضد القبيح أو الاخلال به، بشرط أن يفعل الواجب لوجوبه أو لوجه وجوبه، والمندوب كذلك وكذا فعل ضد القبيح أو الاخلال به لقبحه لا لأمر آخر غير ذلك، ويستحق العقاب والذم بفعل القبيح والاخلال بالواجب.

الثانية: يجب دوام الثواب والعقاب للمستحق مطلقا كما في حق من

---

(١) السجدة: ١٧.

(٢) مباحث العدل الفصل الرابع.

يموت على إيمانه، ومن يموت على كفره، لدوام المدح والذم على ما يستحقان به، ولحصول نقيض كل واحد منهما لو لم يكن دائما إذ لا واسطة بينهما ويجب أن يكونا خالصين من مخالطة الضد، وإلا لم يحصل مفهومهما، ويجب اقتران الثواب بالتعظيم والعقاب بالإهانة، لأن فاعل الطاعة مستحق للتعظيم مطلقا، وفاعل المعصية مستحق للإهانة مطلقا.

الثالثة: استحقاق الثواب يجوز توقفه على شرط، إذ لولا ذلك لكان العارف بالله تعالى مع جهله بالنبيﷺ مستحقا له وهو باطل، فإذن هو مشروط بالموافاة لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[2].

الرابعة: <الّذين> آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك يستحقون الثواب الدائم مطلقا، <والّذين> كفروا وماتوا وهم كفار أولئك يستحقون العقاب الدائم مطلقا، والّذي آمن وخلط عملا صالحا وآخر سيئا، فإنّ كان السيئ صغيرا فذلك يقع مغفورا إجماعا، وإن كان كبيرا فأما أن يوافي بالتوبة فهو من أهل الثواب مطلقا إجماعا، وإن لم يواف بها فإما أن يستحق ثواب إيمانه أو لا، والثاني باطل لاستلزامه الظلم، ولقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[3]، فتعين الأول، فأما أن يثاب

(١) الزمر: ٦٥.

(٢) البقرة: ٢١٧.

(٣) الزلزلة: ٨.

ثم يعاقب وهو باطل بالاجماع على أن من دخل الجنة لا يخرج منها، فحينئذ يلزم بطلان العقاب أو يعاقب ثم يثاب وهو المطلوب، ولقوله عليه السلام في حق هؤلاء: "يخرجون من النار وهم كالحمم أو كالفحم فيراهم أهل الجنة فيقولون هؤلاء جهنميون فيؤمر بهم فيغمسون في عين الحيوان فيخرجون ووجوههم كالبدر في ليلة تمامه"(١).

---

(١) ١ـ "عن عمر بن أبان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمن (أ) دخل في النار ثم اخرج منها ثم ادخل الجنة فقال: ان شئت حدثتك بما كان يقول فيه أبى قال: أن (ا) ناسا يخرجون من النار بعد ما كانوا حمما (حميما) فينطلق بهم الى نهر عند باب الجنة يقال له: الحيوان فينضح عليهم من مائه فتنبت لحومهم ودمائهم و شعورهم.

٢ـ عن عمر بن أبان قال: (قال سمعت عبدا صالحا يقول في الجهنميين: انهم يدخلون النار بذنوبهم ويخرجون بعفو الله.

٣ـ عن ابى بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ان قوما يحرقون في (با) النار حتى إذا صاروا (حميما) حمما أدركتهم الشفاعة قال: فينطلق بهم الى نهر يخرج من رشح أهل الجنة فيغتسلون فيه فتنبت لحومهم ودمائهم وتذهب عنهم قشف النار ويدخلون الجنة فيسمون الجهنميون (الجهنميين خ ل) فينادون باجمعهم: أللهم اذهب عنا هذا الاسم قال: فيذهب عنهم ثم قال: يا أبا بصير ان أعداء على هم خالدون في النار لا تدركهم الشفاعة. - كتاب الزهد- الحسين بن سعيد الكوفي ص ،٩٦

٤ـ وفي حديث أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "ان أهل النار يموتون ولا يحيون، وان <الّذين> يخرجون منها، وهم كالحمم والفحم فيلقون على نهر يقال له الحياة، أو الحيوان، فيرش عليهم أهل الجنة من مائه فينبتون، ثم يدخلون الجنة وفيهم سيماء أهل النار، فيقال: هؤلاء جهنميون فيطلبون إلى الرحيم عزوجل، اذهاب ذلك الاسم عنهم، فيذهبه عنهم، فيزول عنهم الاسم، فيلحقون بأهل الجنة". ـ عوالي اللئالي - ابن ابي جمهور الأحسائي ج ١ ص ،١٢٣

←

وأما الآيات الدالة على عقاب العصاة والفجار وخلودهم في النار فالمراد بالخلود هو المكث الطويل، واستعماله بهذا المعنى كثير، والمراد بالفجار والعصاة الكاملون في فجورهم وعصيانهم وهم الكفار، بدليل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾(١)، توفيقا بينه وبين الآيات الدالة على اختصاص العقاب بالكفار نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٢) وغير ذلك من الآيات.

ثم اعلم: أن صاحب الكبيرة إنما يعاقب إذا لم يحصل له أحد الأمرين:

الأول: عفو الله تعالى فإنّ عفوه مرجو متوقع، خصوصا وقد وعد به في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(٣)، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾(٤)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٥)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾(٦)، وخُلف الوعد غير مستحسن من الجواد

←

٥ـ أنس بن مالك يحدث عن النبيﷺ قال يدخل النار أقوام من امتى حتى إذا كانوا حمما ادخلوا الجنة فيقول أهل الجنة من هؤلاء فيقال هم الجهنميون. - مسند احمد - الامام احمد بن حنبل ج ٣ ص ١٢٥.

(١) عبس: ٤٢.

(٢) النحل: ٢٧.

(٣) الشورى: ٢٥.

(٤) المائدة: ١٥.

(٥) النساء: ٤٨.

(٦) الرعد: ٦.

المطلق، ولتمدحه بأنه غفور رحيم و ذلك ليس متوجها إلى الصغائر ولا إلى الكبائر بعد التوبة للإجماع على سقوط العقاب فيهما فلا فائدة في العفو حينئذ فتعين أن يكون لاهل الكبائر قبل التوبة وذلك هو المطلوب.

الثاني: شفاعة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله[1] فإنّ شفاعته متوقعة، بل واقعة لقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[2].

وصاحب الكبيرة مؤمن لتصديقه بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وإقراره بكلما جاء به الرسول وذلك هو الإيمان، إذ الإيمان في اللغة هو التصديق وهو هنا

---

(١) ١ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إن لنا جار ينتهك المحارم كلها حتى أنه ليترك الصلاة فضلا عن غيرها؟ فقال سبحان الله وأعظم ذلك ألا أخبركم بمن هو شر منه؟ قلت: بلى قال: الناصب لنا شر منه، أما إنه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها، إلا أن يجئ بذنب يخرجه من الايمان وإن الشفاعة لمقبولة وما تقبل في ناصب وإن المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة، فيقول: يا رب جاري كان يكف عني الاذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى: " أنا ربك وأنا أحق من كافى عنك فيدخله الجنة وما له من حسنة وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنسانا فعند ذلك يقول؟ أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾. - الكافي - الشيخ الكليني ج ٨ ص ١٠١،

٢ـ عن أبي شبل قال قلت لابي عبد الله عليه السلام: رجل مسلم ابتلي ففجر بجارية أخيه فما توبته؟ قال: يأتيه فيخبره ويسأله أن يجعل من ذلك في حل ولا يعود قال: قلت: فإنّ لم يجعله من ذلك في حل قال: قد لقى الله عزوجل وهو زان خائن، قال: قلت: فالنار مصيره؟ قال: شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وشفاعتنا تحبط بذنوبكم يا معشر الشيعة فلا تعودون وتتكلون على شفاعتنا فوالله ما ينال شفاعتنا إذا ركب هذا حتى يصيبه ألم العذاب ويرى هول جهنم. - الكافي - الشيخ الكليني ج ٥ ص ٤٦٩.

(٢) محمد: ١٩.

كذلك، وليست الآعمال الصالحة جزءا منه لعطفها عليه المقتضي لمغايرتها له، وإذا أُمر النبيﷺ بالاستغفار لم يتركه لعصمته، واستغفاره مقبول تحصيلا لمرضاته لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[١]، هذا مع قولهﷺ: "ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"[٢].

واعلم: أن مذهبنا أن ائمتناعليهم السلام لهم الشفاعة[٣] في عصاة شيعتهم كما هو لرسول اللهﷺ من غير فرق لأخبارهمعليهم السلام بذلك مع عصمتهم النافية للكذب عنهم.

الخامسة: يجب الاقرار والتصديق بأحوال القيامة وأوضاعها وكيفية الحساب وخروج الناس من قبورهم عراة حفاة، وكون كل نفس معها سائق وشهيد، وأحوال الناس في الجنة[٤] وتباين طبقاتهم وكيفية نعيمها

---

(١) الضحى: ٥.

(٢) بحار الانوار ج ٨ ص ٣٠. مجمع الزوائد للهيثمي ج ١٠ ص ٣٧٨.

(٣) وقد تقدم ما يدل عليه.

(٤) ومن الاعتقادات الّتي ذكرها الاعلام تبعا للائمة الكرام هي خلق الجنة والنار:

١ـ "واعتقادنا في الجنة والنار أنهما مخلوقتان، وأن النبيﷺ قد دخل الجنة، ورأى النار حين عرج به". - الاعتقادات- الشيخ المفيد ص ،٧٩

٢ـ "القول في خلق الجنة والنار واقول: إن الجنة والنار في هذا الوقت مخلوقتان، وبذلك جاءت الاخبار وعليه إجماع أهل الشرع والاثار، وقد خالف في هذا القول المعتزلة والخوارج و طائفة من الزيدية، فزعم أكثر من سميناه أن ما ذكرناه من خلقهما من قسم الجايز دون الواجب، ووقفوا في الوارد به من الاثار وقال من بقى منهم بإحالة خلقهما". - أوائل المقالات- الشيخ المفيد ص ١٢٤.

←

→

من اخبارنا المصرحة بخلقهما

١ـ عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لعلى بن موسى الرضاعليه السلام: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ما تقول في الحديث الّذي يرويه أهل الحديث: ان المؤمنين يزورون ربهم في منازلهم في الجنة فقال عليه السلام: يا أبا الصلت ان الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمدا صلى الله عليه وآله على جميع خلقه من النبيين والملائكة وجعل طاعته طاعته ومتابعته متابعته وزيارته في الدنيا والاخره زيارته فقال عزو جل: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وآله: من زارني في حياتي أو بعد موتى فقد زار الله تعالى ودرجه النبي صلى الله عليه وآله في الجنة ارفع الدرجات فمن زاره في درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى قال: فقلت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله فما معنى الخبر الّذي رووه: ان ثواب لا اله إلا الله النظر الى وجه الله تعالى فقال عليه السلام: يا أبا الصلت من وصف الله تعالى بوجه كالوجوه فقد كفر ولكن وجه الله تعالى انبياؤه ورسله وحججه صلوات الله عليهم هم <الّذين> بهم يتوجه الى الله عز وجل والى دينه ومعرفته وقال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۞ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ وقال عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ فالنظر الى انبياء الله تعالى ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: من ابغض أهل بيتى وعترتي لم يرنى ولم اره يوم القيامة وقال: ان فيكم من لا يرانى بعد ان يفارقنى يا أبا الصلت ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالابصار والاوهام قال: قلت له: يا ابن رسول الله فاخبرني عن الجنة والنار اهما اليوم مخلوقتان؟ فقال: نعم وان رسول الله صلى الله عليه وآله قد دخل الجنة وراى النار لما عرج به الى السماء قال: فقلت له: ان قوما يقولون: انهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين فقال عليه السلام: لا هم منا ولا نحن منهم من انكر خلق الجنة والنار كذب النبي صلى الله عليه وآله وكذبنا وليس من ولايتنا شئ ويخلد في نار جهنم قال الله تعالى ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وآله: لما عرج بى

←

من المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وكذا أحوال النار وكيفية العقاب فيها وأنواع آلامها على ما وردت بذلك الآيات والأخبار الصحيحة، وأجمع عليه المسلمون لأن ذلك جميعه أخبر به الصادق مع عدم استحالته في العقل فيكون حقا وهو المطلوب.

←

الى السماء اخذ بيدى جبرائيل عليه السلام فادخلني الجنة فناولني من رطبها فاكلته فتحول ذلك نطفه في صلبى فلما هبطت الأرض واقعت خديجه فحملت بفاطمة عليها السلام ففاطمه حوراء انسيه فكلما اشتقت الى رائحه الجنة شممت رائحه ابنتى فاطمه عليها السلام". - عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٠٥ و التوحيد ص ١١٧،

٢ـ "عن ابن عمارة، عن أبيه، قال: قال الصادق عليه السلام: ليس من شيعتنا من انكر اربعة اشياء، المعراج والمسائلة في القبر وخلق الجنة والنار والشفاعة". - الفصول المهمة في أصول الأئمة - الحر العاملي ج ١ ص ٣٦٣.

التوبة

قال: (ووجوب التوبة).

أقول: التوبة هي الندم على القبيح في الماضي والترك له في الحال، والعزم على عدم المعاودة إليه في الاستقبال، وهي واجبة لوجوب الندم إجماعا على كل قبيح وإخلال بواجب ولدلالة السمع على وجوبها ولكونها دافعة للضرر، ودفع الضرر وإن كان مظنونا واجب، و يندم على القبيح لكونه قبيحا لا لخوف النار ولا لدفع الضرر عن نفسه وإلا لم تكن توبة.

ثم اعلم: أن من الذنب إما في حقه تعالى أو في حق آدمي، فإنّ كان في حقه تعالى فإما من فعل قبيح فيكفي فيه الندم والعزم على عدم المعاودة، أو من إخلال بواجب فإما أن يكون وقته باقيا فيأتي به وذلك هو التوبة منه، أو خرج وقته فاما أن يسقط بخروج وقته كصلاة العيدين فيكفي الندم والعزم على عدم المعاودة أو لا يسقط فيجب قضاؤه، وإن كان في حق آدمي فأما أن يكون إضلالا في دين بفتوى مخطئة فالتوبة إرشاده وإعلامه بالخطأ، أو ظلما لحق من الحقوق فالتوبة منه إيصاله إليه أو إلى وارثه أو الاتهاب، وإن تعذر عليه ذلك فيجب العزم عليه.

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال: (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بشرط أن يعلم الأمر والناهي كون المعروف معروفا والمنكر منكرا وأن يكونا مما سيقعان، فإنّ الأمر بالماضي والنهي عنه عبث، وتجويز التأثير، والأمن من الضرر).

أقول: الأمر طلب الفعل من الغير على جهة الاستعلاء، والنهي طلب الترك على جهة الاستعلاء أيضا، والمعروف كل فعل حسن اختص بوصف زائد على حسنه، والمنكر هو القبيح.

إذا تقرر هذا فهنا بحثان:

الأول: اتفق العلماء على وجوب الأمر بالمعروف الواجب والنهي عن المنكر واختلفوا من بعد ذلك في مقامين:

[المقام الأول]: هل الوجوب عقلي أو سمعي، فقال الشيخ الطوسي رحمه الله بالأول والسيد المرتضى رحمه الله بالثاني، واختاره المصنف رحمه الله.

احتج الشيخ بأنهما لطفان في فعل الواجب وترك القبيح فيجبان عقلا.

قيل عليه أن الوجوب العقلي غير مختص بأحد، فحينئذ يجبان عليه تعالى وهو باطل، لأنه إن فعلهما لزم أن يرتفع كل قبيح ويقع كل واجب، إذ الأمر هو الحمل على الشئ والنهي هو المنع منه، لكن الواقع خلافه، وإن لم يفعلهما لزم إخلاله بالواجب لكنه حكيم وفي هذا الايراد نظر.

وأما الدلائل السمعية على وجوبهما كثيرة.

[المقام الثاني]: هل هما واجبان على الأعيان أو الكفاية، فقال الشيخ بالأول والسيد بالثاني احتج الشيخ بعموم الوجوب من غير اختصاص بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(1).

احتج السيد بأن المقصود وقوع الواجب وارتفاع القبيح فمن قام به كفى عن الآخر في الامتثال ولقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(2).

البحث الثاني: في شرائط وجوبهما، وذكر المصنف هنا شرائط أربعة: الأول: علم الآمر والناهي بكون المعروف معروفا والمنكر منكرا، إذ لولا ذلك لأمر بما ليس بمعروف ونهى عما ليس بمنكر.

الثاني: كونهما مما يتوقعان في المستقبل فإنّ الأمر بالماضي والنهي عنه عبث، والعبث قبيح.

الثالث: أن يُجَوز الآمر والناهي تأثير أمره ونهيه، فإنه إذا تحقق عنده أو غلب على ظنه عدم ذلك ارتفع الوجوب.

الرابع: أمن الآمر والناهي من الضرر الحاصل بسبب الأمر و النهي، أما إليهما أو لأحد من المسلمين، فإنّ غلب عنده حصول ذلك ارتفع الوجوب أيضا، ويجبان بالقلب واللسان واليد ولا ينتقل إلى الأصعب مع إنجاع الأسهل.

---

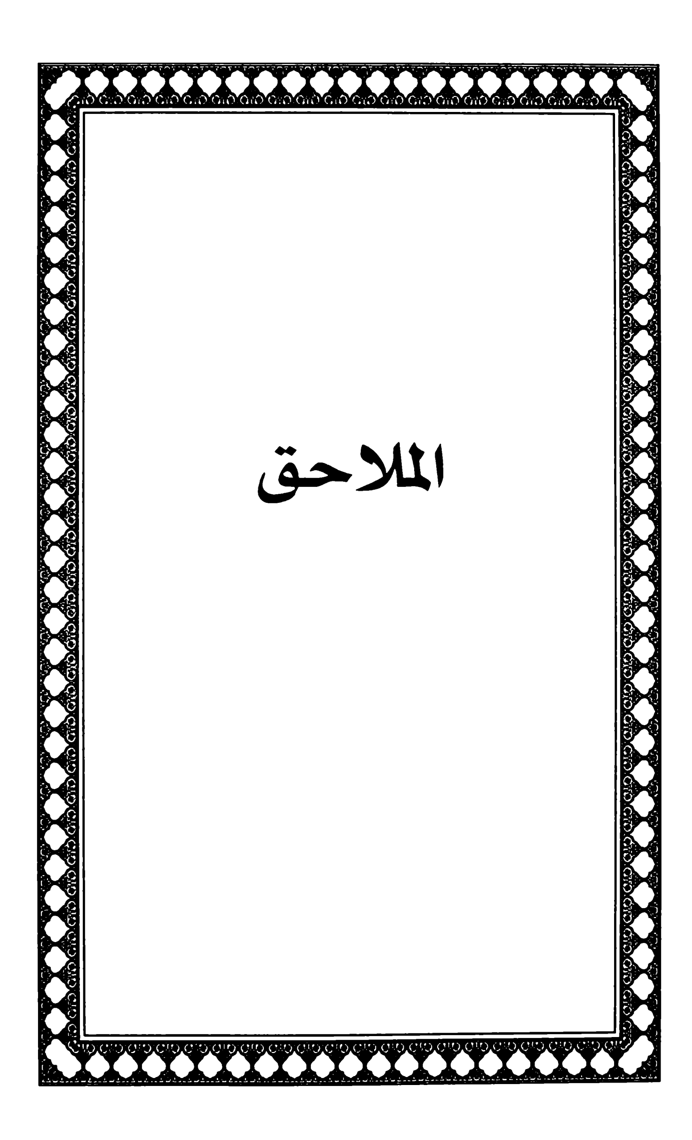
(1) ال عمران: ١١٠.

(2) ال عمران: ١٠٤.

فهذا ما تهيأ لي تتميمه وكتابته[1]، واتفق لي جمعه وترتيبه مع ضعف باعي وقصر ذراعي، هذا مع حصول الأسفار وتشويش الأفكار، لكن المرجو من كرمه تعالى أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يجعله خالصا لوجهه، إنه سميع مجيب.

---

(١) الحمد لله على ما هيئ لي من التعليق عليه وتصويب مطالبه او تدعيم مبانيه، واسال الله الملك الحق المبين ان ينفع بهذه التعليقة كما نفع بالاصل والشرح، تم بيد اقل الطلبة حيدر بن الحاج ناصر الوكيل (غفر الله له ولوالديه) في النجف الاشرف بجوار مولى المتقين وامام الموحدين امير المؤمنين علي ابن ابي طالب صلوات الله عليه وكان اخر ما نظرت في تصحيحه في الليلة السادسة والعشرين من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة و الف للهجرة النبوية الشريفة.



الملاحق

الملحق الاول:
متن الباب الحادي عشر[1]

تنبيه

طابقت متن الباب الحادي عشر مع النسخة المطبوعة من كتاب منهاج الصلاح للعلامة الحليﷺ الّذي يشكَل الباب الحدي عشر اخر ابوابه.

ومنهاج الصلاح طبع سنة ١٤٣٠هـ ضمن سلسلة مصادر بحار الانوار برقم (١٤) حققه السيد عبد المجيد الميردامادي.

وقد حصل المحقق على نسخ ست من منهاج الصلاح كما حصل على نسختين خطيتين من الباب الحادي عشر احدهما هي المحفوظة في مكتبة بودليان والاخرى مخطوطة محفوظة في مكتبة السيد العلامة المرعشيﷺ[2].

---

(١) من كتاب منهاج الصلاح للعلامة الحلي المطبوع ضمن سلسلة مصادر بحار الانوار.

(٢) انظر مقدمة منهاج الصلاح ص ٣٦ وما بعدها.

متن الباب الحادي عشر

فيما يجب على عامة المكلفين من معرفة أصول الدين

أجمع العلماء كافة على وجوب معرفة الله تعالى، وصفاته الثبوتية والسلبية، وما يصح عليه يمتنع عنه والنبوة والإمامة والمعاد بالدليل لا بالتقليد فلا بد من ذكر ما لا يمكن جهله على أحد من المسلمين، ومن جهل شيئا منه خرج عن ربقة المؤمنين واستحق العقاب الدائم. وقد رتبت هذا الباب على فصول:

الفصل الأول في إثبات واجب الوجود تعالى

فنقول: كل معقول فإما أن يكون واجب الوجود في الخارج لذاته، وإما ممكن الوجود لذاته، وإما ممتنع الوجود لذاته، ولا شك في أن هنا موجودا، فإنّ كان واجبا فالمطلوب، وإن كان ممكنا افتقر إلى موجد يوجده بالضرورة، فإنّ كان الموجد واجبا فالمطلوب، وإن كان ممكنا افتقر إلى موجد آخر فإنّ كان الأول دار، وهو باطل بالضرورة وإن كان ممكنا تسلسل وهو باطل. لأن جميع آحاد تلك السلسة الجامعة لجميع الممكنات يكون ممكنة بالضرورة فتشترك في امتناع الوجود بذاتها فلا بد لها من موجد خارج عنها بالضرورة فيكون واجبا بالضرورة، وهو المطلوب.

الفصل الثاني في صفاته الثبوتية وهي ثمان

الأولى: إنه تعالى قادر مختار، لأن العالم محدث، لأن كل جسم لا ينفك من الحوادث، أعني الحركة والسكون، وهما حادثان، لاستدعائهما

المسبوقية بالغير، وما لا ينفك من المحدث فهو محدث بالضرورة، فيكون المؤثر فيه ـ وهو الله تعالى ـ مختارا لأنه لو كان موجبا لم يتخلف أثره عنه بالضرورة، فيلزم إما قدم العالم، أو حدوث الله تعالى، وهما باطلان وقدرته تتعلق بجميع المقدورات، لأن العلة المحوجة هي الامكان ونسبة ذاته إلى الجميع بالسوية، فيكون قدرته عامة.

الثانية: أنه تعالى عالم، لأنه تعالى فعل الأفعال المحكمة المتقنة، وكل من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة وعلمه يتعلق بكل معلوم لتساوي نسبة جميع المعلومات إليه لأنه حي، يصح أن يعلم كل معلوم، فيجب له ذلك، لاستحالة افتقاره إلى غيره.

الثالثة، أنه تعالى حي لأنه تعالى قادر عالم فيكون حيا بالضرورة.

الرابعة: أنه تعالى مريد وكاره لأن تخصيص الأفعال بإيجادها في وقت دون آخر لا بد له من مخصص، هو الإرادة ولأنه تعالى أمر ونهى، وهما يستلزمان الإرادة والكراهة بالضرورة.

الخامسة: أنه تعالى مدرك لأنه تعالى حي فيصح أن يدرك وقد ورد القرآن بثبوته له فيجب إثباته.

السادسة: أنه تعالى قديم، أزلي: باق، أبدي، لأنه واجب الوجود، فيستحيل العدم السابق واللاحق عليه.

السابعة: إنه تعالى متكلم للاجماع، والمراد بالكلام الحروف المسموعة المنتظمة، ومعنى أنه تعالى متكلم أنه اوجد الكلام في جسم من الأجسام، وتفسير الأشاعرة غير معقول.

الثامنة: في إنه تعالى صادق، لأن الكذب قبيح بالضرورة ولانه تعالى منزه عنه، لاستحالة النقص عليه.

الفصل الثالث في صفاته السلبية وهي سبع

الأولى: في أنه ليس بمركب، وإلا لكان مفتقرا إلى أجزائه، والمفتقر ممكن.

الثانية: أنه تعالى ليس بجسم ولا عرض وإلا لافتقر إلى المكان، ولامتنع انفكاكه من الحوادث فيكون حادثا وهو محال.

ولا يجوز أن يكون في محل وإلا لافتقر إليه، ولا في جهة وإلا لافتقر إليها ولا يصح عليه اللذة والألم لامتناع المزاج عليه ولا يتحد بغيره لامتناع الاتحاد مطلقا.

الثالثة: إنه تعالى ليس محلا للحوادث لامتناع انفعاله عن غيره وامتناع النقص عليه.

الرابعة: أنه تعالى يستحيل عليه الرؤية لأن كل مرئي فهو ذو جهة لأنه أما مقابل أو في حكم المقابل بالضرورة فيكون جسما وهو محال، ولقوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[1]، النافية للابد.

الخامسة: في نفي الشريك عنه للسمع وللتمانع فيفسد نظام الوجود، ولاستلزامه التركيب لاشتراك الواجبين في كونهما واجبي الوجود فلا بد من مائزين.

السادسة: في نفي المعاني والأحوال عنه تعالى لو كان قادرا بقدرة، اوعالما بعلم، وغير ذلك لافتقر في صفاته إلى ذلك المعنى فيكون ممكنا، هذا خلف.

السابعة: في أنه تعالى غني ليس بمحتاج، لأن وجوب وجوده دون غيره يقتضي استغناؤه عنه وافتقار غيره إليه.

الفصل الرابع في العدل

وفيه مباحث:

---

(١) الاعراف ١٤٣.

الأول: العقل قاض بالضرورة أن من الأفعال ما هو حسن كرد الوديعة والاحسان والصدق النافع، وبعضها ما هو قبيح كالظلم والكذب. ولهذا حكم بهما من نفى الشرائع كالملحدة وحكماء الهند ولأنهما لو انتفيا عقلا انتفيا سمعا لانتفاء قبح الكذب حينئذ من الشارع.

الثاني: في أنا فاعلون الضرورة قاضية بذلك، للفرق الضروري بين سقوط الإنسان من سطح ونزوله منه على الدرج، ولامتنع تكليفنا بشئ فلا عصيان، ولقبح أن يخلق الفعل فينا ثم يعذبنا عليه وللسمع.

الثالث: في استحالة القبيح عليه تعالى، لأن له صارفا عنه وهو بالقبح، ولا داعي له إليه، لأنه أما داعي الحاجة الممتنعة عليه، أو الحكمة وهو منفي هنا، ولأنه لو جاز صدوره منه لامتنع إثبات الثواب، فحينئذ يستحيل عليه إرادة القبيح لأنها قبيحة.

الرابع: في أنه تعالى يفعل لغرض لدلالة القرآن عليه، ولاستلزام نفيه العبث وهو قبيح. وليس الغرض الاضرار لقبحه بل النفع فلا بد من التكليف وهو بعث من يجب طاعته على ما فيه مشقة على جهة الابتداء بشرط الإعلام وإلا لكان مغريا بالقبيح حيث خلق الشهوات والميل إلى القبيح والنفور عن الحسن فلا بد من زاجر هو التكليف والعلم غير كاف لاستسهال الذم في قضاء الوطر وجهة حسنه التعريض للثواب أعني النفع المستحق المقارن للتعظيم والاجلال الّذي يستحيل الابتداء به.

الخامس: في أنه تعالى يجب عليه اللطف وهو ما يقرب إلى الطاعة ويبعد من المعصية، ولا حظ له في التمكين، ولا يبلغ الالجاء، لتوقف غرض المكلف عليه فإنّ المريد لفعل من غيره إذا علم أنه لا يفعله إلا بفعل يفعله المريد من غير مشقة، لو لم يفعله لكان ناقضا لغرضه وهو قبيح عقلا.

السادس: في أنه تعالى يجب عليه فعل عوض الآلام الصادرة عنه ومعنى العوض هو النفع المستحق الخالي من تعظيم واجلال، وإلا لكان

ظالما تعالى الله عن ذلك ويجب زيادته على الألم وإلا لكان عبثا.

الفصل الخامس في النبوة

النبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطة أحد من البشر.

وفيه مباحث:

الأول: في نبوة نبيناﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلبﷺ رسول الله لأنه ظهر على يده المعجزة كالقرآن، وانشقاق القمر، ونبوع الماء من بين اصابعه، واشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، وتسبيح الحصى في كفه، وهي اكثر من ان تحصى. وادعا النبوة، فيكون صادقا، والا لزم اغراء المكلفين بالقبيح فيكون محالا.

الثاني في وجوب عصمته، العصمة لطف يفعله الله تعالى بالمكلف بحيث لا يكون له داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك لانه لولا ذلك لم يحصل الوثوق بقولهم فانتفت فائدة البعثة وهو محال.

الثالث: في أنه معصوم من أول عمره إلى آخره، لعدم انقياد القلوب إلى طاعة من عهد منه في سالف عمره أنواع المعاصي والكبائر والصغائر وما تنفر النفس منه.

الرابع: يجب أن يكون أفضل أهل زمانه لقبح تقديم المفضول على الفاضل عقلا وسمعا قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

الخامس: يجب أن يكون منزها عن دناءة الآباء وعهر الأمهات وعن الرذائل الخلقية، والعيوب الخلقية، لما في ذلك من النقص فيسقط محله من القلوب والمطلوب خلافه.

---

(١) يونس ٣٥.

الفصل السادس في الإمامة

وفيه مباحث: الأول: الإمامة رئاسة عامة في الدين والدنيا لشخص من الأشخاص وهي واجبة عقلا، لأن الإمامة لطف فإنا نعلم قطعا أن الناس متى كان لهم رئيس ينتصف المظلوم من الظالم، ويرد الظالم عن ظلمه، وكانوا إلى الصلاح أقرب، ومن الفساد أبعد، وقد تقدم أن اللطف واجب.

الثاني: يجب أن يكون الإمام معصوما وإلا تسلسل، لأن الحاجة الداعية إلى الإمام هي رد الظالم عن ظلمه والانتصاف للمظلوم منه، فلو جاز أن يكون غير معصوم افتقر إلى إمام آخر وتسلسل، ولأنه لو فعل المعصية فلووجب الانكار عليه سقط محله من القلوب، وانتفت فائدة نصبه، وإن لم يجب سقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو محال، ولأنه حافظ للشرع فلا بد من عصمته ليؤمن الزيادة والنقصان، ولقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[١].

الثالث: الإمام يجب أن يكون منصوصا عليه لأن العصمة من الأمور الباطنة الّتي لا يعلمها إلا الله تعالى فلا بد من تعيين من يعلم عصمته عليه أو ظهور معجز على يده يدل على معرفته.

الرابع: يجب ان يكون الامام أفضل الرعية لما تقدم في النبيصلى الله عليه وآله.

الخامس: الإمام بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب بالنص المتواتر من النبيصلى الله عليه وآله ولأنه أفضل لقوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[٢]. ومساوي الأفضل أفضل، ولاحتياج النبيصلى الله عليه وآله في المباهلة اليه، ولأن الإمام معصوم، ولا أحد من غيره ممن ادعي له الإمامة بمعصوم إجماعا فيكون هو الإمام، ولأنه أعلم لرجوع الصحابة في وقائعهم إليه ولم يرجع إلى

---

(١) البقرة ١٢٤.

(٢) آل عمران ٦١.

أحد، ولقولهﷺ: أقضاكم علي، ولأنه أزهد من غيره طلق الدنيا ثلاثا، والأدلة لا تحصى كثرة.

ثم من بعده ولده الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين زين العابدين ثم محمد بن علي الباقر ثم جعفر بن محمد الصادق ثم موسى بن جعفر الكاظم ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن علي الجواد ثم علي بن محمد الهادي ثم الحسن بن علي العسكري ثم محمد بن الحسن صاحب الزمانعليهم السلام، بنص كل سابق على لاحقه وبالأدلة السابقة.

الفصل السابع في المعاد

اتفق المسلمون كافة على وجوب المعاد البدني ولأنه لولاه لقبح التكليف ولأنه ممكن، والصادق الشارع أخبر بثبوته فيكون حقا، وللآيات الدالة عليه والانكار على جاحده.

وكل من له عوض أو عليه يجب بعثه وغيرهم يجب إعادته سمعا.

ويجب الاقرار بكل ما جاء به النبيﷺ فمن ذلك الصراط والميزان وانطاق الجوارح وتطاير الكتب ولامكانها وقد اخبر النبي الصادقﷺ بها فيجب الاعتراف بها ومن ذلك الثواب والعقاب وتفاصيلهما المنقولة من جهة الشرعي (صلوات الله على الصادع به)، ووجوب التوبة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بشرط أن يعلم الأمر والناهي كون المعروف معروفا والمنكر منكرا وأن يكون مما سيقعان، فإنّ الأمر والنهي بالماضي وعنه عبث، وتجويز التأثير، والأمن من الضرر.

الملحق الثاني

عن محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالبعليه السلام: قال: سمعت أبا الحسن الرضاعليه السلام يتكلم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد قال: ابن أبي زياد: ورواه لي واملى ايضا أحمد بن عبد الله العلوى مولى لهم وخالا لبعضهم عن القاسم ايوب العلوى ان المأمون لما اراد ان يستعمل الرضاعليه السلام جمع بني هاشم فقال لهم: انى اريد ان استعمل الرضاعليه السلام على هذا الامر من بعدى فحسده بنو هاشم وقالوا: اتولى رجلا جاهلا ليس له بصر بتدبير الخلافه؟ فابعث إليه رجلا ياتنا فترى من جهله ما تستدل به عليه فبعث إليه فاتاه فقال له بنو هاشم يا: أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علما نعبد الله عليه فصعدعليه السلام المنبر فقعد مليا لا يتكلم مطرقا ثم انتفض انتفاضه واستوى قائما وحمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على نبيه وأهل بيته ثم قال:

اول عباده الله تعالى معرفته واصل معرفه الله توحيده ونظام توحيد الله نفى الصفات عنه لشهاده العقول ان كل صفه وموصوف مخلوق وشهاده كل موصوف ان له خالقا ليس بصفة ولا موصوف وشهاده كل صفه وموصوف بالاقتران وشهاده الاقتران بالحدوث وشهاده الحدوث بالامتناع من الازل الممتنع من الحدوث فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته ولا اياه وحده من اكتنهه ولا حقيقته اصاب من مثله ولا به صدق من نهاه

ولا صمد صمده من اشار إليه ولا اياه عنى من شبهه ولا له تذلل من بعضه ولا اياه اراد من توهمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول بصنع الله يستدل عليه وبالعقول تعتقد معرفته وبالفطرة تثبت حجته خلق الخلق حجابا بينه وبينهم ومباينته اياهم ومفارقته اينيتهم وابتداءه اياهم دليلهم على ان لا ابتداء له لعجز مبتدا عن ابتداء غيره وادوات اياهم دليلهم ان لا ادوات فيه لشهاده الادوات بفاقه المادين فاسمائه تعبير وافعاله تفهيم وذاته حقيقه وكنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه فقد جهل الله من استوصفه وقد تعداه من اشتمله وقد اخطاه من اكتنهه ومن قال: كيف؟ فقد شبهه ومن قال: لم؟ فقد علله ومن قال: متى؟ فقد وقته ومن قال: فيم؟ فقد ضمنه ومن قال: الى م؟ فقد نهاه ومن قال: حتى م؟ فقد غياه ومن غياه فقد غاياه ومن غاياه فقد جزاه ومن جزاه فقد وصفه ومن وصفه فقد الحد فيه ولا يتغير الله بانغيار المخلوق كما لا يتحدد بتحديد المحدود أحد لا بتأويل عدد ظاهر لا بتأويل المباشرة متجلى لا باستقلال رؤيه باطن لا بمزايله مباين لا بمسافه قريب لا بمداناه لطيف لا بتجسم موجود لا بعد عدم فاعل لا باضطرار مقدر لا بحول فكره مدبر لا بحركه مريد لا بهمامه شاء لا بهمه مدرك لا بمحسه سميع لا باله بصير لا باداه لا تصحبه الاوقات ولا تضمنه الاماكن ولا تأخذه السنات ولا تحده الصفات ولا تقيده الادوات سابق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازله بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبتجهيزه الجواهر عرف ان لا جوهر له وبمضادته بين الاشياء عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور عرف ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والجلايه بالبهم والحسو بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متعادياتها

مفرق بين متدانياتها آله بتفريقها على مفرقها وبتاليفها على مؤلفها ذلك قوله تعالى: (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم ان لا قبل له ولا بعد شاهده بغرائزها ان لا غريزه لمغرزها داله بتفاوتها ان لا تفاوت لمفاوتها مخبره بتوقيتها ان لا وقت لموقتها حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لا حجاب بينه وبينها غيرها له معنى الربوبيه إذ لا مربوب وحقيقه الالهيه إذ لا مالوه ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق وتاويل السمع ولا مسموع ليس مذ خلق استحق معنى الخالق ولا باحداثه البرايا استفاد معنى البرائيه كيف؟ وتغيبه مذ ولا تدنيه قد ولا يحجبه لعل ولا توقته متى ولا يشتمله حين ولا تقاربه مع إنما تحد الادوات انفسها وتشير الاله الى نظائرها وفي الاشياء يوجد افعالها منعتها مذ القديمة وحمتها قد الازلية لو لا الكلمه افترقت فدلت على مفرقها وتباينت فاعربت عن مباينها لما تجلى صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤيه واليها تحاكم الاوهام: وفيها اثبت غيره ومنها انبط الدليل وبها عرفها الاقرار وبالعقول يعتقد التصديق بالله وبالاقرار يكمل الايمان به ولا ديانه إلا بعد معرفه ولا معرفه إلا بالاخلاص ولا اخلاص مع التشبيه ولا نفى مع اثبات الصفات للتشبيه فكل ما في الخلق يوجد في خالقه وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه لا تجرى عليها الحركه والسكون وكيف يجرى عليه ما هو اجراه أو يعود فيه ما هو ابتداه؟! إذا لتفاوتت ذاته ولتجزء كنهه ولامتنع من الازل معناه ولما كان للبارى معنى غير معنى المبروء ولو حد له وراء إذا لحد له امام ولو التمس له التمام إذا لزمه النقصان كيف يستحق الازل من لا يمتنع من الحدوث؟ وكيف ينشئ الاشياء من يمتنع من الانشاء؟ وإذا لقامت فيه آيه المصنوع ولتحول دليلا

بعد ما كان مدلولا عليه ليس في مجال القول حجه ولا في المسألة عنه جواب ولا في معناه لله تعظيم وفي ابانته عن الخلق ضيم إلا بامتناع الازلي ان يثنى ولما لا بدئ له ان يبتدء لا اله إلا الله العلى العظيم كذب العادلون وضلوا ضلالا بعيدا وخسرو خسرانا مبينا وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرين[١].

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام - الشيخ الصدوق ج ٢ ص ١٣٥.

الملحق الثالث

عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعه من علماء أهل العراق وخراسان فقال المأمون: اخبروني عن معنى هذه الايه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فقالت العلماء: اراد الله عز وجل بذلك الامه كلها فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا اقول كما ولكني اقول: اراد الله عز وجل بذلك العتره الطاهره فقال المأمون: وكيف عنى العتره من دون الامه؟ فقال له الرضا عليه السلام: انه لو اراد الامه لكانت اجمعها في الجنة لقول الله عز وجل: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال عز وجل: ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ الايه فصارت الوراثة للعتره الطاهره لا لغيرهم فقال المأمون: من العتره الطاهره؟ فقال الرضا عليه السلام: <الّذين> وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وهم <الّذين> قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انى مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتى إلا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفون فيهما ايها الناس لا تعلموهم فانهم اعلم منكم قالت العلماء: اخبرنا يا أبا الحسن عن العتره اهم الال ام غير الال؟ فقال

الرضاعليه السلام: هم الال فقالت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه انه قال: امتى آلى وهؤلاء اصحابه يقولون بالخبر المستفاض الّذي لا يمكن دفعه آل محمد امته فقال أبو الحسنعليه السلام: اخبروني فهل تحرم الصدقة على الال فقالوا: نعم قال: فتحرم على الامه قالوا: لا قال: هذا فرق بين الال والامه ويحكم اين يذهب بكم اضربتم عن الذكر صفحا ام انتم قوم مسرفون اما علمتم انه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن اين يا أبا الحسن؟ فقال من قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فصارت وراثه النبوه والكتاب للمهتدين دون الفاسقين اما علمتم ان نوحا حين سأل ربه عز وجل: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ وذلك ان الله عز وجل وعده ان ينجيه واهله فقال ربه عز وجل: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فقال المأمون: هل فضل الله العتره على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن: ان الله عز وجل ابان فضل العتره على سائر الناس في محكم كتابه فقال له المأمون: واين ذلك من كتاب الله؟ فقال له الرضاعليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وقال عز وجل في موضع آخر: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ ثم رد المخاطبة في اثر هذه الى سائر المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ يعنى الّذي قرنهم بالكتاب والحكمه وحسدوا عليهما فقوله عز وجل: ﴿أَمْ

يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ يعنى الطاعه للمصطفين الطاهرين فالملك هيهنا هو الطاعه لهم فقالت العلماء: فاخبرنا هل فسر الله عز وجل الاصطفاء في الكتاب؟ فقال الرضا عليه السلام فسر الاصطفاء في الظاهر سوى الباطن في اثنا عشر موطنا وموضعا. فاول ذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ورهطك المخلصين هكذا في قراءة أبي بن كعب وهي ثابته في مصحف عبد الله بن مسعود وهذه منزله رفيعه وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الال فذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله فهذه واحده.

والايه الثانيه: في الاصطفاء قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ وهذا الفضل الّذي لا يجهله أحد إلا معاند ضال لانه فضل بعد طهاره تنتظر فهذه الثانيه. وأما الثالثه فحين ميز الله الطاهرين من خلقه فامر نبيه بالمباهلة بهم في آيه الابتهال فقال عز وجل: يا محمد: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ فبرز النبي صلى الله عليه وآله عليا والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم وقرن انفسهم بنفسه فهل تدرون ما معنى قوله: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ﴾؟ قالت العلماء: عنى به نفسه فقال أبو الحسن عليه السلام: لقد غلطتم إنما عنى بها على بن أبي طالب عليه السلام ومما يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: حين قال: لينتهين بنو وليعه أو لابعثن إليهم رجلا كنفسي يعنى على بن أبي طالب عليه السلام وعنى بالابناء الحسن والحسين عليهما السلام وعنى بالنساء فاطمه عليها السلام فهذه خصوصيه لا يتقدمهم فيها أحد وفضل لا

يلحقهم فيه بشر وشرف لا يسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس علىعليه السلام كنفسه فهذه الثالثه. وأما الرابعة فاخراجهصلى الله عليه وآله الناس من مسجده ما خلا العتره حتى تكلم الناس في ذلك وتكلم العباس فقال: يا رسول الله: تركت عليا واخرجتنا؟ فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: ما انا تركته واخرجتكم ولكن الله عز وجل تركه واخرجكم وفي هذا تبيان قولهصلى الله عليه وآله لعلىعليه السلام: أنت منى بمنزله هارون من موسى قالت العلماء: واين هذا من القرآن؟ قال أبو الحسن: اوجدكم في ذلك قرآنا واقرأه عليكم قالوا: هات قال: قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ ففى هذه الايه منزله هارون من موسى وفيها ايضا منزله علىعليه السلام من رسول اللهصلى الله عليه وآله ومع هذا دليل واضح في قوله رسول اللهصلى الله عليه وآله حين قال: ألا ان هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمدصلى الله عليه وآله وآله قالت العلماء: يا أبا الحسن هذا الشرح والبيان لا يوجد إلا عندكم معاشر أهل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله فقال: ومن ينكر لنا ذلك ورسول الله يقول: انا مدينه العلم وعلى بابها فمن اراد المدينة فليأتها من بابها؟! ففيما اوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدمه والاصطفاء والطهارة ما لا ينكره إلا معاند والله عز وجل والحمد على ذلك فهذه الرابعة. والايه الخامسه قول الله عز وجل: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ خصوصيه خصهم الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الامه فلما نزلت هذه الايه على رسول اللهصلى الله عليه وآله قال: ادعوا الى فاطمه فدعيت له فقال: يا فاطمه قالت: لبيك يا رسول الله فقال: هذه فدك مما هي لم يوجف عليه بالخيل ولا ركاب وهي لي خاصه دون المسلمين وقد جعلتها لما امرني الله تعالى به فخذيها لك ولولدك فهذه الخامسه. والايه السادسة قول الله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

﴿ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ وهذه خصوصيه للنبيﷺ الى يوم القيامة وخصوصيه للال دون غيرهم وذلك ان الله عز وجل حكى في ذكر نوح في كتابه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ وحكى عز وجل عن هود انه قال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ وقال عز وجل لنبيه محمدﷺ: قل يا محمد ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ ويفرض الله تعالى مودتهم إلا وقد علم انهم لا يرتدون عن الدين ابدا ولا يرجعون الى ضلال ابدا واخرى ان يكون الرجل وادا للرجل فيكون بعض أهل بيته عدوا له فلا يسلم له قلب الرجل فاحب الله عز وجل ان لا يكون في قلب رسول اللهﷺ على المؤمنين شئ ففرض عليهم الله موده ذوى القربى فمن اخذ بها واحب رسول اللهﷺ واحب أهل بيته لم يستطع رسول اللهﷺ ان يبغضه ومن تركها ولم ياخذ بها وابغض أهل بيته فعلى رسول اللهﷺ ان يبغضه لانه قد ترك فريضه من فرائض الله عز وجل فاى فضيله وأي شرف يتقدم هذا أو يدانيه؟ فانزل الله عز وجل هذه الايه على نبيهﷺ ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ فقام رسول اللهﷺ في اصحابه فحمد الله واثنى عليه وقال: يا ايها الناس ان الله عز وجل قد فرض لي عليكم فرضا فهل انتم مؤدوه؟ فلم يجبه أحد فقال: يا ايها الناس انه ليس من فضه ولا ذهب ولا ماكول ولا مشروب فقالوا: هات إذا فتلا عليهم هذه الايه فقالوا: أما هذه فنعم فما وفى بها اكثرهم وما بعث الله عز وجل نبيا إلا اوحى إليه ان لا يسال قومه اجرا لأن الله عز وجل يوفيه اجر الانبياء ومحمدﷺ فرض الله عز وجل طاعته وموده قرابته على امته وامره ان يجعل اجره فيهم ليؤدوه

في قرابته بمعرفه فضلهم الّذي اوجب الله عز وجل لهم فإنّ الموده انما تكون على قدر معرفه الفضل فلما اوجب الله تعالى ذلك ثقل ذلك لثقل وجوب الطاعه فتمسك بها قوم قد اخذ الله ميثاقهم على الوفاء وعاند أهل الشقاق والنفاق والحدوا في ذلك فصرفوه عن حده الّذي حده الله عز وجل فقالوا: القرابة هم العرب كلها وأهل دعوته فعلى أي الحالتين كان فقد علمنا ان الموده هي للقرابه فاقربهم من النبيﷺ اولاهم بالموده وكلما قربت القرابة كانت الموده على قدرها وما انصفوا نبى اللهﷺ في حيطته ورافته وما من الله به على امته مما تعجز الالسن عن وصف الشكر عليه ان لا يؤذوه في ذريته وأهل بيته وان يجعلوهم فيهم بمنزله العين من الراس حفظا لرسول الله فيهم وحبا لهم فكيف؟! والقرآن ينطق به ويدعو إليه والاخبار ثابته بانهم أهل الموده <والّذين> فرض الله تعالى مودتهم ووعد الجزاء عليها فما وفى أحد بها فهذه الموده لا ياتي بها أحد مؤمنا مخلصا إلا استوجب الجنة لقول الله عز وجل في هذه الايه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ * ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾مفسرا ومبينا ثم قال أبو الحسنعليه السلام: حدثني أبي عن جدى عن آبائه عن الحسين بن عليعليهما السلام قال: اجتمع المهاجرون والانصار الى رسول اللهﷺ فقالوا: ان لك يا رسول اللهﷺ مؤنه في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه اموالنا مع دمائنا فاحكم فيها بارا ماجورا اعط ما شئت وامسك ما شئت من غير حرج قال: فانزل الله عز وجل عليه الروح الامين فقال: يا محمد: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يعنى ان تودوا قرابتي من بعدى

فخرجوا فقال المنافقون: ما حمل رسول الله ﷺ على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قرابته من بعد ان هو إلا شئ افتراه في مجلسه وكان ذلك من قولهم عظيما فانزل الله عز وجل هذه الايه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فبعث عليهم النبي ﷺ فقال: هل من حدث؟ فقالوا: أي والله يا رسول الله لقد قال بعضنا: كلاما غليظا كرهناه فتلا عليهم رسول الله ﷺ الايه فبكوا واشتد بكاؤهم فانزل عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فهذه السادسة. وأما الايه السابعه فقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قالوا: يا رسول الله قد عرفنا التسليم فكيف الصلاه عليك؟ فقال: تقولون اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف؟ فقالوا: لا فقال المأمون: هذا مما لا خلاف فيه اصلا وعليه اجماع الامه فهل عندك في الال شئ اوضح من هذا في القرآن؟ فقال أبو الحسن: نعم اخبروني عن قول الله عز وجل: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فمن عنى بقوله يس؟ قالت العلماء: يس محمد ﷺ لم يشك فيه أحد قال أبو الحسن: فإنّ الله عز وجل اعطى محمدا وآل محمد من ذلك فضلا لا يبلغ أحد كنه وصفه الا من عقله وذلك ان الله عز وجل لم يسلم على أحد إلا على الانبياء صلوات الله عليهم فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ولم يقل: سلام على آل نوح ولم يقل: سلام على آل

إبراهيم ولا قال: سلام على آل موسى وهارون وقال عز وجل: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ آلِ يَاسِينَ﴾ يعنى آل محمد صلوات الله عليهم فقال المأمون: لقد علمت ان في معدن النبوه شرح هذا وبيانه فهذه السابعه. وأما الثامنه فقول الله عز وجل: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ فقرن سهم ذى القربى بسهمه وبسهم رسول الله ﷺ فهذا فضل ايضا بين الال والامه لأن الله تعالى جعلهم في حيز وجعل الناس في حيز دون ذلك ورضى لهم ما رضى لنفسه واصطفاهم فيه فبدء بنفسه ثم ثنى برسوله ثم بذى القربى في كل ما كان من الفئ والغنيمة وغير ذلك مما رضيه عز وجل لنفسه فرضى لهم فقال وقوله الحق: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ فهذا تأكيد مؤكد واثر قائم لهم الى يوم القيامة في كتاب الله الناطق الّذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ وأما قوله: ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ فإنّ اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم ولم يكن له فيها نصيب وكذلك المسكين انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ولا يحل له اخذه وسهم ذى القربى قائم الى يوم القيامة فيهم للغنى والفقير منهم لانه لا أحد اغنى من الله عز وجل ولا من رسول الله ﷺ فجعل لنفسه منها سهما ولرسوله ﷺ سهما فما رضيه لنفسه ولرسوله ﷺ رضيه لهم وكذلك الفئ ما رضيه منه لنفسه ولنبيه ﷺ رضيه لذى القربى كما اجراهم في الغنيمة فبدء بنفسه جل جلاله ثم برسوله ثم بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله ﷺ وكذلك في الطاعه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ فبدء بنفسه ثم برسوله ثم باهل بيته كذلك آيه الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ فجعل طاعتهم مع طاعه الرسول مقرونه بطاعته كذلك ولايتهم مع ولايه الرسول مقرونه بولايته كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقرونا بسهمه الغنيمة والفئ فتبارك الله وتعالى ما اعظم نعمته على أهل هذا البيت؟! فلما جاءت قصه الصدقة نزه نفسه ورسوله ونزه أهل بيته فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فهل تجد في شئ من ذلك انه سمى لنفسه أو لرسوله أو لذى القربى لانه لما نزه نفسه عن الصدقة ونزه رسوله ونزه اهل بيته لا بل حرم عليهم لأن الصدقة محرمه على محمدﷺ وآله وهي اوساخ ايدى الناس لا يحل لهم لانهم طهروا من كل دنس ووسخ فلما طهرهم الله عز وجل واصطفاهم رضى لهم ما رضى لنفسه وكره لهم ما كره لنفسه عز وجل فهذه الثامنه. وأما التاسعة فنحن أهل الذكر <الّذين> قال الله عز وجل: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فنحن أهل الذكر فاسألونا ان كنتم لا تعلمون فقالت العلماء: إنما عنى الله بذلك اليهود والنصارى فقال أبو الحسنعليه السلام: سبحان الله! وهل يجوز ذلك إذا يدعونا الى دينهم ويقولون: انهم افضل من دين الاسلام؟! فقال المأمون: فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن؟ فقال أبو الحسن: نعم الذكر رسول الله ونحن اهله وذلك بين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سوره الطلاق: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا * رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ﴾ فالذكر رسول اللهﷺ ونحن اهله فهذه التاسعة. وأما العاشرة فقول الله عز وجل في آيه التحريم: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ﴾ الايه فاخبروني هل تصلح

ابنتى وابنة ابني وما تناسل من صلبى لرسول الله ﷺ ان يتزوجها لو كان حيا؟ قالوا: لا قال: فاخبروني هل كانت ابنه احدكم تصلح له ان يتزوجها لو كان حيا؟ قالوا: نعم قال: ففى هذا بيان لانى انا من آله ولستم من آله ولو كنتم من آله لحرم عليه بناتكم كما حرم عليه بناتى لانى من آله وانتم من امته فهذا فرق بين الال والامه لأن الال منه والامه إذا لم تكن من الال فليست منه فهذه العاشرة. وأما الحاديه عشره فقول الله عز وجل في سوره المؤمن حكايه عن قول رجل مؤمن من آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الى تمام الايه فكان ابن خال فرعون فنسبه الى فرعون بنسبه ولم يضفه إليه بدينه وكذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول الله ﷺ بولادتنا منه وعممنا الناس بالدين فهذا فرق بين الال والامه فهذه الحاديه عشره. وأما الثانيه عشره فقوله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ فخصصنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصية إذ امرنا مع الامه باقامه الصلاه ثم خصصنا من دون الامه فكان رسول الله ﷺ يجئ الى باب علي وفاطمة عليهما السلام بعد نزول هذه الايه تسعه اشهر كل يوم عند حضور كل صلاه خمس مرات فيقول: الصلاه رحمكم الله وما اكرم الله احدا من ذرارى الانبياء بمثل هذه الكرامة الّتي اكرمنا بها وخصصنا من دون جميع أهل بيتهم فقال المأمون والعلماء: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الامه خيرا فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم[١].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام – الشيخ الصدوق ج ٢ ص ٢٠٧.

الملحق الرابع

المراجعة ١٠٩ رقم: ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠ كنا ـ في المراجعة ١٩ ـ قلنا لكم: إن بعض المتعصبين عليكم قد يشاغبون في إسناد مذهبكم ـ في فروع الدين وأصوله ـ إلى أئمة أهل البيت، ووعدنا أنفسنا بمراجعتكم في هذا الشأن، وهذا وقت الوعد، فهل تتفضلون بما يدرأ شغبهم؟ والسلام.

المراجعة ١١٠ رقم: ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٣٠

١ـ تواتر مذهب الشيعة عن أئمة أهل البيت

٢ـ تقدم الشيعة في تدوين العلم زمن الصحابة

٣ـ المؤلفون من سلفهم زمن التابعين وتابعي التابعين

١ـ إن أولي الألباب ليعلمون بالضرورة انقطاع الشيعة الإمامية خلفا عن سلف في أصول الدين وفروعه إلى العترة الطاهرة، فرأيهم تبع لرأي الأئمة من العترة في الفروع والأصول وسائر ما يؤخذ من الكتاب والسنة أو يتعلق بهما من جميع العلوم لا يعولون في شئ من ذلك إلا عليهم، ولا يرجعون فيه إلا إليهم، فهم يدينون الله تعالى، ويتقربون إليه سبحانه بمذهب أئمة أهل البيت، لا يجدون عنه حولا ولا يرتضون بدلا، على ذلك مضى سلفهم الصالح من عهد أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين عليهم السلام إلى زماننا هذا، وقد أخذ الفروع والأصول عن كل واحد منهم جم من ثقات الشيعة وحفاظهم وافر، وعدد

من أهل الورع والضبط والاتقان يربو على التواتر، فرووا ذلك لمن بعدهم على سبيل التواتر القطعي، ومن بعدهم رواه لمن بعده على هذا السبيل، وهكذا كان الأمر في كل خلف وجيل، إلى أن انتهى إلينا كالشمس الضاحية ليس دونها حجاب، فنحن الآن في الفروع والأصول، على ما كان عليه الأئمة من آل الرسول، روينا بقضنا وقضيضنا مذهبهم عن جميع آبائنا، وروى جميع آبائنا ذلك عن جميع آبائهم، وهكذا كانت الحال، في جميع الأجيال، إلى زمن النقيين العسكريين، والرضايين الجوادين، والكاظمين الصادقين، والعابدين والباقرين، السبطين الشهيدين، وأمير المؤمنين عليه السلام، فلا نحيط الآن بمن صحب أئمة أهل البيت من سلف الشيعة، فسمع أحكام الدين منهم، وحمل علوم الاسلام عنهم، وإن الوسع ليضيق عن استقصائهم وعدهم، وحسبك ما خرج من أقلام أعلامهم، من المؤلفات الممتعة، الّتي لا يمكن استيفاء عدها في هذا الاملاء، وقد اقتبسوها من نور أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام، واغترفوها من بحورهم، سمعوها من أفواههم، وأخذوها من شفاههم، فهي ديوان علمهم، وعنوان حكمهم، ألفت على عهدهم فكانت مرجع الشيعة من بعدهم، وبها ظهر امتياز مذهب أهل البيت على غيره من مذاهب المسلمين، فإنا لا نعرف أن أحدا من مقلدي الأئمة الأربعة مثلا، ألف على عهدهم كتابا في أحد مذاهبهم، وإنما ألف الناس على مذاهبهم، فأكثروا بعد انقضاء زمنهم وذلك حيث تقرر حصر التقليد فيهم، وقصر الإمامة في الفروع عليهم، وكانوا أيام حياتهم كسائر من عاصرهم من الفقهاء والمحدثين، لم يكن لهم امتياز على من كان في طبقتهم، ولذلك لم يكن على عهدهم من يهتم بتدوين أقوالهم، اهتمام الشيعة بتدوين أقوال أئمتها المعصومين ـ على

رأيها ـ فإنّ الشيعة من أول نشأتها، لا تبيح الرجوع في الدين إلى غير أئمتها، ولذلك عكفت هذا العكوف عليهم، وانقطعت في أخذ معالم الدين إليهم، وقد بذلت الوسع والطاقة في تدوين كل ما شافهوها به، واستفرغت الهمم والعزائم في ذلك بما لا مزيد عليه، حفظا للعلم الّذي لا يصح ـ على رأيها ـ عند الله سواه، وحسبك ـ مما كتبوه أيام الصادق ـ تلك الأصول الأربع مئة، وهي أربعمائة مصنف لأربع مئة مصنف، كتبت من فتاوى الصادق على عهده، ولأصحاب الصادق غيرها هو أضعاف أضعافها، كما ستسمع تفصيله قريبا إن شاء الله تعالى. أما الأئمة الأربعة فليس لهم عند أحد من الناس منزلة أئمة أهل البيت عند شيعتهم، بل لم يكونوا أيام حياتهم، بالمنزلة الّتي تبوأوها بعد وفاتهم، كما صرح به ابن خلدون المغربي، في الفصل الّذي عقده لعلم الفقه من مقدمته الشهيرة، واعترف به غير واحد من أعلامهم، ونحن مع ذلك لا نرتاب في أن مذاهبهم إنما هي مذاهب اتباعهم، الّتي عليها مدار عملهم في كل جيل، وقد دونوها في كتبهم، لأن أتباعهم أعرف بمذاهبهم، كما أن الشيعة أعرف بمذهب أئمتهم، الّذي يدينون الله بالعمل على مقتضاه، ولا تتحقق منهم نية القربة إلى الله بسواه.

٢ـ وإن الباحثين ليعلمون بالبداهة تقدم الشيعة في تدوين العلوم على من سواهم إذ لم يتصد لذلك في العصر الأول غير علي وأولوا العلم من شيعته، ولعل السر في ذلك اختلاف الصحابة في إباحة كتابة العلم وعدمها، فكرهها كما عن العسقلاني في مقدمة فتح الباري وغيره ـ عمر بن الخطاب وجماعة آخرون، خشية أن يختلط الحديث في الكتاب، وأباحه علي وخلفه الحسن السبط المجتبى وجماعة من الصحابة، وبقي

الأمر على هذه الحال حتى أجمع أهل القرن الثاني في آخر عصر التابعين على إباحته، وحينئذ ألف ابن جريح كتابه في الآثار عن مجاهد وعطاء بمكة، وعن الغزالي أنه أول كتاب صنف في الاسلام، والصواب أنه أول كتاب صنفه غير الشيعة من المسلمين وبعده كتاب معتمر بن راشد الصنعاني باليمن ثم موطأ مالك، وعن مقدمة فتح الباري أن الربيع بن صبيح أول من جمع، وكان في آخر عصر التابعين، وعلى كل فالإجماع منعقد على أنه ليس لهم في العصر الأول تأليف.

أما علي وشيعته، فقد تصدوا لذلك في العصر الأول، وأول شئ دونه أمير المؤمنين كتاب الله عز وجل، فإنه عليه السلام بعد فراغه من تجهيز النبي صلى الله عليه وآله آلى على نفسه أن لا يرتدي إلا للصلاة، أن يجمع القرآن، فجمعه مرتبا على حسب النزول، وأشار إلى عامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وعزائمه ورخصه، وسننه وآدابه، ونبه على أسباب النزول في آياته البينات، وأوضح ما عساه يشكل من بعض الجهات وكان ابن سيرين يقول: "لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم" وقد عني غير واحد من قراء الصحابة بجمع القرآن، غير أنه لم يتسن لهم أن يجمعوه على تنزيله، ولم يودعوه شيئا من الرموز الّتي سمعتها فإذن كان جمعه عليه السلام بالتفسير أشبه.

وبعد فراغه من الكتاب العزيز ألف لسيدة نساء العالمين كتابا كان يعرف عند أبنائها الطاهرين بمصحف فاطمة يتضمن أمثالا وحكما، ومواعظ وعبرا، وأخبارا ونوادر توجب لها العزاء عن سيد الأنبياء أبيها صلى الله عليه وآله. وألف بعده كتابا في الديات وسمه بالصحيفة، وقد أورده ابن سعد في آخر كتابه المعروف بالجامع مسندا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ورأيت

البخاري ومسلما يذكران هذه الصحيفة ويرويان عنها في عدة مواضع من صحيحيهما، ومما روياه عنها ما أخرجاه عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه، قال: "قال علي عليه السلام ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله غير هذه الصحيفة، قال: فأخرجها فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل" قال: وفيها "المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" الحديث بلفظ البخاري في باب إثم من تبرأ من مواليه من كتاب "الفرائض" في الجزء الرابع من صحيحه، وهو موجود في باب فضل المدينة من كتاب الحج من الجزء الأول من صحيح مسلم، والإمام أحمد بن حنبل أكثر من الرواية عن هذه الصحيفة في مسنده، ومما رواه عنها ما أخرجه من حديث علي في صفحة ١٠٠ من الجزء الأول من مسنده عن طارق بن شهاب، قال: شهدت عليا عليه السلام، وهو يقول على المنبر: "والله ما عندنا كتاب نقرؤه عليكم إلا كتاب الله تعالى، وهذه الصحيفة، وكانت معلقة بسيفه أخذتها من رسول الله صلى الله عليه وآله... الحديث". وقد جاء في رواية الصفار عن عبد الملك قال دعا أبو جعفر بكتاب علي، فجاء به جعفر مثل فخذ الرجل مطويا، فإذا فيه: "إن النساء ليس لهن من عقار الرجل إذا توفي عنهن شئ، فقال أبو جعفر: هذا والله خط علي وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله" واقتدى بأمير المؤمنين ثلة من شيعته فألفوا على عهده، منهم: سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، فيما ذكره ابن شهرآشوب، حيث قال: أول من صنف في الاسلام علي بن أبي طالب، ثم سلمان الفارسي، ثم أبو ذر. ا هـ.

ومنهم أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وصاحب بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من خاصة أوليائه والمستبصرين بشأنه، له كتاب

السنن والأحكام والقضايا جمعه من حديث علي خاصة، فكان عند سلفنا في الغاية القصوى من التعظيم، وقد رووه بطرقهم وأسانيدهم إليه، ومنهم علي بن أبي رافع ـ وقد ولد كما في ترجمته من الإصابة على عهد النبي فسماه عليا ـ له كتاب في فنون الفقه على مذهب أهل البيت، وكانواعليهم السلام يعظمون هذا الكتاب، ويرجعون شيعتهم إليه، قال موسى بن عبد الله بن الحسن: سأل أبي رجل، عن التشهد، فقال أبي: هات كتاب ابن أبي رافع، فأخرجه وأملاه علينا. ا هـ. واستظهر صاحب روضات الجنات أنه أول كتاب فقهي صنف في الشيعة، وقد اشتبه في ذلكرحمه الله، ومنهم عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي ووليه، سمع النبي وروى عنهصلى الله عليه وآله قوله لجعفر: "اشبهت خلقي وخلقي" أخرج ذلك عنه جماعة منهم أحمد بن حنبل في مسنده، وذكره ابن حجر في القسم الأول من إصابته بعنوان عبيد الله بن أسلم، لأن أباه أبا رافع اسمه أسلم، ألف عبيد الله هذا كتابا فيمن حضر صفين مع علي، من الصحابة، رأيت ابن حجر ينقل عنه كثيرا في إصابته، فراجع. ومنهم ربيعة بن سميع، له كتاب في زكاة النعم من حديث علي عن رسول اللهصلى الله عليه وآله. ومنهم عبد الله بن الحر الفارسي له لمعة في الحديث جمعها عن علي عن رسول اللهصلى الله عليه وآله.

ومنهم الأصبغ بن نباتة صاحب أمير المؤمنين وكان من المنقطعين إليه، روى عنه عهده إلى الأشتر، ووصيته إلى ابنه محمد، ورواهما أصحابنا بأسانيدهم الصحيحة إليه. ومنهم سليم بن قيس الهلالي صاحب عليعليه السلام روى عنه وعن سلمان الفارسي، له كتاب في الإمامة ذكره الإمام محمد بن إبراهيم النعماني في الغنية، فقال: وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم أو رواه عن الأئمة لا خلاف في أن كتاب سليم بن قيس

الهلالي أصل من كتب الأصول الّتي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت وأقدمها، وهو من الأصول الّتي ترجع الشيعة إليها وتعول عليها. ا هـ

وقد تصدى أصحابنا لذكر من ألف من أهل تلك الطبقة من سلفهم الصالح، فليراجع فهارسهم وتراجم رجالهم من شاء.

٣ـ وأما مؤلفو سلفنا من أهل الطبقة الثانية ـ طبقة التابعين ـ فإنّ مراجعاتنا هذه لتضيق عن بيانهم. والمرجع في معرفتهم ومعرفة مصنفاتهم وأسانيدها إليهم على التفصيل إنما هو فهارس علمائنا ومؤلفاتهم في تراجم الرجال. سطع ـ أيام تلك الطبقة ـ نور أهل البيت، وكان قبلها محجوبا بسحائب ظلم الظالمين، لأن فاجعة الطف فضحت أعداء آل محمدﷺ، وأسقطتهم من أنظار أولي الألباب، ولفتت وجوه الباحثين إلى مصائب أهل البيت، منذ فقدوا رسول اللهﷺ، واضطرت الناس بقوارعها الفادحة إلى البحث عن أساسها، وحملتهم على التنقيب عن أسبابها، فعرفوا جذرتها وبذرتها، وبذلك نهض أولوا الحمية من المسلمين إلى حفظ مقام أهل البيت والانتصار لهم، لأن الطبيعة البشرية تنتصر بجبلتها للمظلوم، وتنفر من الظالم، وكأن المسلمين بعد تلك الفاجعة دخلوا في دور جديد، فاندفعوا إلى موالاة الإمام علي بن الحسين زين العابدين، وانقطعوا إليه في فروع الدين وأصوله، وفي كل ما يؤخذ من الكتاب والسنة من سائر الفنون الاسلامية، وفزعوا من بعدهٖ إلى ابنه الإمام أبي جعفر الباقرعليهما السلام، وكان أصحاب هذين الإمامين "العابدين الباقرين" من سلف الإمامية ألوفا مؤلفة لا يمكن إحصاؤهم، لكن <الّذين> دونت أسماؤهم وأحوالهم في كتب التراجم من حملة العلم عنهما يقاربون أربعة آلاف بطل، ومصنفاتهم تقارب عشرة آلاف كتاب أو تزيد، رواها أصحابنا

في كل خلف عنهم بالأسانيد الصحيحة، وفاز جماعة من أعلام أولئك الأبطال بخدمتهما وخدمة بقيتهما الإمام الصادق عليه السلام، وكان الحظ الأوفر لجماعة منهم فازوا بالقدح المعلى علما وعملا.

فمنهم أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح الجريري القارئ الفقيه المحدث المفسر الأصولي اللغوي المشهور، كان من أوثق الناس، لقي الأئمة الثلاثة، فروى عنهم علوما جمة، وأحاديث كثيرة، وحسبك أنه روى عن الصادق خاصة ثلاثين ألف حديث، كما أخرجه الميرزا محمد في ترجمة أبان من كتاب منتهى المقال بالإسناد إلى أبان بن عثمان عن الصادق عليه السلام، وكان له عندهم حظوة وقدم، قال له الباقر عليه السلام ـ وهما في المدينة الطيبة ـ: "أجلس في المسجد وافت الناس، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك" وقال له الصادق عليه السلام: "ناظر أهل المدينة، فإني أحب أن يكون مثلك من رواتي ورجالي". وكان إذا قدم المدينة تقوضت إليه الخلق، وأخليت له سارية النبي صلى الله عليه وآله، وقال الصادق عليه السلام لسليم ابن أبي حبة: "ائت أبان بن تغلب فإنه سمع مني حديثا كثيرا، فما روى لك فاروه عني" وقال عليه السلام لأبان بن عثمان: "إن أبان بن تغلب روى عني ثلاثين ألف حديث فاروها عنه". وكان إذا دخل أبان على الصادق يعانقه ويصافحه، ويأمر بوسادة تثنى له، ويقبل عليه بكله. ولما نعي إليه قال عليه السلام: "أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان" وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومائة. ولأبان روايات عن أنس بن مالك، والأعمش، ومحمد بن المنكدر، وسماك بن حرب، وإبراهيم النخعي، وفضيل بن عمرو، والحكم، وقد احتج به مسلم وأصحاب السنن الأربعة كما بيناه إذ أوردناه ـ في المراجعة ١٦ ـ ولا يضره عدم احتجاج البخاري به، فإنّ له أسوة بأئمة أهل البيت، الصادق، والكاظم، والرضا، والجواد التقي، والحسن العسكري الزكي، إذ

لم يحتج بهم، بل لم يحتج بالسبط الأكبر سيد شباب أهل الجنة، نعم احتج بمروان بن الحكم، وعمران بن حطان، وعكرمة البربي، وغيرهم من أمثالهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولأبان مصنفات ممتعة، منها كتاب تفسير غريب القرآن أكثر فيه من شعر العرب شواهد على ما جاء في الكتاب الحكيم، وقد جاء فيما بعد، عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان، ومحمد بن السائب الكلبي، وابن روق عطية بن الحارث، فجعله كتابا واحدا بين ما اختلفوا فيه، وما اتفقوا عليه، فتارة يجئ كتاب أبان مفردا، وتارة يجئ مشتركا على ما عمله عبد الرحمن، وقد روى أصحابنا كلا من الكتابين بالأسانيد المعتبرة، والطرق المختلفة، ولأبان كتاب الفضائل، وكتاب صفين، وله أصل من الأصول الّتي تعتمد عليها الإمامية في أحكامها الشرعية، وقد روت جميع كتبه بالإسناد إليه، والتفصيل في كتب الرجال. ومنهم أبو حمزة الثمالي ثابت بن دينار، كان من ثقات سلفنا الصالح وأعلامهم، أخذ العلم عن الأئمة الثلاثة ـ الصادق والباقر وزين العابدين عليهم السلام ـ وكان منقطعا إليهم، مقربا عندهم، أثنى عليه الصادق، فقال عليه السلام: أبو حمزة في زمانه مثل سلمان الفارسي في زمانه. وعن الرضا عليه السلام: "أبو حمزة في زمانه كلقمان في زمانه" له كتاب تفسير القرآن، رأيت الإمام الطبرسي ينقل عنه في تفسيره ـ مجمع البيان ـ وله كتاب النوادر، وكتاب الزهد، ورسالة الحقوق، رواها عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، وروى عنه دعاءه في السحر، وهو أسنى من الشمس والقمر، وله رواية عن أنس، والشعبي، وروى عنه وكيع، وأبو نعيم، وجماعة من أهل تلك الطبقة من أصحابنا وغيرهم، كما بيناه في أحواله ـ في المراجعة ١٦. وهناك أبطال لم يدركوا الإمام زين العابدين، وإنما فازوا بخدمة الباقرين الصادقين عليهما السلام. فمنهم أبو

القاسم بريد بن معاوية العجلي، وأبو بصير الأصغر ليث ابن مراد البختري المرادي، وأبو الحسن زرارة بن أعين، وأبو جعفر محمد بن مسلم بن رباح الكوفي الطائفي الثقفي، وجماعة من أعلام الهدى ومصابيح الدجى، لا يسع المقام استقصاءهم. أما هؤلاء الأربعة فقد نالوا الزلفى، وفازوا بالقدح المعلى، والمقام الأسمى، حتى قال فيهم لصادق عليه السلام ـ وقد ذكرهم ـ: هؤلاء أمناء الله على حلاله وحرامه وقال: ما أجد أحدا أحيا ذكرنا إلا زرارة وأبو بصير ليث، ومحمد بن مسلم، وبريد، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هذا، ثم قال: هؤلاء حفاظ الدين، وأمناء أبي، على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا، والسابقون إلينا في الأخيرة وقال عليه السلام: بشر المخبتين بالجنة ثم ذكر الأربعة، وقال ـ في كلام طويل ذكرهم فيه ـ: كان أبي ائتمنهم على حلال الله وحرامه، وكانوا عيبة علمه، وكذلك اليوم هم عندي مستودع سري، وأصحاب أبي حقا، وهم نجوم شيعتي أحياء وأمواتا، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين، وتأويل الغالين. ا هـ. إلى غير ذلك من كلماته الشريفة الّتي أثبتت لهم من الفضل والشرف والكرامة والولاية، ما لا تسع بيانه عبارة، ومع ذلك فقد رماهم أعداء أهل البيت بكل إفك مبين، كما فصلناه في كتابنا مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام. وليس ذلك بقادح في سمو مقامهم، وعظيم خطرهم عند الله ورسوله والمؤمنين، كما أن حسدة الأنبياء ما زادوا أنبياء الله إلا رفعة، ولا أثروا في شرائعهم إلا انتشارا عند أهل الحق، وقبولا في نفوس أولي الألباب. وقد انتشر العلم في أيام الصادق عليه السلام بما لا مزيد عليه، وهرع إليه شيعة آبائه عليهم السلام من كل فج عميق، فأقبل عليهم بانبساطه، واسترسل إليهم بأنسه، ولم يأل جهدا في تثقيفهم، ولم يدخر وسعا في إيقافهم على أسرار العلوم، ودقائق

الحكمة، وحقائق الأمور، كما اعترف به أبو الفتح الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، حيث ذكر الصادق عليه السلام فقال: وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، قال: وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدة ما تعرض للإمامة ـ أي للسلطنة ـ قط، ولا نازع أحدا في الخلافة (قال): ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حط، إلى آخر كلامه. والحق ينطق منصفا وعنيدا.

نبغ من أصحاب الصادق جم غفير، وعدد كثير، كانوا أئمة هدى، ومصابيح دجى، وبحار علم، ونجوم هداية. <والّذين> دونت أسماؤهم وأحوالهم في كتب التراجم منهم أربعة آلاف رجل من العراق والحجاز وفارس وسوريا، وهم أولو مصنفات مشهورة لدى علماء الإمامية، ومن جملتها الأصول الأربعة مئة وهي ـ كما ذكرناه سابقا ـ أربع مئة مصنف لأربع مئة مصنف كتبت من فتاوى الصادق عليه السلام على عهده، فكان عليها مدار العلم والعمل من بعده، حتى لخصها جماعة من أعلام الأمة، وسفراء الأئمة في كتب خاصة، تسهيلا للطالب، وتقريبا على المتناول، وأحسن ما جمع منها الكتب الأربعة الّتي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان، وهي: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها، وفيه ستة عشر ألف ومئة وتسعة وتسعون حديثا، وهي أكثر مما اشتملت عليه الصحاح الستة بأجمعها، كما صرح به الشهيد في الذكرى وغير واحد من الأعلام.

وألف هشام بن الحكم بن أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام كتبا

كثيرة، اشتهر منها تسعة وعشرون كتابا، رواها أصحابنا بأسانيدهم إليه، وتفصيلها في كتابنا ـ مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام ـ وهي كتب ممتعة باهرة في وضوح بيانها، وسطوع برهانها، في الأصول والفروع، وفي التوحيد والفلسفة العقلية، والرد على كل من الزنادقة، والملاحدة، والطبيعيين، والقدرية، والجبرية، والغلاة في علي وأهل البيت، وفي الرد على الخوارج والناصبة، ومنكري الوصية إلى علي ومؤخريه ومحاربيه، والقائلين بجواز تقديم المفضول وغير ذلك.

وكان هشام من أعلم أهل القرن الثاني في علم الكلام، والحكمة الإلهية، وسائر العلوم العقلية والنقلية، مبرزا في الفقه والحديث، مقدما في التفسير، وسائر العلوم والفنون، وهو ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر، يروي عن الصادق والكاظم، وله عندهم جاه لا يحيط به الوصف، وقد فاز منهم بثناء يسمو به في الملأ الأعلى قدره وكان في مبدأ أمره من الجهمية، ثم لقي الصادق فاستبصر بهديه ولحق به، ثم بالكاظم ففاق جميع أصحابها ورماه بالتجسيم وغيره من الطامات مريدوا إطفاء نور الله من مشكاته، حسدا لأهل البيت وعدوانا، ونحن أعرف الناس بمذهبه، وفي أيدينا أحواله وأقواله، وله في نصرة مذهبنا من المصنفات ما أشرنا إليه، فلا يجوز أن يخفى علينا من أقواله ـ وهو من سلفنا وفرطنا ـ ما ظهر لغيرنا، مع بعدهم عنه في المذهب والمشرب، على أن ما نقله الشهرستاني ـ في الملل والنحل من عبارة هشام ـ لا يدل على قوله بالتجسيم. وإليك عين ما نقله، قال: وهشام ابن الحكم صاحب غور في الأصول، لا يجوز أن يغفل عن الزاماته على المعتزلة، فإنّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنه ألزم العلاف، فقال: إنك تقول الباري عالم بعلم، وعلمه ذاته، فيكون عالما لا كالعالمين، فلم لا تقول: هو جسم

لا كالأجسام. ا هـ.

ولا يخفى أن هذا الكلام إن صح عنه فإنما هو بصدد المعارضة مع العلاف، وليس كل من عارض بشئ يكون معتقدا له، إذ يجوز أن يكون قصده اختبار العلاف، وسبر غوره في العلم، كما أشار الشهرستاني إليه بقوله: فإنّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهر من التشبيه. على أنه لو فرض ثبوت ما يدل على التجسيم عن هشام، فإنما يمكن ذلك عليه قبل استبصاره، إذ عرفت أنه كان ممن يرى رأي الجهمية، ثم استبصر بهدي آل محمد، فكان من أعلام المختصين بأئمتهم، لم يعثر أحد من سلفنا على شئ مما نسبه الخصم إليه، كما أنا لم نجد أثرا ما لشئ مما نسبوه إلى كل من زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم، ومؤمن الطاق، وأمثالهم، مع أنا قد استفرغنا الوسع والطاقة في البحث عن ذلك، وما هو إلا البغي والعدوان، والإفك والبهتان، × (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) ×. أما ما نقله الشهرستاني عن هشام من القول بإلهية علي، فشئ يضحك الثكلى، وهشام أجل من أن تنسب إليه هذه الخرافة والسخافة، وهذا كلام هشام في التوحيد ينادي بتقديس الله عن الحلول، وعلوه عما يقوله الجاهلون، وذاك كلامه في الإمامة والوصية يعلن بتفضيل رسول اللهﷺ على علي، مصرحا بأن عليا من جملة أمته ورعيته، وأنه وصيه وخليفته، وأنه من عباد الله المظلومين المقهورين، العاجزين عن حفظ حقوقهم، المضطرين إلى أن يضرعوا لخصومهم، الخائفين المترقبين <الّذين> لا ناصر لهم ولا معين وكيف يشهد الشهرستاني لهشام بأنه صاحب غور في الأصول، وأنه لا يجوز أن يغفل عن إلزاما؟ ه على المعتزلة، وأنه دون ما أظهره للعلاف من قوله له: فلم لا تقول إن الله جسم لا كالأجسام، ثم ينسب إليه القول بأن علياعليه السلام هو الله تعالى، أليس هذا

تناقضا واضحا؟ وهل يليق بمثل هشام على غزارة فضله أن تنسب إليه الخرافات؟ كلا. لكن القوم أبوا إلا الإرجاف حسدا وظلما لأهل البيت ومن يرى رأيهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقد كثر التأليف على عهد الكاظم، والرضا، والجواد، والهادي، والحسن الزكي العسكري عليهم السلام، بما لا مزيد عليه، وانتشرت الرواة عنهم وعن رجال الأئمة من آبائهم في الأمصار، وحسروا للعلم عن ساعد الاجتهاد، وشمروا عن ساق الكد والجد، فخاضوا عباب العلوم، وغاصوا على أسرارها، وأحصوا مسائلها، ومحصوا حقائقها، فلم يألوا في تدوين الفنون جهدا، ولم يدخروا في جمع أشتات المعارف وسعا. قال المحقق في المعتبر أعلى الله مقامه: وكان من تلامذة الجواد عليه السلام فضلاء كالحسين بن سعيد، وأخيه الحسن، وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، وأحمد بن محمد بن خالد البرقي، وشاذان، وأبي الفضل العمي، وأيوب بن نوح، وأحمد بن محمد بن عيسى، وغيرهم ممن يطول تعدادهم (قال أعلى الله مقامه): وكتبهم إلى الآن منقولة بين الأصحاب دالة على العلم الغزير. ا هـ.

قلت: وحسبك أن كتب البرقي تربو على مئة كتاب، وللبزنطي الكتاب الكبير المعروف بجامع البزنطي، وللحسين بن سعيد ثلاثون كتابا ١٠٢٢.

ولا يمكن في هذا الاملاء إحصاء ما ألفه تلامذة الأئمة الستة من أبناء الصادق عليهم السلام، بيد أني أحيلك على كتب التراجم والفهارس فراجع منها أحوال محمد بن سنان، وعلي بن مهزيار، والحسن بن محبوب، والحسن بن محمد بن سماعة، وصفوان بن يحيى، وعلي بن يقطين، وعلي بن فضال، و عبد الرحمن بن نجران، والفضل بن شاذان ـ فإنّ له مئتي كتاب ـ ومحمد بن مسعود العياشي ـ فإنّ كتبه تربو على المئتين ومحمد بن عمير، وأحمد بن محمد بن عيسى، فإنه روى عن مئة رجل

من أصحاب الصادقعليه السلام ومحمد بن علي بن محبوب، وطلحة ابن طلحة بن زيد، وعمار بن موسى الساباطي، وعلي بن النعمان، والحسين بن عبد الله، وأحمد بن عبد الله بن مهران المعروف بابن خانة وصدقة بن المنذر القمي، وعبيد الله بن علي الحلبي، الّذي عرض كتابه على الصادقعليه السلام، فصححه واستحسنه، وقال: أترى لهؤلاء مثل هذا الكتاب، وأبي عمرو الطبيب، و عبد الله بن سعيد، الّذي عرض كتابه على أبي الحسن الرضاعليه السلام، ويونس بن عبد الرحمن الّذي عرض كتابه على الإمام أبي محمد الحسن الزكي العسكريعليه السلام. ومن تتبع أحوال السلف من شيعة آل محمدصلى الله عليه وآله وسلم واستقصى أصحاب كل من الأئمة التسعة من ذرية الحسين، وأحصى مؤلفاتهم المدونة على عهد أئمتهم، واستقرأ <الّذين> رووا عنهم تلك المؤلفات، وحملوا عنهم حديث آل محمد في فروع الدين وأصوله من ألوف الرجال، ثم ألم بحملة هذه العلوم في كل طبقة طبقة، يدا عن يد من عصر التسعة المعصومين إلى عصرنا هذا، يحصل له القطع الثابت بتواتر مذهب الأئمة، ولا يرتاب في أن جميع ما ندين الله به من فروع وأصول، إنما هو مأخوذ من آل الرسول، لا يرتاب في ذلك إلا مكابر عنيد، أو جاهل بليد، والحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والسلام. ش[1].

---

(١) المراجعات – السيد شرف الدين ص ٤٠٨.

الملحق الخامس

قال شيخنا السعيد الشهيد الاول ﷺ:

"السابعة يجب التمسك بمذهب الامامية لوجوه تسعة"

الاول: قد تقرر في الكلام عصمة الامام والمعصوم أولى بالاتباع.

الثاني: قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وغير المعصوم لا يعلم صدقه فلا يجب الكون معه.

الثالث: وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفيه من المؤكدات واللطايف ما يعلم من علمي المعاني والبيان وذهاب الرجس ووقوع التطهير يستلزم عدم العصيان والمخالفة لاوامر الله ونواهيه وموردها في النبي ﷺ وعلي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين أما عند الامامية وساير الشيعة فظاهر إذ يرون ذلك بالتواتر وأما العامة فروى مسلم (في الصحيح) عن عايشة قالت خرج النبي ﷺ ذات يوم وعليه مرط مرحل من شعر فجاء الحسن بن علي فأدخله فيه (ثم جاء الحسين فأدخله فيه) ثم جائت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم قال ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وروى أحمد بن حنبل في المناقب والطيراني في مجمعه عن ابي سعيد الخدري في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ الآية قال نزلت في خمسة في رسول الله

وعلي وفاطمة والحسن والحسين وروى أحمد عن انس أن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر يقول الصلوة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال الحاكم في المستدرك هذا حديث صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يجرحه وروى الترمذي في الجامع عن عمر بن أبي سلم ربيب رسول الله ﷺ قال نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية في بيت ام سلمة فدعا النبي ﷺ فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء على خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله قال أنت على مكانك وأنت على خير وروى ايضا عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت وأنا معهم يا رسول الله قال انك على خير ثم قال الترمذي هذا حسن صحيح وأخرج معناه الحاكم في المستدرك أنها نزلت في بيت أم سلمة إلى آخره وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه، لا يقال صدر الآية وعجزها في النساء فتكون فيهن قلنا باباه الضمير وهذا النقل صحيح والخروج من حكم إلى آخر في القرآن كثير جدا.

الرابع: قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ نزلت فيهم عليهم السلام وقد روى مسلم في صحيحه عن ابي سعيد الخدري قال مر معوية سعدا له يسب عليا فأبى فقال ما يمنعني من شتمه إلا ما نزل ثم تلا قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة والحسن

والحسين وقال اللهم ان هؤلاء أهل بيتي وفيها دلالة على أنه لا مساوي لهم في الفضل وعلى أنهم أهل بيته ولا يجوز ترك الفاضل واتباع المفضول.

الخامس: روى الحكم في المستدرك وحكم بصحته على شرط مسلم حيث شرط في أول كتابه أن لا يورد فيه إلا الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يا بني عبد المطلب اني سألت الله لكم ثلاثا أن يثبت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وروى ايضا وحكم بصحته عن ابي ذر وهو اخذ بباب الكعبة قال من عرفني فقد عرفني ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول الا أن مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ودلالة الخبرين على المطلق ظاهره البيان.

السادس: أن النبي صلى الله عليه وآله قرنهم بالكتاب العزيز الّذي يجب اتباعه فيجب اتباعهم قضية للعطف وللتصريح به نصا وذلك مشهور ونقله الشيعة تواترا ورواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وآله خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد ايها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه فإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عزوجل وخذوا به وحثوا فيه وارغبوا فيه ثم قال وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ثلث مرات ورواه غيره من العامة بعبارات شتى تشترك في وجوب التمسك بالكتاب وأهل البيت عليهم السلام.

السابع: روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال خذوا عني من قبل أن يشاب الاحاديث

بالاباطيل سمعت رسول الله ﷺ يقول انا الشجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا ورقها وأصل الشجرة في جنة عدن وساير ذلك في الجنة وهذا ظاهر في التلازم بينهم وبين النبي ﷺ وبين الشيعة.

الثامن ما روته الامامية في ذلك وهو يملا الصحف ويبلغ التواتر فيها (فمنه خ ل) ما روي عن النبي ﷺ في كل خلف من اهل أمتي عدل من أهل بيتي ينفي عن هذا الدين تحريف الغالبين وانتحال المبطلين وقوله ﷺ مثل أهل بيتي كمثل نجوم السماء فهم امان لاهل الارض كما أن النجوم أمان لاهل السماء وقوله ﷺ يا علي الامامة فيكم والهداية منكم وقوله ﷺ ان من أهل بيتي اثني عشر نقيبا نجباء محدثين مفهمين في آخرهم القايم بالحق.

التاسع اتفاق الامة على طهارتهم وشرف اصولهم وظهور عدالتهم مع تواتر الشيعة إليهم والنقل عنهم بما لا سبيل إلى انكاره حتى أن ابا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كتب من أجوبة مسايله اربعمأة مصنف (لاربعمائة مصنف) وقرن من رجاله المعروفين أربعة آلاف رجال من أهل العراق والحجاز وخراسان والشام وكذلك عن مولانا الباقر عليه السلام ورجال باقي الائمة معروفون مشهورون اولوا مصنفات مشهورة ومباحث متكثرة وقد ذكر كثيرا منهم العامة في رجالهم ونسبوا بعضهم إلى التمسك بأهل البيت عليهم السلام وبالجملة اشتهار النقل والنقلة عنهم عليهم السلام يزيد اضعافا كثيرة عن النقلة عن كل واحد من رؤساء العامة فالانصاف يقتضي الجزم بنسبة ما نقل عنهم إليهم عليهم السلام فحينئذ نقول الجمع بين عدالتهم وثبوت هذا النقل عنهم مع بطلانه مما يأباه العقل ويبطله الاعتبار بالضرورة هذا مع ما شاع

عنهم من انكار ما عليه العامة من القياس والاستحسان وشبه ذلك إلى الضلال والقول في الدين بغير الحق ومن رام انكار ذلك فكمن رام انكار المتواتر من سنة النبيﷺ ومعجزاته وسيرة من بعده ومن رام معرفة رجالهم والوقوف على مصنفاتهم فليطالع كتاب الحافظ ابن عقدة وفهرست النجاشي وابن الغضايري والشيخ ابي جعفر (الطوسي وكتاب الرجال لابي عمر الكشي وكتب الصدوق وأبي جعفر) بن بابويه القمي وكتاب الكافي لابي جعفر الكليني فإنه وحده يزيد على ما في الصحاح الستة للعامة متونا واسانيد وكتاب مدينة العلم ومن لا يحضره الفقيه قريب من ذلك وكتاب التهذيب والاستبصار نحو ذلك وغيرهما مما يطول تعداده بالاسانيد الصحيحة المتصلة المنتقدة والحسان والقوية والجرح والتعديل والثناء الجميل فالانكار بعد ذلك مكابرة محضة وتعصب صرف.

لا يقال فمن اين وقع الاختلاف العظيم بين فقهاء الامامية إذا كان نقلهم عن المعصومين وفتواهم عن المطهرين لانا نقول محل الخلاف إما من المسائل المنصوصة أو مما فرعه العلماء والسبب في الثاني اختلاف الانظار ومباديها كما هو بين ساير علماء الامامية وأما الاول فسببه اختلاف الروايات ظاهرا أو قل ما يوجد فيها التناقض بجميع شروطه وقد كانت الائمة في زمن تقية واستتار من مخالفيهم فكثيرا ما يجيبون السايل على وفق معتقده أو معتقد بعض الحاضرين أو بعض من عساه يصل إليه من المناوين أو يكون عاما مقصورا على سببه أو قضيته في واقعة مختصة بها أو اشتباها على بعض النقلة عنهم أو عن الوسايط بيننا وبينهم كما وقع في الاخبار عن النبيﷺ مع أن زمان معظم الائمة كان أطول من الزمان الّذي انتشر فيه الاسلام ووقع فيه النقل عن النبيﷺ وكان الرواة عنهم اكثر عددا

فهم بالاختلاف أولى ثم أنه منحصر (تلخص خ ل) جميع الاختلاف وانحصر في اقوال متأخرى فقهاء الاصحاب كما زعم العامة أن مذاهب المسلمين انحصرت في عدد خاص فلذلك أوردنا في هذا الكتاب ذكرهم وأعرضنا عن من تقدم منهم لدخول قوله فيهم وليس الغرض منه انتشار المذهب وتبدل الاقوال بل تصحيح ما ينهض عليه الاستدلال والله المستعان على كل حال[1].

---

(١) الذكرى- الشهيد الأول ص ٥.

الملحق السادس:
الخطبة الشقشقية

"أما والله لقد تقمصها فلان وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى. ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير. فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا. وطفقت أرتإى بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير. ويشيب فيها الصغير. ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى. وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا حتى مضى الاول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده

(ثم تمثل بقول الاعشى)

شتان ما يـومي علـى كورهـا ويـــوم حيـــان أخـــي جـــابر

فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته

لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها ويخشن مسها. ويكثر العثار فيها. والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم. وإن أسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض. فصبرت على طول المدة وشدة المحنة. حتى إذا مضى لسبيله. جعلها في جماعة زعم أني أحدهم فيا لله وللشورى متى

اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكني أسففت إذ أسفوا وطرت إذ طاروا. فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه. وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الابل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله. وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي ينثالون علي من كل جانب. حتى لقد وطئ الحسنان. وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول. ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بلى والله لقد سمعوها ووعوها. ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها. أما والّذي فلق الحبة. وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر. وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها. ولالفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز (قالوا) وقام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فأقبل ينظر فيه. قال له ابن عباس يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت. فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت. قال ابن عباس فو الله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد[1].

---

(١) نهج البلاغة - خطب الامام علي عليه السلام ج ١ ص ٣٠.

الملحق السابع:
تعريف[1] موجز بالمعصومين الاربعة عشر صلوات الله عليهم

الرسول الاعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله

ولد النبي صلى الله عليه وآله لاثنتي عشر ليلة مضت من شهر ربيع الاول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروي أيضا عند طلوع الفجر قبل أن يبعث باربعين سنة. وحملت به امه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطلب وولدته في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجدا، يصلي الناس فيه. وبقي بمكة بعد مبعثه ثلاثة عشر سنة، ثم هاجر إلى المدينة ومكث بها عشر سنين، ثم قبض عليه السلام لاثنتي عشر ليلة مضت من ربيع الاول يوم الاثنين وهو ابن ثلاث وستين سنة وتوفي أبوه عبد الله بن عبد المطلب بالمدينة عند أخواله وهو ابن شهرين، وماتت امه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن

---

(١) جميع ما في هدا التعريف ماخود من كتاب الكافي ج ١ باب التاريخ.

زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وهو عليه السلام ابن أربع سنين ومات عبد المطلب وللنبي صلى الله عليه وآله نحو ثمان سنين وتزوج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة، فولد له منها قبل مبعثه عليه السلام القاسم، ورقية، وزينب، وام كلثوم، وولد له بعد المبعث الطيب والطاهر وفاطمة عليها السلام وروي أيضا أنه لم يولد بعد المبعث إلا فاطمة عليها السلام وأن الطيب والطاهر ولدا قبل مبعثه، وماتت خديجة عليها السلام حين خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الشعب وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة فلما فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله شنأ المقام بمكة ودخله حزن شديد وشكا ذلك إلى جبرئيل عليه السلام فأوحى الله تعالى إليه اخرج من القرية الظالم أهلها، فليس لك بمكة ناصر بعد أبي طالب وأمره بالهجرة.

ايمان ابي طالب

عن هشام بن سالم، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إن مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الايمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين.

و عن إسحاق بن جعفر، عن ابيه عليه السلام قال: قيل له: إنهم يزعمون أن أبا طالب كان كافرا؟ فقال: كذبوا كيف يكون كافرا وهو يقول:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمـدا   نبيا كموسى خط في أول الكتـب

وفي حديث آخر كيف يكون أبو طالب كافرا وهو يقول:

لقد علموا أن ابننا لا مكـذب   لدينا ولا يعبـأ بقيـل الاباطـل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهـه   ثمال اليتامى عصـمة للارامـل

و عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا النبي صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام وعليه ثياب له جدد فألقى المشركون عليه سلا ناقة فملؤوا ثيابه بها، فدخله من ذلك ما شاء الله فذهب إلى أبي طالب فقال له: يا عم كيف ترى حسبي فيكم؟ فقال له: وما ذا يا ابن أخي؟ فأخبره الخبر، فدعا أبو طالب حمزة وأخذ السيف وقال لحمزة: خذ السلا ثم توجه إلى القوم والنبي معه فأتى قريشا وهم حول الكعبة، فلما رأوه عرفوا الشر في وجهه، ثم قال لحمزة: أمر السلا على سبالهم ففعل ذلك حتى أتى على آخرهم، ثم التفت أبو طالب إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا ابن أخي هذا حسبك فينا.

وعن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما توفى أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد اخرج من مكة، فليس لك فيها ناصر، وثارت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله، فخرج هاربا حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون فصار إليه.

الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام

ولد أمير المؤمنين عليه السلام بعد عام الفيل بثلاثين سنة وقتل عليه السلام في شهر رمضان لتسع بقين منه ليلة الاحد سنة أربعين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة، بقي بعد قبض النبي صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة وامه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف وهو أول هاشمي ولده هاشم مرتين.

عن محمد بن عبد الله بن مسكان، عن أبيه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب لتبشره بمولد النبي صلى الله عليه وآله فقال أبو طالب: اصبري سبتا ابشرك بمثله إلا النبوة، وقال: السبت ثلاثون سنة وكان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ثلاثون سنة.

عن اسيد بن صفوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما كان اليوم الّذي قبض فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتج الموضع بالبكاء ودهش الناس كيوم قبض النبي صلى الله عليه وآله و جاء رجل باكيا وهو مسرع مسترجع وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الّذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: رحمك الله يا أبا الحسن كنت أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا، وأشدهم يقينا، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناء وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وآمنهم على أصحابه، وأفضلهم مناقب، وأكرمهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفعلا، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن

الاسلام وعن رسوله وعن المسلمين خيرا. قويت حين ضعف أصحابه، وبرزت حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ هم أصحابه، [و]كنت خليفته حقا، لم تنازع ولم تضرع برغم المنافقين، وغيظ الكافرين، وكره الحاسدين، وصغر الفاسقين. فقمت بالامر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم صوتا، وأعلاهم قنوتا وأقلهم كلاما، وأصوبهم نطقا، وأكبرهم رأيا، وأشجعهم قلبا، وأشدهم يقينا، وأحسنهم عملا، وأعرفهم بالامور. كنت والله يعسوبا للدين، أولا وآخرا: الاول حين تفرق الناس، والآخر حين فشلوا، كنت للمؤمنين أبا رحيما، إذ صاروا عليك عيالا، فحملت أثقال ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وشمرت إذ[ا] اجتمعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ أسرعوا، وأدركت أوتار ما طلبوا، ونالوا بك ما لم يحتسبوا. كنت على الكافرين عذابا صبا ونهبا، وللمؤمنين عمدا وحصنا، فطرت والله بنعمائها وفزت بحبائها، وأحرزت سوابغها، وذهبت بفضائلها، لم تفلل حجتك، ولم يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك ولم تخر. كنت كالجبل لا تحركه العواصف، وكنت كما قال: امن الناس في صحبتك وذات يدك، وكنت كما قال: ضعيفا في بدنك، قويا في امر الله، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله، كبيرا في الارض، جليلا عند المؤمنين، لم يكن لاحد فيك مهمز، ولا لقائل فيك مغمز [ولا لاحد فيك مطمع] ولا لاحد عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحق والصدق والرفق، وقولك حكم وحتم وأمرك حلم

وحزم، ورأيك علم وعزم فيما فعلت، وقد نهج السبيل، وسهل العسير واطفئت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي بك الاسلام، فظهر أمر الله ولو كره الكافرون، وثبت بك الاسلام والمؤمنون، وسبقت سبقا بعيدا، وأتعبت من بعدك تعبا شديدا، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الانام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاه، وسلمنا لله أمره، فوالله لم يصاب المسلمون بمثلك أبدا. كنت للمؤمنين كهفا وصحنا، وقنة راسيا، وعلى الكافرين غلظة وغيظا، فألحقك الله بنبيه، ولا أحرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك، وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى وبكى أصحاب رسول الله ﷺ ثم طلبوه فلم يصادفوه.

عن صفوان الجمال قال: كنت أنا وعامر وعبد الله بن جذاعة الازدي عند أبي عبد الله عليه السلام قال: فقال له عامر: جعلت فداك إن الناس يزعمون أن أمير المؤمنين عليه السلام دفن بالرحبة؟ قال: لا، قال: فأين دفن؟ قال: إنه لما مات احتمله الحسن عليه السلام فأتي به ظهر الكوفة قريبا من النجف يسرة عن الغري يمنة عن الحيرة فدفنه بن زكوات بيض، قال: فلما كان بعد ذهبت إلى الموضع، فتوهمت موضعا منه، ثم أتيته فأخبرته فقال لي: أصبت رحمك الله ـ ثلاث مرات ـ.

الزهراء فاطمة بنت محمدعليها السلام

ولدت فاطمة عليها وعلى بعلها السلام بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس سنين وتوفيت عليها السلام ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوما وبقيت بعد أبيها صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما.

عن أبي عبيدة، عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان يأتيها جبرئيل فيحسن عزاء ها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك.

و عن علي بن جعفر أخيه، أبي الحسن عليه السلام قال: إن فاطمة عليها السلام صديقة شهيدة وإن بنات الانبياء لا يطمثن.

وعن علي بن محمد الهرمزاني، عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام قال: لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها أمير المؤمنين سرا وعفا على موضع قبرها، ثم قام فحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: السلام عليك يا رسول الله عني والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك و المختار الله لها سرعة اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلدي، إلا أن لي في التأسي بسنتك في فرقتك موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك

وفاضت نفسك بين نحري وصدري، بلى وفي كتاب الله [لي] أنعم القبول، إنا لله وإنا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة واخلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله، أما حزني فسرمد و أما ليلي فمسهد وهم لا يبرح من قلبي أو يختار الله لي دارك الّتي أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج سرعان ما فرق بيننا وإلى الله أشكو وستنبئك ابنتك بتظافر امتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين. سلام مودع لا قال ولا سئم، فإنّ أنصرف فلا عن ملالة، وإن اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين، واه واها والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين لجعلت المقام واللبث لزاما معكوفا ولاعولت إعوال الثكلى على جليل الرزية، فبعين الله تدفن ابنتك سرا وتهضم حقها وتمنع إرثها ولم يتباعد العهد ولم يخلق منك الذكر وإلى الله يا رسول الله المشتكى وفيك يا رسول الله أحسن العزاء صلى الله عليك وعليها السلام والرضوان.

الامام الحسن بن علي عليهما السلام

ولد الحسن بن علي عليهما السلام في شهر رمضان في سنة بدر، سنة اثنين بعد الهجرة. وروي أنه ولد في سنة ثلاث ومضى عليه السلام في شهر صفر في آخره من سنة تسع وأربعين ومضى وهو ابن سبع وأربعين سنة وأشهر. وامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن عبد الله بن سنان، عمن سمع أبا جعفر عليه السلام يقول لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة بكى، فقيل له: يا أبن رسول الله تبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي أنت به؟ وقد قال فيك ما قال، وقد حججت عشرين حجة ماشيا وقد قاسمت مالك ثلاث مرات حتى النعل بالنعل؟ فقال: إنما أبكي لخصلتين: لهول المطلع وفراق الاحبة.

و عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال، قبض الحسن بن علي عليهما السلام وهو ابن سبع وأربعين سنة في عام خمسين، عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين سنة. عن أبي بكر الحضرمي قال: إن جعدة بنت أشعث بن قيس الكندي سمت الحسن بن علي وسمت مولاة له، فأما مولاته فقاءت السم وأما الحسن فاستمسك في بطنه ثم انتفط به فمات.

الامام الحسين بن علىعليهما السلام

ولد الحسين بن عليعليهما السلام في سنة ثلاث وقبضعليه السلام في شهر المحرم من سنة إحدى وستين من الهجرة وله سبع وخمسون سنة وأشهر قتله عبيد الله بن زياد لعنه الله في خلافة يزيد بن معاوية لعنه الله وهو على الكوفة وكان على الخيل الّتي حاربته وقتلته عمر بن سعد لعنه الله بكربلا يوم الاثنين لعشر خلون من المحرم، وامه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: قبض الحسين بن عليعليه السلام يوم عاشورا وهو ابن سبع وخمسين سنة.

الامام علي بن الحسين عليهما السلام

ولد علي بن الحسين عليه السلام في سنة ثمان وثلاثين وقبض في سنة خمس وتسعين وله سبع وخمسون سنة. وامه سلامة بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى أبرويز وكان يزدجرد آخر ملوك الفرس.

عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما اقدمت بنت يزدجرد على عمر أشرف لها عذارى المدينة وأشرق المسجد بضوئها لما دخلته، فلما نظر إليها عمر غطت وجهها وقالت: "اف بيروج بادا هرمز" فقال عمر: أتشتمني هذه وهم بها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس ذلك لك، خيرها رجلا من المسلمين واحسبها بفيئه، فخيرها فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين عليه السلام فقال لها أمير المؤمنين: ما اسمك؟ فقالت: جهان شاه، فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: بل شهربانويه، ثم قال للحسين: يا أبا عبد الله لتلدن لك منها خير أهل الارض، فولدت علي بن الحسين عليه السلام وكان يقال لعلي بن الحسين عليه السلام: ابن الخيرتين فخيرة الله من العرب هاشم ومن العجم فارس.

وروي أن أبا الاسود الدئلي قال فيه:

وإن غلاما بين كسرى وهاشم ... لاكرم من نيطت عليه التمائم

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قبض علي بن الحسين عليهما السلام

وهو ابن سبع وخمسين سنة، في عام خمس وتسعين، عاش بعد الحسين خمسا وثلاثين سنة.

الامام ابو جعفر محمد بن علي عليه السلام

ولد أبو جعفر عليه السلام سنة سبع وخمسين وقبض عليه السلام سنة أربع عشرة ومائة وله سبع وخمسون سنة. ودفن بالبقيع بالمدينة في القبر الّذي دفن فيه أبوه علي بن الحسين عليهما السلام وكانت امه ام عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وعلى ذريتم الهادية.

عن أبي الصباح، عن أبي جعفر عليه السلام قال كانت امي قاعدة عند جدار فتصدع الجدار وسمعنا هدة شديدة، فقالت بيدها: لا وحق المصطفى ما أذن الله لك في السقوط، فبقي معلقا في الجو حتى جازته فتصدق أبي عنها بمائة دينار، قال أبو الصباح: وذكر أبو عبد الله عليه السلام جدته ام أبيه يوما فقال: كانت صديقة، لم تدرك في آل الحسن امرأة مثلها.

عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن جابر بن عبد الله الانصاري كان آخر من بقي من أصحاب رسول الله وكان رجلا منقطعا إلينا أهل البيت وكان يقعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وهو معتجر بعمامة سوداء وكان ينادي يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر، فكان يقول: لا والله ما أهجر ولكني سمعت رسول الله صلى اله عليه وآله يقول: إنك ستدرك رجلا مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي، يبقر العلم بقرا، فذاك الّذي دعاني إلى ما أقول، قال: فبينا جابر يتردد ذات يوم في بعض طرق المدينة إذ مر بطريق في ذاك الطريق كتاب فيه محمد

بن علي فلما نظر إليه قال: يا غلام أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: شمائل رسول الله ﷺ والّذي نفسي بيده، يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي محمد بن علي بن الحسين، فأقبل عليه يقبل رأسه ويقول: بأبي أنت وامي أبوك رسول الله ﷺ يقرئك السلام ويقول ذلك، قال: فرجع محمد بن علي بن الحسين إلى أبيه وهو ذعر فأخبره الخبر، فقال له: يا بني وقد فعلها جابر، قال نعم قال: الزم بيتك يا بني فكان جابر يأتيه طرفي النهار و كان أهل المدينة يقولون: واعجباه لجابر يأتي هذا الغلام طرفي النهار وهو آخر من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ فلم يلبث أن مضى علي بن الحسين عليه السلام فكان محمد بن علي يأتيه على وجه الكرامة لصحبته لرسول الله ﷺ قال: فجلس عليه السلام يحدثهم عن الله تبارك وتعالى، فقال أهل المدينة: ما رأينا أحدا أجرأ من هذا، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن رسول الله ﷺ فقال أهل المدينة: ما رأينا أحدا قط أكذب من هذا يحدثنا عمن لم يره، فلما رأى ما يقولون حدثهم عن جابر بن عبد الله، قال فصدقوه وكان جابر بن عبد الله يأتيه فيتعلم منه.

وعن أبي بصير قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: أنتم ورثة رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قلت: رسول الله ﷺ وارث الانبياء، علم كما علموا؟ قال لي: نعم، قلت: فأنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤا الاكمه والابرص؟ قال: نعم بإذن الله، ثم قال لي: ادن مني يا أبا محمد فدنوت منه فمسح على وجهي وعلى عيني فابصرت الشمس والسماء والارض والبيوت وكل شئ في البلد ثم قال لي: أتحب أن تكون هكذا ولك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصا؟ قالت: أعود كما كنت، فمسح على عيني فعدت كما كنت، قال: فحدثت ابن أبي عمير بهذا، فقال أشهد أن هذا حق كما أن النهار حق.

الامام ابو عبد الله جعفر بن محمدعليه‌السلام

ولد أبو عبد اللهعليه‌السلام سنة ثلاث وثمانين ومضى في شوال من سنة ثمان واربعين ومائة وله خمس وستون سنة ودفن بالبقيع في القبر الّذي دفن فيه أبوه وجده والحسن ابن عليعليهما‌السلام وامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وامها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

عن إسحاق بن جرير قال: أبو عبد اللهعليه‌السلام كان سعيد ابن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وأبو خالد الكابلي من ثقات علي بن الحسينعليهما‌السلام قال: وكانت امي ممن آمنت واتقت وأحسنت والله يحب المحسنين، قال: وقالت امي: قال أبي: يا ام فروة إني لادعو الله لمذنبي شيعتنا في اليوم والليلة ألف مرة، لانا نحن فيما ينوبنا من الرزايا نصبر على ما نعلم من الثواب وهم يصبرون على ما لا يعلمون.

و عن المفضل بن عمر قال وجه أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن زيد وهو واليه على الحرمين أن أحرق على جعفر بن محمد داره، فألقى النار في دار أبي عبد الله فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد اللهعليه‌السلام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن إبراهيم خليل اللهعليه‌السلام.

الامام ابو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام

ولد أبو الحسن موسى عليه السلام بالابواء سنة ثمان وعشرين ومائة وقال بعضهم. تسع وعشرين ومائة وقبض عليه السلام لست خلون من رجب من سنة ثلاث وثمانين ومائة وهو ابن أربع أو خمس وخمسين سنة وقبض عليه السلام ببغداد في حبس السندي بن شاهك وكان هارون حمله من المدينة لعشر ليال بقين من شوال سنة تسع وسبعين ومائة وقد قدم هارون المدينة منصرفه من عمرة شهر رمضان، ثم شخص هارون إلى الحج وحمله معه، ثم انصرف على طريق البصرة فحبسه عند عيسى بن جعفر، ثم أشخصه إلى بغداد، فحبسه عند السندي بن شاهك فتوفي عليه السلام في حبسه ودفن ببغداد في مقبرة قريش وامه ام ولد يقال لها: حميدة.

عن عيسى بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: دخل ابن عكاشة بن محصن الاسدي على أبي جعفر وكان أبو عبد الله عليه السلام قائما عنده فقدم إليه عنبا، فقال: حبة حبة يأكله الشيخ الكبير والصبي الصغير وثلاثة وأربعة ياكله من يظن أنه لا يشبع وكله حبتين حبتين، فإنه يستحب فقال لابي جعفر عليه السلام: لاي شئ لا تزوج أبا عبد الله فقد أدرك التزويج؟ قال وبين يديه صرة مختومة فقال: أما إنه سيجيئ نخاس من أهل بربر فينزل دار ميمون، فنشتري له بهذه الصرة جارية، قال: فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا يوما على أبي جعفر عليه السلام فقال: ألا اخبركم عن النخاس الّذي ذكرته لكم

قد قدم، فاذهبوا فاشتروا بهذه الصرة منه جارية، قال: فأتينا النخاس فقال: قد بعت ما كان عندي إلا جاريتين مريضتين إحداهما أمثل من الاخرى، قلنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما فأخرجهما، فقلنا: بكم تبيعنا هذه المتماثلة قال: بسبعين دينارا قلنا أحسن قال: لا أنقص من سبعين دينار، قلنا له نشتريها منك بهذه الصرة ما بلغت ولا ندري ما فيها وكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية قال: فكوا وزنوا، فقال النخاس: لا تفكوا فانها إن نقصت حبة من سبعين دينارا لم ابايعكم فقال الشيخ: ادنوا، فدنونا وفككنا الخاتم ووزنا الدنانير فإذا هي سبعون دينارا لا تزيد ولا تنقص فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفرعليه السلام وجعفر قائم عنده فأخبرنا أبا جعفر بما كان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها: ما اسمك؟ قالت: حميدة، فقال حميدة في الدنيا، محمودة في الآخرة، أخبريني عنك أبكر أنت أم ثيب؟ قالت: بكر قال: وكيف ولا يقع في أيدي النخاسين شئ إلا أفسدوه، فقالت: قد كان يجيئني فيقعد مني مقعد الرجل من المرأة فيسلط الله عليه رجلا أبيض الرأس واللحية فلا يزال يلطمه حتى يقوم عني، ففعل بي مرارا وفعل الشيخ به مرارا فقال: يا جعفر خذها إليك فولدت خير أهل الارض موسى بن جعفرعليه السلام.

الامام ابو الحسن الرضاعليه السلام

ولد أبو الحسن الرضاعليه السلام سنة ثمان وأربعين ومائة وقبضعليه السلام في صفر من سنة ثلاث ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة وقد اختلف في تاريخه إلا أن هذه التاريخ هو أقصد إن شاء الله وتوفيعليه السلام بطوس في قرية يقال لها: سناباد من نوقان على دعوة، ودفن بها وكان المأمون أشخصه من المدينة إلى مرو على طريق البصرة وفارس فلما خرج المأمون وشخص إلى بغداد أشخصه معه، فتوفي في هذه القرية. وامه ام ولد يقال لها: ام البنين.

عن هشام بن أحمر قال: قال لي أبو الحسن الاول: هل علمت أحدا من أهل المغرب قدم؟ قلت: لا، قال: بلى قد قدم رجل فانطلق بنا، فركب وركبت معه حتى انتهينا إلى الرجل فإذا رجل من أهل المدينة معه رقيق، فقلت له: اعرض علينا، فعرض علينا سبع جوار، كل ذلك يقول أبو الحسنعليه السلام: لا حاجة لي فيها، ثم قال: اعرض علينا، فقال: ما عندي إلا جارية مريضة فقال له: ما عليك أن تعرضها، فأبى عليه فانصرف، ثم أرسلني من الغد، فقال: قل له: كم كان غايتك فيها فإذا قال كذا وكذا، فقل: قد أخذتها، فأتيته فقال: ما كنت اريد أن أنقصها من كذا وكذا، فقلت: قد أخذتها فقال: هي لك ولكن أخبرني من الرجل الّذي كان معك بالامس؟ فقلت رجل من بني هاشم، قال: من أي بني هاشم؟ فقلت: ما

عندي أكثر من هذا فقال: اخبرك عن هذه الوصيفة أني اشتريتها من أقصى المغرب فلقيتني امرأة من أهل الكتاب فقالت: ما هذه الوصيفة معك؟ قلت: اشتريتها لنفسي فقالت: ما يكون ينبغي أن تكون هذه عند مثلك إن هذه الجارية أن تكون عند خير أهل الارض، فلا تلبث عنده إلا قليلا حتى تلد منه غلاما ما يولد بشرق الارض ولا غربها مثله، قال: فأتيته بها فلم تلبث عنده إلا قليلا حتى ولدت الرضاعليه السلام.

وعن ياسر الخادم والريان بن الصلت جميعا قال: لما انقضى أمر المخلوع واستوى الامر للمأمون كتب إلى الرضاعليه السلام يستقدمه إلى خراسان، فاعتل عليه أبو الحسنعليه السلام بعلل، فلم يزل المأمون يكاتبه في ذلك حتى علم أنه لا محيص له و أنه لا يكف عنه، فخرجعليه السلام ولابي جعفرعليه السلام سبع سنين، فكتب إليه المأمون: لا تأخذ على طريق الجبل وقم، وخذ على طريق البصرة والاهواز وفارس، حتى وافى مرو، فعرض عليه المأمون أن يتقلد الامر والخلافة، فأبى أبو الحسنعليه السلام، قال: فولاية العهد؟ فقال: على شروط أسألكها، قال المأمون له: سل ما شئت، فكتب الرضاعليه السلام: أني داخل في ولاية العهد؟ على أن لا آمر ولا أنهى ولا افتي ولا أقضي ولا أولي ولا أعزل ولا اغير شيئا مما هو قائم وتعفيني من ذلك كله، فأجابه المأمون إلى ذلك كله، قال: فحدثني ياسر قال: فلما حضر العيد بعث المأمون إلى الرضاعليه السلام يسأله أن يركب ويحضر العيد ويصلي ويخطب، فبعث إليه الرضاعليه السلام قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول هذا الامر، فبعث إليه المأمون إنما اريد بذلك أن تطمئن قلوب الناس ويعرفوا فضلك، فلم يزلعليه السلام يراده الكلام في ذلك فألح عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إن أعفيتني من ذلك فهو أحب إلي وإن لم تعفني خرجت

كما خرج رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، فقال المأمون: اخرج كيف شئت وأمر المأمون القواد والناس أن يبكروا إلى باب أبي الحسن. قال: فحدثني ياسر الخادم أنه قعد الناس لابي الحسن عليه السلام في الطرقات و السطوح، الرجال والنساء والصبيان، واجتمع القواد والجند على باب أبي الحسن عليه السلام فلما طلعت الشمس قام عليه السلام فاغتسل وتعمم بعمامة بيضاء من قطن، ألقى طرفا منها على صدره وطرفا بين كتفيه وتشمر، ثم قال لجميع مواليه: افعلوا مثل ما فعلت ثم أخذ بيده عكازا ثم خرج ونحن بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة، فلما مشى ومشينا بين يديه رفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات، فخيل إلينا أن السماء والحيطان تجاوبه، والقواد والناس على الباب قد تهيؤوا ولبسوا السلاح وتزينوا بأحسن الزينة، فلما طلعنا عليهم بهذه الصورة وطلع الرضا عليه السلام وقف على الباب وقفة، ثم قال: "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر [الله أكبر] على ما هدانا، الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الانعام والحمد لله على ما أبلانا" نرفع بها أصواتنا ـ قال ياسر: فتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج والصياح لما نظروا إلى أبي الحسن عليه السلام وسقط القواد عن دوابهم ورموا بخفافهم لما رأوا أبا الحسن عليه السلام حافيا وكان يمشي ويقف في كل عشر خطوات ويكبر ثلاث مرات قال ياسر: فتخيل إلينا أن السماء والارض والجبال تجاوبه، وصارت مرو ضجة واحدة من البكاء وبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل ذو الرياستين: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن به الناس والرأي أن تسأله أن يرجع فبعث إليه المأمون فسأله الرجوع فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفه فلبسه وركب ورجع.

الامام ابو جعفر محمد بن علي الثاني عليهما السلام

ولد عليه السلام في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين ومائة وقبض عليه السلام سنة عشرين و مائتين في آخر ذي القعدة وهو ابن خمس وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر يوما ودفن ببغداد في مقابر قريش عند قبر جده موسى عليه السلام وقد كان المعتصم أشخصه إلى بغداد في أول هذه السنة الّتي توفي فيها عليه السلام وامه ام ولد، يقال لها: سبيكة نوبية وقيل أيضا: إن اسمها كان خيزران، وروي أنها كانت من أهل بيت مارية ام إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

عن علي بن أسباط قال خرج عليه السلام علي فنظرت إلى رأسه ورجليه لاصف قامته لاصحابنا بمصر فبينا أنا كذلك حتى قعد وقال يا علي إن الله احتج في الامامة، بمثل ما احتج في النبوة، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم: ١٣) قال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ (يوسف: ٢٢) ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ (لاحقاف ١٥) فقد يجوز أن يؤتى الحكم صبيا ويجوز أن يعطاها وهو ابن أربعين سنة.

علي بن محمد، عن بعض أصحابنا، عن محمد بن الريان قال: احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكل حيلة، فلم يمكنه فيه شئ، فلما اعتل وأراد أن يبنى عليه ابنته دفع إلي مائتي وصيفة من أجمل ما يكون، إلى كل واحدة منهن جاما فيه جوهر يستقبلن أبا جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الاخيار. فلم يلتفت إليهن وكان رجل يقال له: مخارق صاحب

صوت وعود وضرب، طويل اللحية، فدعاه المأمون فقال: يا أمير المؤمنين إن كان في شئ من أمر الدنيا فأنا اكفيك أمره، فقعد بين يدي أبي جعفرعليه السلام فشهق مخارق شهقة اجتمع عليه أهل الدار وجعل يضرب بعوده ويغني فلما فعل ساعة وإذا أبو جعفر لا يلتفت إليه لا يمينا ولا شمالا، ثم رفع إليه رأسه وقال: أتق الله يا ذا العثنون قال: فسقط المضراب من يده والعود فلم ينتفع بيديه إلى أن مات قال: فسأله المأمون عن حاله قال: لما صاح بي أبو جعفر فزعت فزعة لا افيق منها أبدا.

وعن علي بن إبراهيم، عن أبيه قال: أستأذن على أبي جعفرعليه السلام قوم من أهل النواحي من الشيعة، فأذن لهم فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة فأجابعليه السلام وله عشر سنين.

الامام ابو الحسن علي بن محمدعليهما السلام

ولدعليه السلام للنصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشرة ومائتين. وروي أنه ولدعليه السلام في رجب أربع عشرة ومائتين ومضى لاربع بقين من جمادي الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين. وروي أنه قبضعليه السلام في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين وله أحد واربعون سنة وستة أشهر. وأربعون سنة على المولد الآخر الّذي روي، وكان المتوكل أشخصه مع يحيى بن هرثمة بن أعين من المدينة إلى سر من رأى، فتوفي بهاعليه السلام ودفن في داره. وامه ام ولد يقال لها: سمانة.

عن خيران الاسباطي قال: قدمت على أبي الحسنعليه السلام المدينة فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟ قلت: جعلت فداك خلفته في عافية، أنا من أقرب الناس عهدا به، عهدي به منذ عشرة أيام، قال: فقال لي: إن أهل المدينة يقولون: إنه مات، فلما أن قال لي: "الناس" علمت أنه هو ثم قال لي: ما فعل جعفر؟ قلت تركته أسوء الناس حالا في السجن، قال: فقال: أما إنه صاحب الامر، ما فعل ابن الزيات؟ قلت: جعلت فداك الناس معه والامر أمره، قال: فقال: أما إنه شؤم عليه، قال: ثم سكت وقال لي: لابد أن تجري مقادير الله تعالى وأحكامه، يا خيران مات الواثق وقد قعد المتوكل جعفر وقد قتل ابن الزيات، فقلت: متى جعلت فداك؟ قال: بعد خروجك بستة أيام.

عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسنعليه السلام فقلت له: جعلت فداك في كل الامور أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك، حتى انزلوك هذا الخان الاشنع، خان الصعاليك؟ فقال: ههنا أنت يا أبن سعيد؟ ثم أومأ بيده وقال: انظر فنظرت، فإذا أنا بروضات آنقات وروضات باسرات، فيهن خيرات عطرات وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون وأطيار وظباء وأنهار تفور، فحار بصري وحسرت عيني، فقال: حيث كنا فهذا لنا عتيد، لسنا في خان الصعاليك.

الامام ابو محمد الحسن بن علي عليهما السلام

ولد عليه السلام في شهر [رمضان وفي نسخة اخرى في شهر] ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. وقبض عليه السلام يوم الجمعة لثمان ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة ستين ومائتين وهو ابن ثمان وعشرين سنة ودفن في داره في البيت الّذي دفن فيه أبوه بسر من رأى وامه ام ولد يقال لها: حديث [وقيل: سوسن].

عن الحسين بن محمد الاشعري ومحمد بن يحيى وغيرهما قالوا: كان أحمد بن عبيد الله بن خاقان على الضياع والخراج بقم فجرى في مجلسه يوما ذكر العلوية ومذاهبهم وكان شديد النصب فقال: ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى رجلا من العلوية مثل الحسن ابن علي بن محمد بن الرضا في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكرمه عند أهل بيته وبني هاشم وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطر وكذلك القواد والوزراء وعامة الناس، فإني كنت يوما قائما على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس إذ دخل عليه حجابه فقالوا: أبو محمد ابن الرضا بالباب، فقال بصوت عال: ائذنوا له، فتعجبت مما سمعت منهم أنهم جسروا يكنون رجلا على أبي بحضرته ولم يكن عنده إلا خليفة أو ولي عهد أو من أمر السلطان أن يكنى، فدخل رجل أسمر، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن حدث السن له جلالة وهيبة فلما نظر إليه أبي قام يمشي إليه خطا ولا أعلمه فعل

هذا بأحد من بني هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبل وجهه وصدره وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الّذي كان عليه وجلس إلى جنبه مقبلا عليه بوجهه وجعل يكلمه ويفديه بنفسه وأنا متعجب مما أرى منه إذ دخل [عليه] الحاجب فقال: الموفق قد جاء وكان الموفق إذا دخل على أبي، تقدم حجابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج فلم يزل أبي مقبلا على أبي محمد يحدثه حتى نظر إلى غلمان الخاصة قال حينئذ إذا شئت جعلني الله فداك، ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين حتى لا يراه هذا ـ يعني الموفق ـ فقام وقام أبي وعانقه ومضى، فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم من هذا الّذي كنيتموه على أبي وفعل به أبي هذا الفعل، فقالوا: هذا علوي يقال له الحسن بن علي يعرف بابن الرضا فازددت تعجبا ولم أزل يومي ذلك قلقا متفكرا في أمره وأمر أبي وما رأيت فيه حتى كان الليل وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان، فلما صلى وجلس، جئت فجلست بين يديه وليس عنده أحد فقال لي: يا أحمد لك حاجة؟ قلت: نعم يا ابه فإنّ أذنت لي سألتك عنها؟ فقالك قد أذنت لك يا بني فقل ما أحببت، قلت: يا أبه من الرجل الّذي رأيتك بالغداة فعلت به ما فعلت من الاجلال والكرامة والتبجيل وفديته بنفسك وأبويك؟ فقال: يا بني ذاك إمام الرافضة، ذاك الحسن بن علي المعروف بابن الرضا، فسكت ساعة، ثم قال: يا بني لو زالت الامامة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا وإن هذا ليستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه ولو رأيت أباه رأيت رجلا، جزلا، نبيلا، فاضلا، فازددت قلقا وتفكرا وغيظا على أبي وما سمعت منه واستزدته في فعله وقوله فيه

ما قال، فلم يكن لي همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره، فما سألت أحدا من بني هاشم والقواد والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عنده في غاية الاجلال والاعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه فعظم قدره عندي إذ لم أر له وليا ولا عدوا إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه، فقال له بعض من حضر مجلسه من الاشعريين: يا أبا بكر فما خبر أخيه جعفر؟ فقال: ومن جعفر فتسأل عن خبره؟ أو يقرن بالحسن جعفر معلن الفسق فاجر ماجن شريب للخمور أقل من رأيته من الرجال وأهتكهم لنفسه، خفيف قليل في نفسه، ولقد ورد على السلطان وأصحابه في وقت وفات الحسن بن علي ما تعجبت منه وما ظننت أنه يكون وذلك أنه لما اعتل بعث إلى أبي أن ابن الرضا قد اعتل فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلا ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، فيهم نحرير فأمرهم بلزم دار الحسن وتعرف خبره وحاله وبعث إلى نفر من المتطببين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده صباحا ومساء، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة اخر أنه قد ضعف، فأمر المتطببين بلزوم داره وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به في دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلا ونهار فلم يزالوا هناك حتى توفي عليه السلام فصارت سر من رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت في حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته وعطلت الاسواق

وركبت بنو هاشم والقواد وأبي وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذ شبيها بالقيامة فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان، ثم غطى وجهه وأمر بحمله فحمل من وسط داره ودفن في البيت الّذي دفن فيه أبوه فلما دفن أخذ السلطان والناس في طلب ولده وكثر التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه ولم يزل <الّذين> وكلوا بحفظ الجارية الّتي توهم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين امه وأخيه جعفر وادعت امه وصيته وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده فجاء جعفر بعد ذلك إلى أبي فقال: اجعل لي مرتبه أخي واوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار، فزبره أبي وأسمعه وقال له: يا أحمق السلطان جرد سيفه في <الّذين> زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك، فلم يتهيأ له ذلك، فإنّ كنت عند شيعة أبيك أو أخيك إماما فلا حاجة بك إلى السلطان [أن] يرتبك مراتبهما ولا غير السلطان وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا، واستقله أبي عند ذلك واستضعفه وأمر أن يحجب عنه، فلم يأذن له في الدخول عليه حتى مات أبي وخرجنا وهو على تلك الحال والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علي.

الامام الحجة ابن الحسن عليه السلام

ولد عليه السلام للنصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين.

عن أحمد بن محمد قال: خرج عن أبي محمد عليه السلام حين قتل الزبيري: هذا جزاء من افترى على الله في أوليائه، زعم أنه يقتلني وليس لي عقب فكيف رأى قدرة الله. وولد له ولد سماه "م ح م د" سنة ست وخمسين ومائتين.

وعن ضوء بن علي العجلي، عن رجل من أهل فارس سماه، قال: أتيت سر من رأى و لزمت باب أبي محمد عليه السلام فدعاني من غير أن أستأذن، فلما دخلت وسلمت قال لي: يا أبا فلان كيف حالك؟ ثم قال لي: اقعد يا فلان، ثم سألني عن جماعة من رجال ونساء من أهلي، ثم قال لي: ما الّذي أقدمك؟ قلت: رغبة في خدمتك قال: فقال: فالزم الدار قال: فكنت في الدار مع الخدم ثم صرت أشتري لهم الحوائج من السوق وكنت أدخل عليه من غير إذن إذا كان في دار الرجال، فدخلت عليه يوما وهو في دار الرجال، فسمعت حركة في البيت فناداني مكانك لا تبرح، فلم أجسر أن أخرج ولا أدخل، فخرجت علي جارية معها شئ مغطى ثم ناداني ادخل فدخلت ونادى الجارية فرجعت فقال لها: اكشفي عما معك فكشفت عن غلام أبيض حسن الوجه وكشفت عن بطنه فإذا شعر نابت من لبته إلى سرته أخضر ليس بأسود، فقال: هذا صاحبكم، ثم أمرها

فحملته فما رأيته بعد ذلك حتى مضى أبو محمدعليه السلام فقال ضوء بن علي: فقلت للفارسي: كم كنت تقدر له من السنين؟ قال: سنتين قال العبدي: فقلت لضوء: كم تقدر له أنت؟ قال: أربع عشرة سنة، قال أبو علي وأبو عبد الله ونحن نقدر له إحدى وعشرين سنة.

وعن أبي سعيد غانم الهندي قال: كنت بمدينة الهند المعروفة بقشمير الداخلة وأصحاب لي يقعدون على كراسي عن يمين الملك، أربعون رجلا كلهم يقرأ الكتب الاربعة: التوراة والانجيل والزبور وصحف إبراهيم، نقضي بين الناس ونفقههم في دينهم و نفتيهم في حلالهم وحرامهم، يفزع الناس إلينا، الملك فمن دونه، فتجارينا ذكر رسول اللهصلى الله عليه وآله، فقلنا: هذا النبي المذكور في الكتب قد خفي علينا أمره ويجب علينا الفحص عنه وطلب أثره واتفق رأينا وتوافقنا على أن أخرج فارتاد لهم، فخرجت ومعي مال جليل، فسرت اثني عشر شهرا حتى قربت من كابل، فعرض لي قوم من الترك فقطعوا علي وأخذوا مالي وجرحت جراحات شديده ودفعت إلى مدينة كابل، فأنفذني ملكها لما وقف على خبري إلى مدينة بلخ وعليها إذ ذاك داود بن العباس بن أبي اسود، فبلغه خبري وأني خرجت مرتادا من الهند وتعلمت الفارسية وناظرت الفقهاء وأصحاب الكلام، فأرسل إلي داود بن العباس فأحضرني مجلسه وجمع علي الفقهاء فناظروني فأعلمتهم أني خرجت من بلدي أطلب هذا النبي الّذي وجدته في الكتب، فقال لي: من هو وما اسمه؟ فقلت: محمد، فقال: هو نبينا الّذي تطلب، فسألتهم عن شرائعه، فأعلموني، فقلت لهم: أنا أعلم أن محمدا نبي ولا أعلمه هذا الّذي تصفون أم لا فأعلموني موضعه لاقصده فاسائله عن علامات عندي ودلالات، فإنّ كان صاحبي الّذي طلبت آمنت به،

فقالوا: قد مضىﷺ فقلت: فمن وصيه وخليفته فقالوا: أبو بكر، قلت: فسموه لي فإنّ هذه كنيته؟ قالوا: عبد الله بن عثمان ونسبوه إلى قريش، قلت: فانسبوا لي محمدا نبيكم فنسبوه لي، فقلت: ليس هذا صاحبي الّذي طلبت صاحبي الّذي أطلبه خليفته أخوه في الدين وابن عمه في النسب وزوج ابنته وأبو ولده، ليس لهذا النبي ذرية على الارض غير ولد هذا الرجل الّذي هو خليفته، قال: فوثبوا بي وقالوا أيها الامير إن هذا قد خرج من الشرك إلى الكفر هذا حلال الدم، فقلت لهم: يا قوم أنا رجل معي دين متمسك به لا افارقه حتى أرى ما هو أقوى منه، إني وجدت صفة هذا الرجل في الكتب الّتي انزلها الله على أنبيائه وإنما خرجت من بلاد الهند ومن العز الّذي كنت فيه طلبا به، فلما فحصت عن أمر صاحبكم الّذي ذكرتم لم يكن النبي الموصوف في الكتب فكفوا عني وبعث العامل إلى رجل يقال له: الحسين بن اشكيب فدعاه فقال له: ناظر هذا الرجل الهندي، فقال له الحسين: أصلحك الله عندك الفقهاء و العلماء وهم أعلم وأبصر بمناظرته، فقال له: ناظره كما أقول لك واخل به والطف له فقال لي الحسين بن اشكيب بعد ما فاوضته: إن صاحبك الّذي تطلبه هو النبي الّذي وصفه هؤلاء وليس الامر في خليفته كما قالوا، هذا النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ووصيه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب وهو زوج فاطمة بنت محمد وأبو الحسن والحسين سبطي محمدﷺ، قال غانم أبو سعيد فقلت: الله أكبر هذا الّذي طلبت، فانصرفت إلى داود بن العباس فقلت له: أيها الامير وجدت ما طلبت وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قال: فبرني ووصلني، وقال للحسين تفقده، قال: فمضيت إليه حتى آنست به وفقهني فيما احتجت إليه من الصلاة والصيام

والفرائض قال: فقلت له: إنا نقرأ في كتبنا أن محمداًﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده وأن الامر من بعده إلى وصيه ووارثه وخليفته من بعده، ثم إلى الوصي بعد الوصي، لا يزال أمر الله جاريا في أعقابهم حتى تنقضي الدنيا، فمن وصي وصي محمد؟ قال: الحسن ثم الحسين ابنا محمدﷺ، ثم ساق الامر في الوصية حتى انتهى إلى صاحب الزمان، ثم أعلمني ما حدث، فلم يكن لي همة إلا طلب الناحية. فوافى قم وقعد مع أصحابنا في سنة أربع وستين ومائتين وخرج معهم حتى وافى بغداد ومعه رفيق له من أهل السند كان صحبه على المذهب، قال: فحدثني غانم قال: وأنكرت من رفيقي بعض أخلاقه، فهجرته وخرجت حتى سرت إلى العباسية أتهيأ للصلاة واصلي وإني لواقف متفكر فيما قصدت لطلبه إذا أنا بآت قد أتاني فقال: أنت فلان؟ ـ اسمه بالهند ـ فقلت: نعم فقال: أجب مولاك فمضيت معه فلم يزل يتخلل بي الطريق حتى أتى دارا وبستانا فإذا أنا بهعليه السلام جالس، فقال: مرحبا يا فلان ـ بكلام الهند ـ كيف حالك؟ وكيف خلفت فلانا وفلانا؟ حتى عد الاربعين كلهم فسائلني عنهم واحدا واحدا، ثم أخبرني بما تجارينا كل ذلك بكلام الهند، ثم قال: أردت أن تحج مع اهل قم؟ قلت: نعم يا سيدي، فقال: لا تحج معهم وانصرف سنتك هذه وحج في قابل، ثم ألقى إلى صرة كانت بين يديه، فقال لي: اجعلها نفقتك ولا تدخل إلى بغداد إلى فلان سماه، ولا تطلعه على شئ وانصرف إلينا إلى البلد، ثم وافانا بعض الفيوج فأعلمونا أن أصحابنا انصرفوا من العقبة ومضى نحو خراسان فلما كان في قابل حج و أرسل إلينا بهدية من طرف خراسان فأقام بها مدة، ثم ماترحمه الله.

الملحق الثامن:
علة الغيبة وكيفية انتفاع الناس به[1]
في غيبته صلوات الله عليه

١ـ عن ابن أبي عمير، عن أبان وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا بد للغلام من غيبة فقيل له: ولم يا رسول الله؟ قال: يخاف القتل.

٢ـ عن مروان الانباري قال: خرج من أبي جعفر عليه السلام أن الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم.

٣ـ عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن للقائم عجل الله فرجه منا غيبة يطول أمدها، فقلت له: ولم ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: إن الله عزوجل أبى إلا أن يجري فيه سنن الانبياء عليهم السلام في غيباتهم وأنه لابد له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم، قال الله عزوجل ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[2] أي سننا على سنن من كان قبلكم. بيان: قال البيضاوي: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما يطابق غيره، فقيل للحال المطابقة، أو مراتب من الشدة بعد المراتب وهي

---

(١) بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٥٢ ص ٩٠.

(٢) الانشقاق: ١٩.

الموت ومواطن القيامة وأهوالها، أو هي وما قبلها من الدواهي على أنها جمع طبقة.

٤ـ عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمدعليهما السلام يقول: إن لصاحب هذا الامر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له: ولم جعلت فداك؟ قال: لامر لم يؤذن لنا في كشفه لكم قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضرعليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسىعليه السلام إلا وقت افتراقهما. يا ابن الفضل إن هذا الامر أمر من أمر الله، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله ومتى علمنا أنه عزوجل حكيم، صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا.

٥ـ عن زرارة قال: سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول: إن للغلام غيبة قبل ظهوره، قلت: ولم؟ قال: يخاف وأومأ بيده إلى بطنه، قال زرارة: يعني القتل. ك: العطار، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن نجيح، عن زرارة مثله. نی: ابن عقدة، عن عبد الله بن أحمد، عن محمد بن عبد الله الحلبي، عن ابن بكير عن زرارة مثله.

أقول: وقد مر بعض الاخبار المشتملة على العلة في أبواب أخبار آبائهعليهم السلام بقيامه.

٦ـ عن الاعمش، عن الصادقعليه السلام قال: لم تخلو الارض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور، أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله، قال سليمان: فقلت

للصادقعليه السلام: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب.

٧ـ عن إسحاق بن يعقوب أنه ورد عليه من الناحية المقدسة على يد محمد بن عثمان: وأما علة ما وقع من الغيبة فإنّ الله عزوجل يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾[1] إنه لم يكن أحد من آبائي إلا وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لاحد من الطواغيت في عنقي، وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الابصار السحاب، وإني لامان لاهل الارض كما أن النجوم أمان لاهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عما لا يعنيكم، ولا تتكلفوا على ما قد كفيتم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإنّ ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى. ك ـ ابن عصام، عن الكليني مثله.

٨ـ عن جابر الجعفي عن جابر الانصاري أنه سأل النبيصلى الله عليه وآله هل ينتفع الشيعة بالقائمعجل الله فرجه في غيبته؟ فقالصلى الله عليه وآله: إي والّذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب. أقول: تمامه في باب نص الرسول عليهمعليهم السلام.

بيان: التشبيه بالشمس المجللة بالسحاب يؤمي إلى امور

الاول: أن نور الوجود والعلم والهداية، يصل إلى الخلق بتوسطهعجل الله فرجه إذ ثبت بالاخبار المستفيضة أنهم العلل الغائية لايجاد الخلق، فلولاهم لم

---

(١) المائدة: ١٠٤.

يصل نور الوجود إلى غيرهم، وببركتهم والاستشفاع بهم، والتوسل إليهم يظهر العلوم و المعارف على الخلق، ويكشف البلايا عنهم، فلولاهم لاستحق الخلق بقبائح أعمالهم أنواع العذاب، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾(١) ولقد جربنا مرارا لا نحصيها أن عند انغلاق الامور وإعضال المسائل، والبعد عن جناب الحق تعالى، وانسداد أبواب الفيض، لما استشفعنا بهم، وتوسلنا بأنوارهم، فبقدر ما يحصل الارتباط المعنوي بهم في ذلك الوقت، تنكشف تلك الامور الصعبة، وهذا معاين لمن أكحل الله عين قلبه بنور الايمان، وقد مضى توضيح ذلك في كتاب الامامة.

الثاني: كما أن الشمس المحجوبة بالسحاب مع انتفاع الناس بها ـ ينتظرون في كل آن انكشاف السحاب عنها وظهورها، ليكون انتفاعهم بها أكثر، فكذلك في أيام غيبته عليه السلام، ينتظر المخلصون من شيعته خروجه وظهوره، في كل وقت و زمان، ولا ييأسون منه.

الثالث: أن منكر وجوده عليه السلام مع وفور ظهور آثاره كمنكر وجود الشمس إذا غيبها السحاب عن الابصار.

الرابع: أن الشمس قد تكون غيبتها في السحاب أصلح للعباد، من ظهورها لهم بغير حجاب، فكذلك غيبته عليه السلام أصلح لهم في تلك الازمان، فلذا غاب عنهم.

الخامس: أن الناظر إلى الشمس لا يمكنه النظر إليها بارزة عن السحاب، وربما عمي بالنظر إليها لضعف الباصرة، عن الاحاطة بها،

---

(١) الانفال: ٣٣.

فكذلك شمس ذاته المقدسة وبما يكون ظهوره أضر لبصائرهم، ويكون سببا لعماهم عن الحق، وتحتمل بصائرهم الايمان به في غيبته، كما ينظر الانسان إلى الشمس من تحت السحاب ولا يتضرر بذلك.

السادس: أن الشمس قد يخرج من السحاب وينظر إليه واحد دون واحد فكذلك يمكن أن يظهر عجل الله فرجه في أيام غيبته لبعض الخلق دون بعض.

السابع: أنهم عليهم السلام كالشمس في عموم النفع وإنما لا ينتفع بهم من كان أعمى كما فسر به في الاخبار قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾[1].

الثامن: أن الشمس كما أن شعاعها تدخل البيوت، بقدر ما فيها من الروازن والشبابيك، وبقدر ما يرتفع عنها من الموانع، فكذلك الخلق إنما ينتفعون بأنوار هدايتهم بقدر ما يرفعون الموانع عن حواسهم ومشاعرهم الّتي هي روازن قلوبهم من الشهوات النفسانية والعلائق الجسمانية، وبقدر ما يدفعون عن قلوبهم من الغواشي الكثيفة الهيولانية إلى أن ينتهي الامر إلى حيث يكون بمنزلة من هو تحت السماء يحيط به شعاع الشمس من جميع جوانبه بغير حجاب. فقد فتحت لك من هذه الجنة الروحانية ثمانية أبواب، ولقد فتح الله علي بفضله ثمانية اخرى تضيق العبارة عن ذكرها، عسى الله أن يفتح علينا وعليك في معرفتهم ألف باب يفتح من كل باب ألف باب.

٩ـ عن محمد بن النعمان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أقرب ما يكون العبد إلى الله عزوجل وأرضى ما يكون عنه إذا افتقدوا حجة الله فلم يظهر

---

(١) أسرى: ٧٢.

لهم وحجب عنهم فلم يعلموا بمكانه، وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجج الله ولا بيناته، فعندها فليتوقعوا الفرج صباحا ومساء، وإن أشد ما يكون غضبا على أعدائه إذا أفقدهم حجته، فلم يظهر لهم، وقد علم أن أولياءه لا يرتابون، ولو علم أنهم يرتابون ما أفقدهم حجته طرفة عين.

١٠ـ عن زرارة بن أعين قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم، قلت: ولم ذاك؟ قال: يخاف و أشار بيده إلى بطنه وعنقه، ثم قال: وهو المنتظر الّذي يشك الناس في ولادته فمنهم [من] يقول: إذا مات أبوه مات ولا عقب له، ومنهم من يقول: قد ولد قبل وفات أبيه بسنتين لان الله عزوجل يجب أن يمتحن خلقه فعند ذلك يرتاب المبطلون.

١١ـ عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صاحب هذا الامر تعمى ولادته على [هذا] الخلق لئلا يكون لاحد في عنقه بيعة إذا خرج.

١٢ـ عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يبعث القائم وليس في عنقه لاحد بيعة.

١٣ـ عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقوم القائم وليس لاحد في عنقه بيعة.

١٤ـ عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام [قال:] كأني بالشيعة عند فقدانهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: ولم ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: لان إمامهم يغيب عنهم، فقلت: ولم؟ قال: لئلا يكون لاحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف.

١٥ـ عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صاحب هذا الامر

تغيب ولادته عن هذا الخلق لئلا يكون لاحد في عنقه بيعة إذا خرج، ويصلح الله عزوجل أمره في ليلة.

١٦ـ عن زرارة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارة لابد للقائم عجل الله فرجه من غيبة، قلت: ولم؟ قال: يخاف على نفسه وأومأ بيده إلى بطنه.

١٧ـ ك: بهذا الاسناد، عن العياشي، عن محمد بن إبراهيم الوراق، عن حمدان بن أحمد، عن أيوب بن نوح، عن صفوان، عن ابن بكير، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام مثله.

١٨ـ عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: للغلام غيبة قبل قيامه، قلت: ولم؟ قال: يخاف على نفسه الذبح.

١٩ـ عن ابن أبي عمير عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه في الاول؟ قال لآية في كتاب الله عزوجل ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[1] قال: قلت: وما يعني بتزايلهم؟ قال: ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، فكذلك القائم عجل الله فرجه لن يظهر أبدا حتى تخرج ودائع الله عزوجل فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عزوجل جلاله فقتلهم. ع، ك: المظفر العلوي، عن ابن العياشي، عن أبيه، عن علي بن محمد، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن إبراهيم الكرخي، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

٢٠ـ عن زرارة قال: إن للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت: لم؟ قال: يخاف القتل.

---

(١) الفتح: ٢٥.

٢١ـ عن أبي خالد الكابلي في حديث له اختصرناه قال: سألت أبا جعفرعليه السلام أن يسمي القائم حتى أعرفه باسمه فقال: يابا خالد! سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه لحرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة.

٢٢ـ عن زرارة قال: سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول: إن للقائم غيبة قبل أن يقوم وهو المطلوب تراثه قلت: ولم ذلك؟ قال: يخاف وأومأ بيده إلى بطنه يعني القتل.

أقول: قال الشيخ: لا علة تمنع من ظهوره عجل الله فرجه إلا خوفه على نفسه من القتل لانه لو كان غير ذلك لم ساغ له الاستتار وكان يتحمل المشاق والاذى فإنّ منازل الائمة وكذلك الانبياءعليهم السلام إنما تعظم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى. فإنّ قيل: هلا منع الله من قتله بما يحول بينه وبين من يريد قتله؟ قلنا: المنع الّذي لا ينافي التكليف هو النهي عن خلافه والامر بوجوب اتباعه ونصرته، و إلزام الانقياد له، وكل ذلك فعله تعالى، وأما الحيلولة بينهم وبينه فانه ينافي التكليف، وينقض الغرض لان الغرض بالتكليف استحقاق الثواب، والحيلولة تنافي ذلك، وربما كان في الحيلولة والمنع من قتله بالقهر مفسدة للخلق، فلا يحسن من الله فعلها. وليس هذا كما قال بعض أصحابنا: إنه لا يمتنع أن يكون في ظهوره مفسدة وفي استتاره مصلحة، لان الّذي قاله يفسد طريق وجوب الرسالة في كل حال ويطرق القول بأنها تجري مجرى الالطاف الّتي تتغير بالازمان والاوقات، و القهر والحيلولة ليس كذلك، ولا يمتنع أن يقال في ذلك مفسدة ولا يؤدي إلى فساد وجوب الرئاسة. فإنّ قيل: أليس آباؤهعليهم السلام كانوا ظاهرين، ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد؟ قلنا: آباؤهعليهم السلام حالهم بخلاف حاله لانه كان المعلوم من حال آبائه لسلاطين

الوقت وغيرهم أنهم لا يرون الخروج عليهم ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف، ويزيلون الدول، بل كان المعلوم من حالهم أنهم ينتظرون مهديا لهم وليس يضر السلطان اعتقاد من يعتقد إمامتهم إذا أمنوهم على مملكتهم. وليس كذلك صاحب الزمان، لان المعلوم منه أنه يقوم بالسيف، ويزيل الممالك، ويقهر كل سلطان، ويبسط العدل، ويميت الجور، فمن هذه صفته يخاف جانبه ويتقى ثورته فيتتبع ويرصد، ويوضع العيون عليه، ويعنى به خوفا من وثبته، ورهبته من تمكنه، فيخاف حينئذ، ويحوج إلى التحرز والاستظهار بأن يخفي شخصه عن كل من لا يأمنه من ولي وعدو إلى وقت خروجه. وأيضا فأباؤه عليهم السلام إنما ظهروا لانه كان المعلوم أنه لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامه ويسد مسده من أولادهم وليس كذلك صاحب الزمان لان المعلوم أنه ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقت قيامه بالسيف، فلذلك وجب استتاره وغيبته، وفارق حاله حال آبائه، وهذا واضح بحمدالله. فإنّ قيل: بأي شئ يعلم زوال الخوف وقت ظهوره أبالوحي من الله؟ فالامام لا يوحى إليه، أو بعلم ضروري؟ فذلك ينافي التكليف، أو بأمارة توجب غلبة الظن؟ ففي ذلك تغرير بالنفس.

قلنا: عن ذلك جوابان: أحدهما أن الله أعلمه على لسان نبيه، وأوقفه عليه من جهة آبائه زمان غيبته المخوفة، وزمان زوال الخوف عنه، فهو يتبع في ذلك ما شرع له وأوقف عليه، وإنما اخفي ذلك عنا لما فيه من المصلحة، فأما هو فعالم به، لا يرجع إلى الظن. والثاني أنه لا يمتنع أن يغلب على ظنه بقوة الامارات بحسب العادة قوة سلطانه، فيظهر عند ذلك ويكون قد أعلم أنه متى غلب في ظنه كذلك وجب عليه ويكون الظن

شرطا، والعمل عنده معلوما، كما نقوله في تنفيذ الحكم عند شهادة الشهود، والعمل على جهات القبلة، بحسب الامارات والظنون، وإن كان وجوب التنفيذ للحكم والتوجه إلى القبلة معلومين، وهذا واضح بحمد الله. وأما ما روي من الاخبار من امتحان الشيعة في حال الغيبة، وصعوبة الامر عليهم، واختبارهم للصبر عليه، فالوجه فيها الاخبار عما يتفق من ذلك من الصعوبة والمشاق لان الله تعالى غيب الامام ليكون ذلك، وكيف يريد الله ذلك، وما ينال المؤمنين من جهة الظالمين ظلم منهم ومعصية، والله لا يريد ذلك بل سبب الغيبة هو الخوف على ما قلناه، وأخبروا بما يتفق في هذه الحال، وما للمؤمن من الثواب على الصبر على ذلك، والتمسك بدينه إلى أن يفرج الله تعالى عنهم.

الملحق التاسع

عن الاعمش قال: اجتمعت الشيعة والمحكمة عند أبى نعيم النخعي بالكوفة وابو جعفر محمد بن النعمان مؤمن الطاق حاضر، فقال ابن ابى حذرة: انا اقرر معكم ايتها الشيعة ان أبا بكر افضل من علي ومن جميع اصحاب النبي باربع خصال لا يقدر على دفعها احد من الناس، هو ثان مع رسول الله في بيته مدفون، وهو ثاني اثنين معه في الغار، وهو ثاني اثنين صلى بالناس آخر صلاة قبض بعده رسول الله ﷺ، وهو ثاني اثنين الصديق من هذه الامة. قال أبو جعفر مؤمن الطاق رحمة الله عليه: يابن أبي حذرة وانا اقرر معك ان عليا أفضل من أبي بكر وجميع أصحاب النبي ﷺ بهذه الخصال الّتي وصفتها، وانها مثلبة لصاحبك، والزمك طاعة علي من ثلاث جهات، من القرآن وصفا، ومن خبر الرسول نصا، ومن حجة العقل اعتبارا، ووقع الاتفاق على ابراهيم النخعي وعلى أبي اسحاق السبيعي، وعلى سليمان بن مهران الاعمش. فقال: أبو جعفر مؤمن الطاق: اخبرني يابن أبي حذرة عن النبي ﷺ كيف ترك بيوته ـ الّتي أضافها الله إليه، ونهى الناس عن دخولها الا باذنه ـ ميراثا لاهله وولده، أو تركها صدقة على جميع المسلمين؟ قل ما شئت. فانقطع ابن ابي حذرة لما اورد عليه ذلك، وعرف خطأ ما فيه.

فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: ان تركها ميراثا لولده وازواجه فانه

قبض عن تسع نسوة، وانما لعايشة بنت أبي بكر تسع ثمن هذا البيت الّذي دفن فيه صاحبك، ولا يصيبها من البيت ذراع في ذراع، وان كان صدقة فالبلية اطم واعظم فانه لم يصب من البيت الا ما لادنى رجل من المسلمين، فدخول بيت النبيﷺ بغير اذنه في حياته وبعد وفاته معصية الا لعلي بن أبي طالبعليه السلام وولده، فإنّ الله احل لهم ما احل للنبيﷺ، ثم قال لهم: انكم تعلمون ان النبي، امر بسد ابواب جميع الناس الّتي كانت مشرعة إلى المسجد ما خلا باب عليعليه السلام، فسأله أبو بكر ان يترك له كوة لينظر منها إلى رسول الله فابى عليه، وغضب عمه العباس من ذلك فخطب النبيﷺ خطبة وقال: ان الله تبارك وتعالى أمر لموسى وهارون ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا، وامرهما ان لا يبيت في مسجدهما جنب، ولا يقرب فيه النساء الا موسى وهارون وذريتهما، وان عليا هو بمنزلة هارون من موسى، وذريته كذرية هارون، ولا يحل لاحد أن يقرب النساء في مسجد رسول اللهﷺ، ولا يبيت فيه جنب الا علي وذريتهعليهم السلام.

فقالوا بأجمعهم: كذلك كان.

قال أبو جعفر: ذهب ربع دينك يابن أبي حذرة، وهذه منقبة لصاحبي ليس لاحد مثلها، ومثلبة لصاحبك، واما قولك: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ اخبرني هل انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين في غير الغار؟

قال ابن ابى حذرة: نعم.

قال أبو جعفر: فقد خرج صاحبك في الغار من السكينة، وخصه بالحزن ومكان علي في هذه الليلة على فراش النبيﷺ، وبذل مهجته دونه افضل من مكان صاحبك في الغار.

فقال الناس: صدقت.

فقال أبو جعفر: يابن أبى حذرة ذهب نصف دينك، واما قولك ثاني اثنين الصديق من الامة، فقد اوجب الله على صاحبك الاستغفار لعلي بن أبي طالب‌عليه السلام في قوله عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ إلى آخر الاية والّذي ادعيت انما هو شئ سماه الناس ومن سماه القرآن وشهد له بالصدق والتصديق اولى به ممن سماه الناس، وقد قال علي‌عليه السلام على منبر البصرة: انا الصديق الاكبر، آمنت قبل أن آمن أبو بكر وصدقت قبله.

قال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يابن أبي حذرة ذهب ثلاثة ارباع دينك.

واما قولك في الصلاة بالناس، كنت ادعيت لصاحبك فضيلة لم تتم له، وانها إلى التهمة اقرب منها إلى الفضيلة، فلو كان ذلك بأمر رسول الله‌صلى الله عليه وآله لما عزله عن تلك الصلاة بعينها، اما علمت انه لما تقدم أبو بكر ليصلي بالناس خرج رسول الله‌صلى الله عليه وآله فتقدم وصلى بالناس وعزله عنها، ولا تخلو هذه الصلاة من احد وجهين: اما ان تكون حيلة وقعت منه، فلما حس النبي‌صلى الله عليه وآله بذلك خرج مبادرا مع علته فنحاه عنها لكيلا يحتج بها بعده على امته فيكونوا في ذلك معذورين.

واما ان تكون هو الّذي امره بذلك، وكان ذلك مفوضا إليه كما في قصة تبليغ براءة، فنزل جبرئيل‌عليه السلام وقال: لا يؤديها الا انت أو رجل منك، فبعث عليا في طلبه وأخذها منه، وعزله عنها وعن تبليغها، فكذلك كانت قصة الصلاة، وفي الحالتين هو مذموم لانه كشف عنه ما كان مستورا عليه، وفي ذلك دليل واضح انه لا يصلح للاستخلاف بعده، ولا هو مأمون على

شئ من امر الدين.

فقال الناس: صدقت.

قال أبو جعفر مؤمن الطاق: يابن ابى حذرة ذهب دينك كله، وفضحت حيث مدحت. فقال الناس لابي جعفر: هات حجتك فيما ادعيت من طاعة عليعليه السلام، فقال أبو جعفر مؤمن الطاق: اما من القرآن وصفا فقوله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فوجدنا عليا بهذه الصفة في القرآن في قوله عزوجل ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ ـ يعنى في الحرب والشغب ـ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ فوقع الاجماع من الامة بان علياعليه السلام أولى بهذا الامر من غيره، لانه لم يفر من زحف قط، كما فر غيره في غير موضع.

فقال الناس: صدقت.

واما الخبر عن رسول اللهصلى الله عليه وآله نصا، فقال: (اني تارك فيكم الثقلين، ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) وقولهصلى الله عليه وآله: (انما مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركبها نجى، ومن تخلف عنها غرق، ومن تقدمها مرق، ومن لزمها لحق) فالمتمسك بأهل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله هاد مهتد بشهادة من الرسول والمتمسك بغيرها ضال مضل. قال الناس: صدقت يا أبا جعفر: واما من حجة العقل فإنّ الناس كلهم يستعبدون بطاعة العالم، ووجدنا الاجماع قد وقع على عليعليه السلام بانه كان اعلم أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله، وكان الناس يسألونه ويحتاجون إليه، وكان علي مستغنيا عنهم، هذا من الشاهد والدليل عليه من القرآن قوله عزوجل: ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن

يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيَ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ فما اتفق يوم احسن منه، ودخل في هذا الامر عالم كثير[1].

---

(١) الاحتجاج - الشيخ الطبرسي ج ٢ ص ١٤٣.

المصادر

١ـ القرآن الكريم
٢ـ الكافي للكليني
٣ـ التوحيد للصدوق
٤ـ عيون اخبار الرضاعليه‌السلام للصدوق
٥ـ البحار للمجلسي
٦ـ علل الشرائع للصدوق
٧ـ رسائل المرتضى ـ الشريف المرتضى
٨ـ الذكرى ـ الشهيد الأول
٩ـ المراجعات للسيد شرف الدين
١٠ـ اصول العقيدة للسيد الحكيم
١١ـ الا قتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد للطوسي
١٢ـ ارشاد الطالبين الى نهج المسترشدين
١٣ـ منهاج الصلاح للعلامة الحلي
١٤ـ بصائر الدرجات ـ محمد بن الحسن الصفار
١٥ـ التبيان ـ الشيخ الطوسي
١٦ـ المحاسن ـ أحمد بن محمد بن خالد البرقى
١٧ـ اللوامع الالهية للفاضل المقداد

١٨ـ الميزان للطباطبائي
١٩ـ مختار الصحاح
٢٠ـ تفسير القرطبي للقرطبي
٢١ـ تفسير ابن كثير ـ ابن كثير
٢٢ـ جامع البيان للطبري (تفسير الطبري)
٢٣ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد
٢٤ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ـ المناوي
٢٥ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي
٢٦ـ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلي
٢٧ـ سير أعلام النبلاء – الذهبي
٢٨ـ الأمالي ـ الشيخ الصدوق
٢٩ـ مسند احمد ـ الامام احمد بن حنبل
٣٠ـ سنن أبي داود ـ ابن الأشعث السجستاني
٣١ـ سنن ابن ماجة ـ محمد بن يزيد القزويني
٣٢ـ عين اليقين للفيض الكاشاني
٣٣ـ تنزيه المعبود للسيد قاسم علي احمدي
وغيرها مما تجده في تخريج ما ننقله في التعليقة.

الفهرس